١١

# شَرْحُ العَقِيدَةِ الوَاسِطِيَّةِ

(الشَّرْحُ الثَّانِي)

تَصْنِيفُ شَيْخِ الإِسْلَامِ

أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ

المتوفى سنة (٧٢٨) رحمه الله تعالى

شَرْحُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ

مُحَمَّدِ مُحَمَّدِي بْنِ مُحَمَّدٍ جَمِيلِ النُّورْسْتَانِي

حَفِظَهُ اللهُ

الشَّيْخُ لَمْ يُرَاجِعِ التَّفْرِيغَ

النُّسْخَةُ الأُولَى

# شرح
# العقيدة الواسطية
(الشرح الثاني)

١١

# شرح العقيدة الواسطية

(الشرح الثاني)

تصنيف شيخ الإسلام

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

المتوفى سنة (٧٢٨) رحمه الله تعالى

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني

حفظه الله

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى

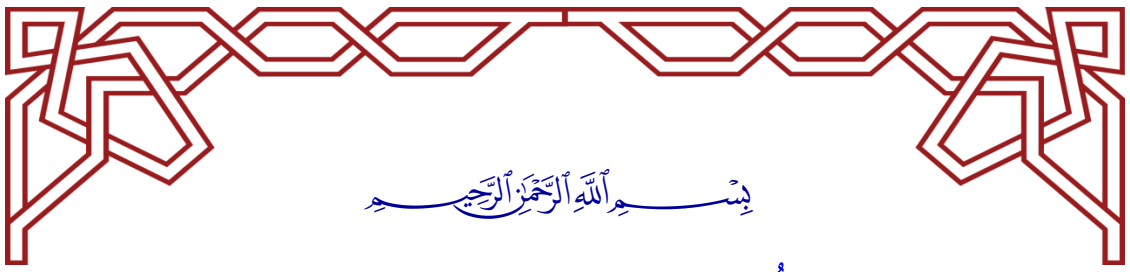


# مُقدمة المشرفين على التفريغ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠].

**أما بعد:**

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلي الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن من نعم الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن جعل فيها علماء ربانيين وأئمة في الدين، ورثوا من علم النبوة على قدر ما قسم الله لهم من ذلك الميراث العظيم الذي لا يعادله شيء من متاع الدنيا الفاني.

**ومن رحمة الله بعباده**: أنه كلما اشتدت حاجتهم إلى أمر من الأمور كلما يسر الله سبل تحصيله، ونوع لهم الطرائق الموصلة إلى نيله وبلوغه، ولما كان العلم أعظم ما يحتاجه العباد وليس لهم عنه غنى طرفة عين، ولا سيما علم العقيدة والتوحيد الذي هو أشرف العلوم وأزكاها، وأجلها قدرًا وأسناها، والذي قد زادت الحاجة إليه في هذه الأزمنة المتأخرة، بسبب انتشار الأهواء والبدع، وكثرة المخالفين للتوحيد والمعتقد، والمجانبين للسنة والأثر.

ولما كان الأمر كذلك رأينا منة الله علينا في هذه الأعصر بوسائل كثيرة لحفظ العلم ونشره لم تكن متيسرة لمن قبلنا، وإن من تلك الوسائل حفظ الدروس في تسجيلات صوتية ومقاطع مرئية، تنقل العلم لفظًا ومعنى.

وكان من تمام نعمة الله علينا أن هيأ وسائل حديثة لحفظ هذا العلم، وهو ما يعرف بـ "التفريغات" والتي تنقل علم الشيوع من مسموع إلى مقروء، فتعين الطالب على توفير وقته وجهده، وتدعوه لجمع قلبه وعقله على حفظ العلم وضبطه، وتساعد على انتشاره عبر وسائل التواصل والتقنيات الحديثة، مما يهيئ السبل للانتفاع به، وتداوله بيسر وسهولة من قبل الدارسين والمتعلمين، بل والأساتذة والمدرسين في أحيان كثيرة.

ومن هنا جاءت فكرة المساهمة في تفريغ دروس فضيلة الشيخ الدكتور محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني حفظه الله تعالى.

وقد يسر الله تعالى الخطوة الأولى لهذه المرحلة وهي إنشاء قناة للشيخ علي الشبكة، وكذا إنشاء حساب لدروسه في اليوتيوب، والتليجرام، كل ذلك حرصًا على الحفاظ على ما تيسر الحصول عليه من مجالس ودروس فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى، وكان الذي فات منها وضاع إن لم يفق الموجود كثرة فلا يقل عنه عددًا، وعزاؤنا فيه أن الله يعلمه، وأن الملائكة كتبته، ونسأل الله عز وجل أن يتقبل ذلك من الشيخ وأن يجعله في موازين حسناته، ومن تلك الكتب التي لم نقف على تسجيلاتها:

- خلق أفعال العباد للبخاري.
- الرد على الجهمية للدرامي.
- نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد، للدرامي.
- القاعدة المراكشية.

وغيرها كثير[1].

---

(١) ونجد هذا الموضع فرصة لحث الإخوة من طلاب الشيخ ممن قد تبلغهم هذه التفريغات، ممن حضروا للشيخ مجالس في السابق وسجلوا شيئًا منها أن يتواصلوا معنا، فحفظهم لعلم الشيخ أقل ما يجب للشيخ علينا وعليهم، وهو من بر التلاميذ بمعلميهم والذي لا يقل أهمية عن بر الأبناء بآبائهم متى اقترن بالنية الصالحة.

وجاءت المرحلة الثانية هذه، وهي سلسلة التفريغات الصوتية للدروس العلمية للشيخ محمد محمدي النورستاني حفظه الله تعالى، وستكون شاملة لجميع دروسه المسجلة، وهي على الترتيب التالي:

١- الأصول الثلاثة (**الشرح الأول ٨ مجالسًا**).

٢- الأصول الثلاثة (**الشرح الثاني ١١ مجلسًا**).

٣- الأصول الثلاثة (**الشرح الثالث ١٧ مجلسًا**).

٤- القواعد الأربع (**الشرح الأول مجلس واحدًا**).

٥- القواعد الأربع (**الشرح الثاني مجلسان**).

٦- القواعد الأربع (**الشرح الثالث مجلسان**).

٧- نواقض الإسلام.

٨- كشف الشبهات.

٩- كتاب التوحيد (**ولا زال مستمرًّا**).

١٠- العقيدة الواسطية (**الشرح الأول**).

١١- العقيدة الواسطية (**الشرح الثاني**).

١٢- العقيدة الواسطية (**الشرح الثالث**).

١٣- لمعة الاعتقاد.

١٤- العقيدة الطحاوية (**أربعون مجلسًا**).

١٥- القصيدة الحائية لابن أبي داود (**ثلاث مجالس**).

١٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.

١٧- الفتوى الحموية (**٢٣ مجلسًا**).

١٨- الجواب على الاعتراضات المصرية.

١٩- العقيدة التدمرية (**الشرح الأول**).

٢٠- **العقيدة التدمرية** (**الشرح الثاني، ولا زال مستمرًّا**).

٢١- نقض المنطق "الانتصار لأهل الأثر"، لابن تيمية (**٢٣ مجلسًا**).

٢٢- الإبانة الصغرى "الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة" لابن بطة (٣٨ مجلسًا).

٢٣- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم. (ولا زال مستمرًّا).

٢٤ - **شرح ابن أبي العز الحنفي على الطحاوية** (ولا زال مستمرًّا).

٢٥ - **شرح القصيدة النونية "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" لابن القيم الجوزية** (ولا زال مستمرًّا).

٢٦ - **شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية** (لم يكتمل).

٢٧- رسالة القضاء والقدر لابن عثيمين (مجلسان).

٢٨- رسالة قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات، لابن تيمية.

٢٩- رسالة الأفعال الاختيارية من العباد لابن تيمية.

٣٠- فصل في الكلام على الاتحادية، لابن تيمية.

٣١- مسألة في حياة الخضر وادعاء لقائه، لابن تيمية.

٣٢- فصل في معنى الحي القيوم، لابن تيمية.

٣٣ - **الإخنائية، لابن تيمية** (ولا زال مستمرًّا).

٣٤- محاضرات في العقيدة والتوحيد.

٣٥- مجالس تفسير سورة العنكبوت.

٣٦- مجالس تفسير سورة الأحزاب.

٣٧- مجالس تفسير سورة الزمر.

٣٨- المنظومة البيقونية (٤ مجالس).

٣٩- نزهة النظر (الشرح الأول ١٦ مجلسًا).

٤٠- نزهة النظر (الشرح الثاني، لازال مستمرًا).

٤١- المداخل إلى كتب السنة.

٤٢- التعليق على كتاب المدخل إلى صحيح البخاري (٥ مجالس).

٤٣- عقيدة الرازيين.

٤٤- صريح السنة للطبري.

٤٥- السنة للمزني.

٤٦- الأصول الستة.

٤٧ - **سلسلة الحوار العلمي عن علم الكلام (لازال مستمرًا).**

٤٨ - **الصفات المعنوية.**

٤٩ - **قضية التفويض.**

وننبه هنا إلى أن هذه التفريغات معينة ومساعدة، إلا أنها لا تغني عن الدروس الصوتية والمرئية، ولا تكفي عن الاستماع إليها.

وما هذه التفريغات إلا جهد من بعض طلاب الشيخ حفظه الله تعالى، رغبوا في المشاركة في الخير، والمساهمة في خدمة العلم وأهله، فكتب الله أجورهم وشكر سعيهم، والشيخ حفظه الله تعالى لم يراجع هذه التفريغات.

وفي الختام: فإننا ندعو الله عز وجل أن يبارك للشيخ في علمه وعمله، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يبارك له في إتمام ما بقي، ونسأل الله له المزيد من فضله، وأن يمتعنا بعلمه، وأن يطيل عمره على طاعته، وأن يتقبل ذلك منه، وأن يكون ذخرًا له ورفعة وشرفًا يوم لقاء مولاه، ورؤيته سبحانه وحلول رضاه.

وشكر الله للإخوة القائمين على هذا المشروع وكتب أجرهم، وجعله من العلم الذي ينتفع به، وتجري لهم به الحسنات، وتضاعف بسببه الدرجات.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

للتواصل وإرسال الملحوظات والتصويبات
t.Shoroh.dr.alnorstany@tmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الاستفادة منها هو أحد آثار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

وآثار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتبه كثيرةٌ جدًّا؛ منها: ما أُفرد لموضوعٍ معين، ومنها: ما تناولت مواضيع عديدة، ومنها: كتب مطولة، ومنها: كتب مختصرة، ومنها: رسائل أجاب بها الأسئلة التي كانت ترده من الآفاق.

وقليل منها بالنسبة للرسائل أو النادر منها إن كان هناك وجود هذا الاستثناء فقط ما كان ابتداءً منه، وإلا أكثر رسائله الصغيرة كانت تلبيةً منه لطلبات المسلمين الذين كانوا يسألونه في عويص المسائل، وكانوا يقصدونه بالاستفتاء من مختلف البلدان.

من تلك الرسائل هذه الرسالة المباركة التي اشتهرت بالعقيدة الواسطية.

وهذه العقيدة ألفها شيخ الإسلام وهو، يعني: نُذكِّر باسمه: الإمام أحمد تقي الدين أبو العباس أحمد بن الإمام عبدالحليم، أيضًا كان من شيوخ الحنابلة.

وجَدُّه: مجد الدين أبو البركات عبدالسلام -صاحب المتن الشهير الذي شرحه الإمام الشوكاني بـ «نيل الأوطار»- بن عبدالله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدالله ابن تيمية النميري الحراني.

وسبب اشتهاره بهذا اللقب (ابن تيمية) ذكروا سببين أقواهما، وأشهرهما: أن جده الخامس محمد بن الخضر والدته كانت تسمى تيمية، وكانت من العابدات القانتات، واشتُهر نسبةً إليها.

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر بنفسه سبب تأليف هذه الرسالة، وأنها كانت استجابةً لأحد شيوخ الشافعية الذي جاء من واسط.

وواسط -كما تعرفون- الآن محافظة في العراق، محافظةٌ مستقلةٌ، ومدينة واسط ليس لها وجود الآن؛ وهي قريبة من مدينة الكوت المعروفة الآن، وبناها الحجاج بن يوسف؛ لتكون مركزًا للولاة في بلاد العراق.

وظلت هذه المدينة مركزًا أيام بني أمية ثم لما ابتنيت مدينة بغداد فقدت أهميتها، وصارت بغداد هي حاضرة الخلافة.

هذا الرجل جاء إلى شيخ الإسلام كما ذكر شيخ الإسلام بنفسه يقول: «**كَانَ سَبَبُ كِتَابَتِهَا أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيَّ مِنْ أَرْضٍ وَاسِطٍ بَعْضُ قُضَاةِ نَوَاحِيهَا -شَيْخٌ يُقَالُ لَهُ رَضِيُّ الدِّينِ الواسطي مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ- قَدِمَ عَلَيْنَا حَاجًّا**».

طبعًا واسط الذي يذهب من الحج هناك يذهب غربًا إلى دمشق، ومن هناك يتجه جنوبًا إلى المدينة.

«**وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالدِّينِ، وَشَكَا مَا النَّاسُ فِيهِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ، وَفِي دَوْلَةِ التَّتَرِ مِنْ غَلَبَةِ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، وَدُرُوسِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ، وَسَأَلَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَهُ عَقِيدَةً تَكُونُ عُمْدَةً لَهُ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ، فَاسْتَعْفَيْت مِنْ ذَلِكَ وَقُلْت: قَدْ كَتَبَ النَّاسُ عَقَائِدَ مُتَعَدِّدَةً؛ فَخُذْ بَعْضَ عَقَائِدِ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ فَأَلَحَّ فِي السُّؤَالِ وَقَالَ: مَا أُحِبُّ إلَّا عَقِيدَةً تَكْتُبُهَا أَنْتَ؛ فَكَتَبْت لَهُ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ وَأَنَا قَاعِدٌ بَعْدَ الْعَصْرِ**».

سبحان الله! هذه الرسالة كلها ألفها شيخ الإسلام في قعدةٍ بعد العصر إلى المغرب.

« **وَقَدْ انْتَشَرَتْ بِهَا نُسَخٌ كَثِيرَةٌ فِي مِصْرَ، وَالْعِرَاقِ، وَغَيْرِهِمَا.** ».

إذن هذه الرسالة هي من حسنات هذا الشيخ الذي ألح على شيخ الإسلام أن يؤلف له عقيدةً يعتمدها هو وغيره.

وهكذا رسائل شيخ الإسلام أكثرها أو كلها؛ هي كانت تلبيةً منه لرغبات المستفتيين، والطالبين منه أن يؤلف الرسائل في موضوعاتٍ مختلفة، وفي موضوعاتٍ مهمة.

ومن أكاذيب بعض المختلقين الكذابين في هذا العصر أن هذه الرسائل التي اشتهرت بالنسبة إلى البلدان، هذه من اصطناع ابن تيمية ليخيل للناس أنه كان مرجعًا للمسلمين في ذلك العصر: العقيدة الواسطية، العقيدة المارديني‌ة، العقيدة الحموية، التدمرية، قالوا: هذا كله من اختلاق شيخ الإسلام.

ونحن لا نستبعد من هؤلاء الكذابين هذه الكذبات، فهذه بدأت من وقت نبوغ شيخ الإسلام، من ذلك الوقت وهم يكذبون عليه.

وبسبب كذباتهم صارت مناظرة معروفة حول الواسطية ذكرها شيخ الإسلام في بعض رسائله، وهو مودعة في مجموع فتاوى شيخ الإسلام في المجلد الثالث؛ فيها تفصيل عما حدث حول هذه الرسالة الواسطية.

وأن أهل البدع بطوائفهم قد اجتمعوا وألبوا السلطان عليه حتى جاء مرسوم من السلطان في مصر، جاء مرسوم إلى دمشق إلى واليه، لأن دمشق كانت تابعة للبلاد المصرية في ذلك الوقت؛ فاستدعي شيخ الإسلام، وحُقق معه، وكانت هناك مجالس أشهرها مجالس الثلاثة، كلها كانت شبه تحقيق معه.

يذكر شيخ الإسلام في قصته أن الوالي لما فهم تمالؤ القوم، وتعصبهم، وظلمهم لشيخ الإسلام طلب منه أن ينسبها إلى الإمام أحمد، وذلك لرأفةً بالشيخ.

وشيخ الإسلام فَهِمَ منه أن هذا قصده، وقد ذكره بنفسه.

طلب منه أن ينسبها إلى الإمام أحمد، والإمام أحمد إمامٌ لمذهبٍ متبوع، ولأصحاب كل مذهب أن يألفوا في مذهبهم ناسبين إلى إمامهم ما شاءوا، وليس لغيرهم أن يناقشوا في ذلك.

فللحنفي أن يؤلف كتبًا في المذهب، وللمالكي كذلك، وللحنبلي، وللشافعي كذلك.

إلا أن موقف شيخ الإسلام كان موقفًا واضحًا في هذه المسألة، قال شيخ الإسلام جوابًا للحاكم: «**مَا جَمَعْت إلَّا عَقِيدَةَ السَّلَفِ الصَّالِحِ جَمِيعِهِمْ لَيْسَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ اخْتِصَاصٌ بِهَذَا، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ إنَّمَا هُوَ مُبَلِّغُ الْعِلْمِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَوْ قَالَ أَحْمَدُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ مَا لَمْ يَجِئْ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ لَمْ نَقْبَلْهُ، وَهَذِهِ عَقِيدَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ**».

هكذا شيخ الإسلام يثق فيما يكتبه، ويتحرى كتابته حرفًا وجملةً، ويبين أن هذه عقيدة محمدٍ ﷺ، وهي كذلك، لم يذكر فيها جملة إلا وذكر لها دليلًا.

المناظرة كانت في سنة سبعمائة وخمسة (٧٠٥)، وقد ألفها شيخ الإسلام قبل المناظرة بسبع سنين، فيكون تاريخ تأليفها سنة ستمائة وثمانية وتسعين (٦٩٨).

وذكر أيضًا أثناء المناظرة، وهذا نصُّه يقول: «**قَدْ أَمْهَلْت كُلَّ مَنْ خَالَفَنِي فِي شَيْءٍ مِنْهَا ثَلَاثَ سِنِينَ؛ فَإِنْ جَاءَ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ عَنْ أَحَدٍ مِنْ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي أَثْنَى عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ يُخَالِفُ مَا ذَكَرْته فَأَنَا أَرْجِعُ عَنْ ذَلِكَ**».

هكذا أمهلهم ثلاث سنين.

وشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ الحديث عنه سيخرجنا عن الموضوع؛ لأنه عبارة عن مشروع تجديد للدين جاء في وقتٍ كانت المدارس البدعية أو الكلامية، سواءً كانت في البدع العملية أو البدع العلمية، كانت

هذه المدارس مكتملةً بكتبها وأئمتها، وجاء شيخ الإسلام وعمل فيها بعلمه وجهاده وصبره، ولم يبق منها شيئًا.

المدارس الكبيرة خصص لها كتبًا كبيرة، أما المدارس الصغيرة فوجه إليها رسائل تهدم هذه المدارس، لم يترك بدعةً من البدع إلا وأعمل فيها قلمه بالهدم والبناء.

يهدم هذه البدع، ويبين المسلك الصحيح فيما وقعوا فيه من البدع.

أحد الأئمة في ذلك الوقت يلخص جهود شيخ الإسلام، وأثره على علوم الإسلام وهو ابن القوام يقول -وهذه الكلمة حقيقةً أعجبتني جدًّا-: **(ما أسلمت معارفنا إلا على يد ابن تيمية)**؛ لأنك تنظر في أصول الدين العقيدة، تنظر في أصول الفقه، التفسير، الفقه، لا تجد فنًّا من الفنون حتى العلوم اللغوية النحو، والصرف، البلاغة كل هذه العلوم دخلت فيها بدع حتى حرفت كثيرًا منها عن مسارها، وعقدتها وجعلتها معادلات رياضية، وأهمها: علم العقيدة.

أنت لما تقرأ في كتاب «المواقف» مثلًا للإيجي الذي كان معاصرًا لابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، تجد أنه قسم الكتاب في خمس مواقف، الموقف الأخير في الإلهيات؛ يعني: خُمس الكتاب فقط هو الإلهيات، أما المواقف الأربعة الأولى في علومٍ أخرى.

هذه العلوم عليها بنى ما ذكره في الإلهيات، ما ذكره في الإلهيات أغلبه بدع، إذن أين العقيدة التي استقيتها من الكتاب والسنة؟

إذن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ جدد على مسارين:

المسار الأول: علوم الإسلام عمومًا.

والمسار الثاني أيضًا جدد المنهج الحنبلي، لأن الحنابلة أيضًا دخلت فيهم بعض الأمور، ولانتسابه للحنابلة كانت فائدةً عظيمةً، مع إنه إمامٌ مجتهد، وقد شهد على كونه مجتهدًا مطلقًا أعداؤه قبل أصدقائه، فانتسب إلى الحنابلة؛ لأن الحنابلة أيضًا دخلت فيهم بعض البدع، فجدد الحنبلية كما جدد في علوم الدين عمومًا.

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ محنه كثيرة ومتوالية، من غريب أمره أنه لما ذُهب به إلى مصر، جاء مرسوم من السلطان، طبعًا قبل هذا، جاء مرسومٌ من السلطان إلى والي دمشق، أن يُبعث بالبريد إلى

مصر، فأشار عليه بعض الولاة في دمشق، وقالوا: لا تذهب إلى هناك، واكتب كتابًا نحن نصدقه أنك لا تريد هذه المشاكل، شيخ الإسلام أبى؛ وقال: لابد أن أذهب؛ لأن الذهاب فيه مصلحةٌ للمسلمين، فذهب إلى هناك، وسُجن سنةً كاملةً وستة أشهر، والذين سجنوه كانوا يتحيرون؛ إن سُجن فهو عبئ علينا، وإن تُرك فهو عبئ عليهم، يعني: هو في السجن أهدأ بالًا منه، أما هم مخالفوه، فهم دائمًا في قلقٍ: ماذا نفعل بهذا الإنسان، بعدما أُخرج من السجن، وأصحابه وأهله ومعارفه في دمشق ينتظرونه كما تنتظر الوالدة لولدها؛ أرسل لهم رسالة، قال لهم: وتعملون أن مقامنا الساعة في هذه البلاد، يعني: في مصر، إنما هو لأمورٍ ضروريةٍ، متى أهملناها فسد علينا أمر الدين والدنيا، ولسنا والله مختارين للبعد عنكم، ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والرحمة والهداية والبركة ما لم يكن يخطر بالبال ولا يدور في الخيال.

طبعًا نحن الآن، قبل أيام تسامعنا عن فاجعة دماج، وأنا لم كنت أقرأ في سيرة شيخ الإسلام تذكرت أن لله ﷻ في خلقه شئون، وأن كل أمرٍ يريده الله ﷻ كونًا فله في ذلك حكمٌ لا نعرفها، وإلا هذه السجنات التي وصلت إلى تسع، كل سجنة لشيخ الإسلام تنتج كتبًا لولا هذه السجنات والمحن قد لا تكون هذه الكتب، الآن ذهابه إلى مصر، ثم خروجه من السجن، وبقاؤه هناك كانت فيه من الفوائد ما يذكرها شيخ الإسلام بهذه العبارات، وتأثيره في الناس في السجن قد بلغ إلى حد أن المساجين قد أحبوه، حتى إن أحدهم إذا انتهت مدة سجنه طلب البقاء مع الشيخ في السجن ليستفيد منه، وأخذ الناس يتوافدون إلى السجن لسماع الشيخ والأخذ عنه، وهم تحيروا، فأفرجوا عنه وأرسلوه إلى دمشق، وهو في الطريق تشاوروا فيما بينهم، الصوفية وغلاة المتكلمين كلهم قضية واحدة ابن تيمية هي..؛ قالوا: هذا إذا ذهب إلى دمشق سيذهب إلى هناك كالمنتصر، وسيفضحنا والرجل معروف في بيانه وبلاغته وتأثيره، قالوا: ما الأمر؟

قالوا: نرجعه، أرجعوه، طيب نسجنه مرة أخرى ونحن قد أفرجنا عنه، ماذا نفعل؟

نقلوه إلى الاسكندرية، وسجنوه هناك، ولم يجعلوا أحدًا يراقبه حتى يسهل اغتياله، والاسكندرية كانت معقل الصوفية، وموقف الصوفية كان..

لما نقلوه إلى هناك طلابه استغلوا الفرصة، قالوا: الآن ذهب شيخ الإسلام إلى منطقة بعيدة عن أعين المركز، وبدأوا يتوافدون إلى هناك أكثر، تحيروا مرة أخرى.

فأرسلوا له رسالة عبارة عن أربع أسطر، وهذه الرسالة فيها شروط الإفراج عنه ومنها: أن لا يذكر أحاديث الصفات و...، و...، و...، ويرجع إلى منهج المتكلمين في صفة الكلام، وأن الله ﷻ كلامه ليس بحرفٍ وصوتٍ إلى غير هذه الترهات؛ فشيخ الإسلام أرسل إليهم رسالةً، وهي عبارة عن كتاب طُبع في ثلاث مجلدات «التسعينية» رد عليهم في مسألة الكلام في تسعين وجهًا، وبقي في السجن إلى أن جاء محمد بن قلاوون، وكان من محبي شيخ الإسلام، وقُتِلَ الجاشنكير هذا الذي كان يحركه نصر المنبجي الصوفي المعروف وقُتِلَ، وجاء محمد بن قلاوون وأخرج شيخ الإسلام، ونقله إلى القاهرة معززًا مكرمًا، و استشاره في قَتْلِ هؤلاء الذي ألبوا...الناس عليه.

وهنا تتجلى أيضًا قضية شيخ الإسلام لما فهم مراد السلطان، وأنه يريد أن ينتقم منهم بدأ يثني عليه، وبدأ يذكر أنك إذا قتلتهم فلن تجد مثلهم، وأنهم..، وأنهم..، وأنهم.. حتى صرفه كلهم أهل البدع يستحقون..

لو كان واحد مثلنا كان أغراه أكثر، ولكنه لصبره، ولأن عنده هدفٌ، وهو نشر العقيدة، لذلك صرفه عن مراده.

ثم جاء إلى دمشق، وسُجن سجنة أخرى ثم أُطلق سراحه، ثم سجن السجنة الأخيرة ومكث فيها أكثر من سنتين، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قلعة دمشق.

ونحن نعيش هذه الأزمة، أزمة دماج -نسأل الله أن يجعل فيها خيرًا للإسلام والمسلمين- لابد أن نتذكر أن شيخ الإسلام كان نتاج هجرتين وليست هجرة واحدة.

ونأمل ونرجو الله سبحانه وندعوه أن يجعل خروج إخواننا من دماج خيرًا للإسلام والمسلمين، وأن يكونوا سببًا لنشر العقيدة السلفية في ربوع اليمن كلها وفي غيرها.

شيخ الإسلام كما ذكرت هو نتاج هجرتين، هو من حران، حران الآن في جنوب تركيا، وهو في بلاد ما بين النهرين.

ولما دخل التتار إلى هناك هاجرت أسرته وعمره إذ ذاك كان سبع سنين، وجاءوا إلى دمشق واستوطنوا هناك، لما جاء إلى هناك بدأ يتعلم، وأكثر من تأثر بهم هم أسرة ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أسرة ابن قدامة هي الأخرى كانت مهاجرة من بيت المقدس من جماعيل وهي من أعمال نابلس، لما كانت الحرب الصليبية الثانية أو الثالثة..

ابن قدامة ولد سنة خمسمائة وواحد وأربعين (٥٤١)، في نفس السنة بدأت الحملة الصليبية بقيادة لويس الخبيث وملك ألمانيا، وبعد ثماني سنين استولوا على فلسطين، والد ابن قدامة أحمد بقي هناك تقريبًا سنتين يذهب ويرجع، في الأخير طبعًا كان ممن يتأثر به الناس ويجتمعون حوله، فالوالي الصليبي أغراه بعض الناس وقالوا: هذا يريد أن يجمع الفلاحين ضدك، وسيكون له شأن.

فاجتمعوا وقرروا قتله، أحد الصليبين ذهب إلى الشيخ وأخبره بالخبر، ما ندري هل حبًا فيه أو ليخرج ويفتكوا منه؟ الله أعلم.

المهم أخبره بما يدور حوله هناك، فخرج الشيخ من هناك إلى دمشق ثم أرسل رسالة إلى أسرته فجاءوا كلهم خمس وثلاثون، ونجوا بأعجوبة، لأن الصليبين عرفوا أنهم سيغادرون، فكانوا يمشون في الليل ويكمنون في النهار، ووصلوا إلى دمشق، ثم انتقلوا إلى منطقة سميت فيما بعد بالصالحية، وأنشأوا هناك مدرسة سميت المدرسة العمرية.

هذه المدرسة كانت مركز العلم في بلاد الشام، في ذلك الوقت كان محمود زنكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو ملك البلاد، وكان يزوروهم هناك ويطلب منهم الدعاء، شيخ الإسلام تأثر من هذه المدرسة فكان منه ما كان.

فلاحظوا؛ شيخ الإسلام هُجِّرَ من هناك، أُخرج من بلده وجاء إلى دمشق، أسرة آل قدامة خرجوا من هناك وجاءوا إلى دمشق.

فلو لم يكن من الهجرتين إلا وجود شيخ الإسلام لكان كافيًا لأمة الإسلام.

ونحن ندعوا الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يخفف أن إخواننا في اليمن، وأنا حقيقة منذ أن عقلت لم تمر عليّ أزمة أثرت عليّ بهذه الفجاعة أكثر من قضية دماج، وأنتم تعرفون أن الإعلام يسلط الضوء بالقدر الذي يحتاجه، وإخواننا هناك لم يكن لهم من الإعلام بالقدر الكافي وهم محاصرون من أولئك الظلمة، ونسأل الله أن ينتقم منهم.

فنحن لما نقرأ هذه التواريخ لا يسيطر علينا اليأس، بل نؤمِّل خيرًا وندعو الله ﷻ أن تكون في هذه الأحداث خيرًا للإسلام والمسلمين.

هذه الرسالة من الرسائل القليلة التي ذكر فيها شيخ الإسلام أركان الإيمان كلها، وأجمل عقيدة أهل السنة والجماعة في البداية، ثم فصَّل في توحيد الأسماء والصفات؛ لأن الانحراف في هذا النوع من التوحيد في ذلك الوقت كان فاشيًا منتشرًا فلذلك ركَّز على هذا الجانب.

وأهل السنة والجماعة كانوا يتهمون ولا زالوا يتهمون بأنهم مجسمة، وأنهم مشبهة وأنهم حشوية، ولذلك ركز شيخ الإسلام على هذا الجانب.

ثم تناول أيضًا باب القدر بشيءٍ من التفصيل الموجز المركز، وأيضًا ذكر مسائل من الإيمان باليوم الآخر، وذكر بعض مسائل تتعلق بالإيمان بالرسل، مثلًا: مسائل الكرامة وغيرها.

ثم ذكر أيضًا كون مذهب أهل السنة والجماعة وسطًا بين الفرق، هذه المسألة أشار إليها إشارة عابرة لم يركز عليها، وذكر أيضًا مذهب أهل السنة والجماعة في الصحابة، وختم هذه الرسالة العظيمة ببيان منهج أهل السنة والجماعة في باب الأخلاق.

فهي رسالة جامعة في أبواب التوحيد، ورسالة مختصرة ومركزة، وقد ذكر شيخ الإسلام حول مناظرته على هذه العقيدة أنه ليست هناك جملة ذكرها هنا إلا وفيها مخالفٌ لأهل السنة والجماعة في تلك الجزئية.

والمتعمق فيما يذكره شيخ الإسلام يتلمس أنه يقرر من ناحية ويرد على الفرق من ناحية.

ولم يتعرض فيها لمذاهب أهل البدع بالتفصيل، إما اكتفى فيها بتقرير مذهب أهل السنة والجماعة.

وكما ذكرت المتأمل في عباراته يجد فيها إشارات إلى الرد على أهل البدع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا. وأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ - وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا مَزِيدًا.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: وَهُوَ الإِيمانُ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خِيْرِهِ وَشَرِّهِ.

---

**الشرح:**

بدأ شيخ الإسلام رسالته بالبسملة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الباء في (بسم الله) الباء الجارة وهي مع مجرورها تحتاج إلى متعلق.

وكما تعرفون أن المتعلق اختلف فيه النحاة فبعضهم يجعله اسمًا، وبعضهم فعلًا، والمتعلق يكون مناسبًا للعمل الذي يبدؤوه الإنسان، فنحن الآن نقرأ مثلًا ونقول: نقرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ قراءةٌ يكون الفعل المناسب للعمل الذي يمارسه الإنسان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ معناها: نقرأ مستعينين بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

والله ﷻ لما أرشد نبيه في أول سورةٍ نزلت عليه، وأمره بالقراءة ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق:١] هنا أشار إلى وسائل تستعين بها في القراءة: وسائل معنوية، ووسائل مادية.

أهم الوسائل المعنوية: الاستعانة بالله ﷻ.

إذن بسم الله الرحمن الرحيم: نقرأ مستعينين بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

**والله**، هذا علمٌ على الذات المقدسة، وأصلها الإله، أصلها: إله، ولما تدخل فيها (ال) للتعريف تكون الإله، حذفت الهمزة لكثرة استعمالها تخفيفًا، فأدغمت اللام للتعريف في اللام الثانية وفخمت وصارت الله.

وهي من الألوهية؛ والألوهية معناها: العبادة.

وأدق من هذا الألوهية: عبادة الله ﷻ مع المحبة والتعظيم، هذا معنى الله.

**الرحمن الرحيم**: اسمان كريمان لله ﷻ يجمعان صفة الرحمة.

**الحمد لله**، الالف واللام هنا للاستغراق.

**والمعنى**: أن جميع المحامد لله ﷻ.

الحمد -كما ذكر شيخ الإسلام-: هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له، هذا هو الحمد.

واللام هنا للاستحقاق، وضابط اللام التي تكون للاستحقاق أنها تأتي بعد المعاني دون الأعيان.

والمعنى: أن جميع المحامد يستحقها الله ﷻ فقط.

**الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى**، الله ﷻ لما يذكر محامد نفسه يذكر بعدها بعض الأمور التي يستحق بها الحمد، وقد ذكر المؤلف هنا نعمة الرسالة، ولا شك أنها نعمةٌ عظيمة يستحق الله ﷻ بها الحمد إلى غيره من الأمور التي يستحق لأجلها الحمد.

**الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ**، أرسل رسوله، لماذا أرسله؟ وبماذا أرسله؟

أرسله بالهدى ودين الحق.

الإنسان عنده قوتان: قوة علمية، وقوة عملية.

وهو بحاجةٍ إلى الغذاء، وبحاجةٍ إلى الاستكمال في كلتا القوتين إن لم يستكمل فيهما بالحق فإنه يستكمل فيهما أو يقع فيهما في الباطل.

**الهدى**: هو كمال العلم، وبه تكتمل القوة النظرية العلمية.

إذن لا يحتاج إلى أي فلسفةٍ أخرى، لا يحتاج إلى أي إرشادٍ آخر في استكمال قوته النظرية العلمية؛ ففي ما جاء به النبي ﷺ إشباعٌ لمهمته ولحاجته من ناحية العلم.

**ودين الحق**: هذا كمال العمل، القوة العملية الارادية.

أنت تنظر إلى القبوريين والمشركين وتجد رغبتهم في الأعمال الشركية، وكأن هناك من يسوقهم سوقًا، لماذا؟ لأنه لم يهتد إلى كمال العمل، لم يهتد بنور النبي ﷺ فوقع في هذه الخرافات، والنبي ﷺ جاء بكمال العلم مع كمال العمل.

**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**، هذا اقتباسٌ من آخر سورة الفتح إلى آخر الآية.

لاشك أن دين الله ﷻ ظاهرٌ وغالبٌ، وذلك من ناحيتين:

الناحية الأولى: ظهور علمٍ وبيان ليس فيها أي غموض، ليس فيها أي تعقيد كل من يريد أن يهتدي بهذه الهداية فله ذلك.

والنوع الثاني من الظهور: ظهور السيف والسنان، وهذا أيضًا من أنواع الظهور.

الله ﷻ يظهره بالدلائل، ويظهره بالآيات العلمية التي تبين أنه حق، ويظهره أيضًا بنصره وتأييده المستمر على مخالفيه ويكون منصورًا.

طبعًا حتى في الفترات التي تكون العقيدة الصحيحة وأصحابها قليلون تكون هناك فِئَةٌ «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقْ».

**وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا**، من الذي يشهد أن النبي ﷺ جاء بكمال العلم، وكمال العمل؟

أول من يشهد له الله ﷻ، وهل بعد شهادة الله ﷻ شهادة؟

الله ﷻ يشهد؛ لأن شهادته وحده كفاية بدون ما يُنتظر من الآيات، الآيات المعجزات؛ فكيف إذا أعطاهم بعدها بالآيات التي تظهر صدقهم، وتظهر أنهم صادقون وليسوا كاذبين؟

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد:٤٣].

وشهادة الله ﷻ للنبي ﷺ، وكذلك للكتاب الذي أنزل عليه تكون أيضًا بأمرين:

الأمر الأول: بأقواله التي أنزلها على الأنبياء قبله.

فهناك كتب سبقت القرآن، وفيها من الآيات التي تبين أن هذا النبي الذي سيكون آخر الرسل هو صادقٌ، ومن علاماته كذا وكذا.

وأيضًا تكون بأفعاله: وهو ما يحدثه من الآيات والبراهين التي تدل على صدقه، ويكون الله ﷻ قد صدَّقهم فيما أخبروا به عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون.

ثم قال شيخ الإسلام: **وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ**، (أن) هنا تفسيرية، وضابط (أن) التفسيرية أنها دائمًا تكون بعد كلمةٍ فيها معنى القول دون حروف القول.

مثلًا: أشهد، نادى، أوحى، قضى، أمر، وصى.

هذه الكلمات فيها معنى القول دون حروف القول، إذا كانت (أن) بعد هذه الكلمات فهي تكون تفسيرية.

لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، (لاَ إِلَهَ) سبق أن ذكرنا أن الإله هو المعبود مع المحبة والتعظيم، وليس معنى الإله هو القادر على الاختراع! كما ذكر ذلك المتكلمون.

المتكلمون من الأشاعرة والماتريدية يرون أن الإله معناه القادر على الاختراع.

القدرة على الاختراع هذا من معاني الربوبية، وليس من معاني الألوهية، وهم يخلطون بين نوعي التوحيد، لا يكادون يذكرون توحيد العبادة توحيد الألوهية قسمًا مستقلًا؛ يُرجعونه إلى توحيد الربوبية؛ فلذلك تجد أن الخرافة والقبورية المنتشرة هذه لا تناقض أصل التوحيد عندهم، حتى من اعترف بأنهم يقعون في الشرك فإن في مذهبه تمهيدًا له، لأنه ليس مناقضًا لأصل التوحيد.

**والصحيح أن الإله معناه**: المعبود، وليس القادر على الاختراع.

لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ هذه كلمة مركبة من النفي والإثبات، ولابد من الجمع بينهما، فمن يكتفي بالنفي؛ فهو ملحد لا يثبت شيئًا، ومن يكتفي بالإثبات؛ فهو مشرك، لأنه لا ينفي ألوهية غير الله ﷻ.

وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، هاتان الكلمتان تأكيد للنفي والإثبات الذي ورد في الكلمة، كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» فيها إثبات ونفي.

(وحده) فيها تأكيد للإثبات، (لا شريك له) فيها تأكيد للنفي.

إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، (لا إله)، (لا) هنا: نافية للجنس، وهي تحتاج إلى اسم وخبر، واسمها موجود هنا، واسمها يكون منصوبًا لا إله، (إله) اسمها، والخبر عمومًا إذا كان معروفًا، فمن أساليب العرب أنهم إذا كان الخبر معروفًا فإنهم يحذفونه لأنه معروف.

ولننظر هنا: ما هو المعروف؟ ما هي المسألة التي اختلفوا فيها حتى نفترضها خبرًا؟

لا إله، ماذا؟

لا إله موجودٌ، لا إله حقٌّ، ماذا؟

هل كانوا يختلفون في وجود الله ﷻ؟

ما كانوا يختلفون في هذا.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر:٣٨]، ليس هناك خلافٌ في..، المشرك عمومًا -لا أتحدث عن الكافر- يكون مِمَّن يُثبت وجود الله ﷻ؛ فيكون مشركًا، لأنه يشرك مع الله ﷻ غيره في ألوهيته، في ربوبيته، في أسمائه وصفاته.

إذن ليس هناك خلافٌ في وجود الله ﷻ، ما الذي فيه خلاف؟

في أحقية العبادة.

من هو المستحق لوحده للعبادة؟

هذه هي المسألة المطروحة.

بما أن المسألة معروفة، فلذلك لم يُذكر الخبر فنقدِّر الخبر: لا إله حقٌّ، لا إله بحقٍ، أما الذي يقول: لا إله موجودًا، فهذا لا يخلو من أمرين:

الأمر الأول: قد يكون جاهلًا ما يدري أن غير الله ﷻ أيضًا يعبد، فهذا يُعلَّم.

وقد يكون من الحلولية والاتحادية؛ قد يرى أن كل من يعبد فهو الله؛ إذن هذا ملحدٌ، وهذا كثيرٌ، لأن الصوفية الحلولية والاتحادية يرون أن كل ما تراه هو مظهر من مظاهر الله؛ إذن كل ما يُعْبَد فهو عنده إله.

إذن الصحيح الذي هو المتعين أن خبر (لا) هو: (بحقٍّ) أو (حق)، لأن الخلاف في الأحقية، وليس الخلاف في وجود الله ﷻ، لأن القوم كانوا يعترفون بوجود الله ﷻ.

وَأَشْهَدُ، ما هي الشهادة؟ هل هي بمعنى: أقول؟ أو هل هي بمعنى: أعترف؟

الشهادة تتضمن أكثر من هذين المعنيين، فيها من المعاني أكثر من هذا.

الشهادة دائمًا تتضمن الاعتراف والاقرار، يتبعهما إعلامٌ وإخبار، لابد أن يكون معترفًا بقلبه، مصدِّقًا، موقنًا بقلبه، ولابد أن يكون معلنًا لما يعتقده، فإذا كان معترفًا بقلبه، مصدِّقًا بقلبه ولا يعلن بلسانه فهذا ليس ممن يشهد، وإذا كان يعلن بلسانه ولم يكن موقنًا؛ فهذا منافق.

إذن الشهادة تتضمن القبول والاعتراف الذي ينبني عليه الإعلام والإخبار.

وأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا.

الإقرار يكون باللسان، والإقرار مبيَّن ومضمن في (أشهد)، ذكره شيخ الإسلام هنا للتأكيد.

إِقْرَارًا بِهِ هذا ذكره للتأكيد.

إِقْرَارًا بِهِ؛ أي: باللسان.

وَتَوْحِيدًا؛ قصد به شيخ الإسلام معنى الإخلاص.

يعني: أشهد بهذه الشهادة العظيمة، وأعلنها بلساني، وأنا فيها مخلص.

وَتَوْحِيدًا؛ أي: مخلصًا في أعمالي، وفي أقوالي.

التوحيد هنا بمعنى: الإخلاص.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ هذه الشهادة للنبي ﷺ.

هذه الشهادة فيها شهادة بأمرين: الأمر الأول: أنه عبده، وليس إلهًا، هذا فيه رد على من يألهونه.

وَرَسُولُهُ؛ هذا فيه رد على من يستخفون به وهم اليهود وغيرهم.

إذن النبي ﷺ مكانته أنه عبدٌ من عبيد الله ﷻ، ليس له من خواص الألوهية شيء والربوبية إلا أنه أكرمه الله ﷻ بالرسالة.

- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ- وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا مَزِيدًا.

الصلاة على النبي ﷺ هي سؤال الله ﷻ أن يثني على رسوله، وأن يظهر فضله وشرفه، وأن يكرمه ويقربه.

إذن هذا دعاءٌ للنبي ﷺ بهذه الأمور.

وَعَلَى آلِهِ، الآل اختلفوا في معناه: بعضهم قال: الآل كل من يُدلي إليه بسبب وبنسبٍ، وكثير من العلماء رجحوا أن معنى الآل هنا: كل من اتبعه، والله أعلم.

وَصَحْبِهِ، الصحب؛ هم الصحابة، والصحابي: كل من التقى بالنبي ﷺ ومات على الإسلام.

وَسَلَّمَ تسليمًا مَزِيدًا.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذَا اعْتِقَادُ، (فَهَذَا) إشارة إلى الكتاب الذي سيؤلفه أو إلى الكتاب الذي ألفه.

اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، الاعتقاد، العقيدة من عَقَدَ، يَعْقِدُ، عَقِيدَة على وزن فَعِيلَة بمعنى: معقودة، فسميت العقيدة عقيدة؛ لأنها مما يعقد الإنسان عليها قلبه، وسميت العقيدة عقيدة أيضًا؛ لأنها لا تقبل الشك، ويجب فيها الإيقان والجزم.

فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، الفرقة: هي الطائفة.

والناجية، ناجية من ماذا؟

ناجية من الأهواء والبدع في الدنيا، وناجية من النار في الآخرة.

الناجية من الأهواء والبدع في الدنيا، وفائدة هذه النجاة: النجاة من النار في الآخرة.

**الْمَنْصُورَةِ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ**، المنصورة؛ هذا وعدٌ من الله ﷻ أن أصحاب هذه العقيدة منصورون، وهذا الوعد متحققٌ بإذن الله.

يقول شيخ الإسلام: فإنه لم يزل ولا يزال فيه طائفةٌ قائمةٌ بالهدى ودين الحق، ظاهرةٌ بالحجة والبيان، واليد والسنان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

ثم سمى هذه الفرقة الناجية المنصورة بلقب شريف جدًّا، وهو لقب **أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**.

**أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ** هذا بدلٌ من قوله: الفرقة الناجية المنصورة.

من هم أهل السنة والجماعة؟

أهل السنة والجماعة: هم المختصون بالسنة.

كما تعرفون أهل الشيء هو أخص الناس به، أهل البيت، أصحاب البيت.

من هم أهل السنة؟

من اختصوا بالسنة، ومن يهتمون بالسنة روايةً ودرايةً، ومن يهتمون بالسنة، وعُرِفُوا بالاهتمام بالسنة، وبالإيمان بالسنة، وباعتقادها.

ومن هم؟ هل هم المتكلمون؟

هل رأيتم المتكلمين يسافرون إلى البلاد النائية، إلى الأقطار المختلفة بحثًا عن الحديث وكتابة السنة؟.

لا، لأنهم دائمًا يردون على المحدِّثين، المحدِّثون عندهم زوامل أسفار، والحشوية، سموهم حشوية، لأنهم شبهوهم بالذي يحشو بكل ما..، لا يُميزون بين الغث والثمين.

إذن من يكون أهل السنة؟

هذا الذي يعير أهل السنة ويلزمهم بشتى..، هذا يكون من أهل السنة؟ ولاَّ أهل السنة هم الذين يهتمون بالسنة؟

من الواضح، أهل السنة متميزون باهتمامهم، وبارتباطهم بالسنة، إذن إذا قارنا بين الدارمي وبين معارضه أو بين المريسي وبين الإمام الشافعي، وبين الإمام البخاري وبين معارضيه، وبين الإمام أحمد السنة وأحمد بين أبي دؤاد أحمد البدعة، إذا قارنا بينهم، هل سنتردد في إطلاق أهل السنة على أحدهما؟

أبدًا، الأمر واضح.

من الذي يهتم بالسنة حتى يكون من أهل هذا اللقب؟

طبعًا هو الذي اهتم بالسنة؛ ولذلك من غريب ما نلمسه في هؤلاء البدع: أنك دائمًا ترد على السنة، وتدعي أيضًا أنك من أهل السنة، بل تبعد عن السنة أهلها، من اهتموا بالسنة تشهر به، وتلصق به التهم والأكاذيب، ودائمًا عداوتك معه في كل شيء، ومع ذلك أنت أهل السنة؛ أليس هذا غريبًا؟

أنت دائمًا بضاعته عندك كاسدة، بضاعته ليست البضاعة التي يهتم بها، أنت مغرمٌ بالفلسفة، قال الحكماء، قال الحكيم، قال الأوائل، قال بقراط، سقراط، أرسطو، أفلاطون هذه بضاعتك، ومع ذلك تكون أنت أهل السنة...

والأئمة وأصحابهم، تلاميذهم شيوخهم ليسوا من أهل السنة.

إذن هذا اللقب لا يستحقه إلا من اهتم بالسنة روايةً ودراية.

إلا من اهتم بالسنة، وآمن بها، واهتم بها.

**والجماعة**، أهل السنة أيضًا تميزوا بكونهم أهل الجماعة، لأنهم يجتمعون على منهجٍ واحدٍ، أنت قارن بين ما كتبوه في العقيدة، خذ لك كتابًا ألفه أحد الأئمة الأندلسيين وكتاب ألفه أحد الأئمة الخرسانيين وكتاب ألفه أحد الأئمة في اليمن مثل العمراني، طبعًا الأئمة في اليمن قلة الآن للأسف، وكتاب ألفه أحد الأئمة السجستانيين مثلًا السجزي، وقارن بينها، تجد المنهج واحد، منهج التلقي تجده واحدًا لا اختلاف بينهم في هذا الأمر البتة، تجد خلافات في بعض الأمور، في فهم بعض النصوص، ولن تجد بينهم خلافًا في مصادر التلقي، ولن تجد بينهم خلافًا في الخطوط العامة، ولذلك هم أهل السنة والجماعة، والجماعة من الاجتماع، والاجتماع ضد الافتراق والفرقة؛ لأنهم دائمًا مجتمعون على الكتاب والسنة؛ إذن هم الوحيدون الذين يستحقون هذا اللقب الشريف: أهل السنة والجماعة.

نكتفي بهذا القدر وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه.

كنا وصلنا إلى بداية حديث شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عن أصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة، حيث قال:

**أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ: أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: وَهُوَ الإِيمانُ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، والإِيمَانِ بِالْقَدَرِ خِيْرِهِ وَشَرِّهِ.**

---

**الشرح:**

هذه هي أركان الإيمان الستة على ترتيب حديث جبريل، الذي أخرجه الإمام مسلم في بداية صحيحه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو حديثٌ متفقٌ عليه من رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن أفراد الإمام مسلم من رواية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذه هي أصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

والأدلة على هذه الأصول كثيرةٌ جدًّا في القرآن والسنة، منها حديث جبريل الذي على ترتيبه يمشي على المصنفون عمومًا، الذين يصنفون في العقيدة من أهل السنة يمشون على ترتيب حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومن المناسب هنا أن نشير إلى أصول الإيمان عند غير أهل السنة والجماعة.

مثلًا أصول الإيمان عند المعتزلة، وأصول الإيمان عند الرافضة، وأصول الإيمان عند الكلابية وأتباعهم، كلٌّ له أصولٌ ويعتقدون أن تلك الأصول هي أصول الدين، ولهم كتبٌ تحمل هذا الاسم، «أصول الدين» للبغدادي الأشعري، «أصول الدين» للبزدوي الماتريدي، و«أصول الدين» عند المعتزلة، الجميع عندهم أصول الدين.

**أصول الدين عند المعتزلة خمسة:**

**١) التوحيد.**

ولا يتم عندهم إلا بنفي الصفات، ويقصدون به نفي الصفات، لأن إثبات الله عَزَّ وَجَلَّ، إثبات وجوده، وإثباته واحدًا؛ لا يتم عندهم إلا بنفي الصفات، هذا هو الأصل الأول.

**٢) الأصل الثاني: العدل.**

وفي العدل يحاكمون الله ﷻ إلى عقولهم، فالعدل هو الذي يرونه عندلًا، وبه يحاكمون النصوص، وإليه يحاكمون جميع النصوص التي تخالف العدل التي رسموه؛ يعتبرونه من المتشابهات.

**٣) الأصل الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

كل الأصول في ظاهرها جميلةٌ، ولا أحد يخالفهم في الظاهر؛ هل هناك من يخالفهم في التوحيد، والعدل، وأن الله ﷻ عادلٌ وأنه عدلٌ في حكمه وفي فعله؟

لا أحد يخالفهم؛ إلا أن لهم معانٍ خاصةً بهم لهذه الأصول.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا الأصل الذي يستخدمونه للخروج على الحكام، ولإرغام المخالفين على أصولهم.

المعتزلة يمتازون بجرأةٍ لا مثيل لها إلا عند شيوخهم في هذا الأصل وهو الخوارج، ويفترقون في شيءٍ، في الجرأة: أحدهم أجرأ من الثاني، ولكن الخوارج هم أهل الميدان، يطبقون ما يرونه في الميدان، والمعتزلة ليسوا من هذا الباب، كل ما يرونه يطبقونه في كتبهم، ليسوا من أهل الكر والفر مثل الخوارج، ولذلك تجد أن المنزلة بين المنزلتين مع أنه في النتيجة مثل الخوارج، الخوارج صاحب الكبيرة عندهم كافر، وعند المعتزلة في منزلة بين المنزلتين، وهذا هو الأصل الرابع.

٤) وبهذا الأصل يخرجون صاحب الكبيرة من الإيمان، ولكن لا يدخلونه في الكفر، فهو يبقى في **المنزلة بين المنزلتين**، هذا في الدنيا؛ مع أنه في الآخرة: خالدٌ مخلدٌ في النار.

ومن مظاهر جرأة شيوخهم الخوارج هنا؛ أنهم يعاملون هذا الكافر معاملة الكافر في الدينا، وهؤلاء المعتزلة يقولون: لا، نعامله معاملة المسلم، وهو في المنزلة بين المنزلتين وفي الآخرة خالدٌ مخلد في النار.

**٥) الأصل الخامس والأخير: إنفاذ الوعيد.**

وبهذا الأصل ينفون الشفاعة وينفون كثيرًا من الأصول التي جاءت بها النصوص.

فهذه هي أصول المعتزلة، فالمعتزلة هم أئمة المتكلمين، وهم يدعون أنهم أئمة المتكلمين ويصدقونهم فيها من يقلدهم؛ الأشاعرة والماتريدية يصدقونهم فعلًا أنهم أئمة المتكلمين.

**وأصول الدين عند الرافضة:**

**الأصل الأول عندهم: التوحيد.**

**الأصل الثاني عندهم: العدل.**

هل اختلفوا مع المعتزلة؟

لا؛ لأن هناك تلاقٍ بين الفرقتين من قديم الزمان، من بداية النشأة هناك تلاقٍ بين الفرقتين؛ لذلك تجدون أن من أهم كتب المعتزلة الأصول هي كتب الزيدية والروافض، وخاصةً أهل اليمن، فأهل اليمن يرجع إليهم الفضل في حفظ كتب المعتزلة، هذا «المغني للقاضي عبد الجبار، الذي طبع في أكثر من (٢٥) مجلد، وُجد في اليمن.

**الأصل الثالث: النبوة.**

**الأصل الرابع: الإمامة.**

هذان الأصلان خاصان بهم، أما الأصلان الأولان فمأخوذان من المعتزلة.

هذه أصولهم؛ تبدأ من مناقضة التوحيد الذي يجب أن نثبته لله رب العالمين؛ إثبات الصفات، فأصولهم تبدأ من مناقضة التوحيد.

أما أصول أهل الإسلام، أصول المسلمين، أصول أهل السنة والجماعة هذه الأصول الستة، وكل ما في الاعتقاد تفصيلٌ لها.

طبعًا ذكر هذه الأصول إجمالًا ثم ذكرها مفصلةً، ولكن في التفصيل لم يذكر بعض الأصول، فصل في الأصل الأول، بل فصل في بعض جوانبه، وفصل في بعض مسائل القدر، وفي بعض مسائل الإيمان باليوم الآخر، وبعض الأصول لم يفصل فيها.

وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ.

---

**الشرح:**

ركز شيخ الإسلام في المناظرة التي كانت حول الواسطية على شيءٍ مهمٍ وكرره مرارًا، أنه لم يذكر في هذه العقيدة إلا ما كان في الكتاب والسنة، حتى الألفاظ تحرى فيها تحريًّا دقيقًا جدًّا.

وسنلاحظ هذا الشيء في جميع الرسالة.

وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، نحن الآن بدأنا في توحيد الأسماء والصفات، وبدأنا ننظر إليه على أنه من صميم التوحيد، لسنا في علم الكلام، لسنا في القيل والقال، لسنا في معركةٍ مع فلانٍ أو علانٍ، مع أرسطو أو مع النظام أو مع العلاف أو مع المريسي؛ لا ؛نحن الآن في صميم الإيمان؛ بعدما أجمل الآن بدأ يفصل.

ولكن لماذا التفصيل أكثر في توحيد الأسماء والصفات؟

لأنه كما تعرفون؛ أن الانحراف بدأ في هذا الباب مبكرًا، مع بداية الجهمية، والجهمية والجهم بن صفوان والجعد بن درهم هؤلاء عاصروا التابعين، فهذا الانحراف مبكرٌ، واتسع خرقه، وبدأ يتسع إلى أن جاء لما وصل دور المعتزلة اكتملت المعتزلة، وصاروا هم رواد الجهمية؛ حتى الجهم ليس له دورٌ يذكر إلا دور النشأة، وبعد ذلك أخذ الدور المعتزلة، فهم الذين نشروا التجهم، يعني: لما نذكر التجهم نخص به باب الأسماء والصفات.

لأن جهمًا كما تعرفون جاء بأصولٍ ثلاثةٍ هو إمامهم فيها: في الأسماء والصفات التعطيل، في القدر الجبر، الجبرية الغلاة إمامهم الجهم، وفي الإيمان الإرجاء الخالص، المرجئة الخالصة إمامهم الجهم.

ولكن اشتهر في هذا الباب أكثر من البابين الآخرين.

فنحن لما نقول الجهمية نقصد هذا الباب.

وما دام أن هذه البلية انشرت وتبنتها المدارس، وهي حديث الساعة في ذلك الوقت، لذلك أئمة السنة كانوا يفصلون في هذا، وهذا هو السر في كثرة وجود كتب السنة في هذا الباب، كتب السنة الأوائل، العقيدة التي ألفها الأئمة الأوائل أكثرها في هذه المسألة، وقارنها بكتب الأئمة المتأخرين؛ كتب الشيخ

محمد بن عبد الوهاب تجدها تركز على توحيد العبودية توحيد الألوهية؛ لأن هذه البلية انتشرت في زمانهم أكثر.

لذلك كتب أهل السنة تجدها تترجم واقع تلك البيئة، يعني: من خلال القراءة تعرف ما الذي كان منتشرًا في ذلك الوقت.

**وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ**؛ إذن من لم يؤمن **بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ** ﷺ فليس مؤمنًا؛ لأن هذا أحد أقسام التوحيد.

لأن التوحيد كما تعرفون ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية .

توحيد الألوهية.

توحيد الأسماء والصفات.

وبعض الناس يقسمونه إلى أربعة أقسام، ويقولون: القسم الرابع هو توحيد الحاكمية؛ وهذا خطأ؛ لأن توحيد الحاكمية شيءٌ منه يدخل في توحيد الربوبية وشيءٌ منه يدخل في توحيد العبودية؛ لأن تنفيذ الحكم امتثال أحكام الله، والعمل بها، هذا تعبدٌ، من يمتثل الأحكام الإلهية، لماذا يمتثل؟ لأنه يتعبد بها، يتقرب بها إلى الله ﷻ.

إذن هذا يدخل في توحيد العبودية.

أما الإيمان بأن الله ﷻ هو الذي يحكم، وله الحكم، فهذا يدخل في توحيد الربوبية؛ لأن الله ﷻ له الأمر وله الحكم.

إذن هذا إفراد الله بأفعاله، هذا توحيد الربوبية.

وإفراد الله بأفعالنا نحن، هذا توحيد الألوهية.

إذن لا داعي لإفراده قسمًا واحدًا، قسمًا مستقلًا.

مع ما فيه من مخالفة السلف وأهل السنة، هل جئت بجديدٍ أنت في هذا؟

إضافةً إلى أن من أضافوا هذا القسم لم يكونوا من المتخصصين، لأنه قد عُرف حالهم في بعض التقلبات.

وَمِنَ الإيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، المصدر الأول لتلقي التوحيد.

وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ ، هذا هو المصدر الثاني.

إذن عرفنا المصادر، لن نجد مصدرًا آخر لتلقي العقيدة في هذه الرسالة، لن نجد قال الحكيم، قال فلان؛ هذه لن نجدها؛ لأن مصادر العقيدة مصدران لا ثالث لهما.

بعد هذا التقعيد ذكر شيخ الإسلام بعض المحترزات وبعض القيود التي تمحض منهج أهل السنة والجماعة.

قال: مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ.

رد بهذه المحترزات على بعض أهل البدع.

من غير تحريفٍ ولا تعطيل، هذان القيدان يرد بهما على المعطلة؛ لأن المعطلة هم المعطلة النفاة، والتعطيل هو الإخلاء؛ تخلي الشيء عن شيءٍ، هو تعطيل؛ هم يعطلون الله ﷻ عن أسمائه الحسنى وصفاته العلى، على تفاوتٍ بينهما في التعطيل.

وفي التعطيل يستخدمون التحريف، هذا منهجم؛ التحريف الذي يؤديهم إلى التعطيل.

إذن بهذين القيدين يتميز منهج أهل السنة عن منهج المعطلة.

ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل: بهذين القيدين يرد شيخ الإسلام على من يثبت، ولكن يغلو في إثباته فيقع في التكييف أو التمثيل.

نلاحظ أن شيخ الإسلام لم يستخدم في هذه الألفاظ إلا مصطلحات شرعية، تمثيل، ورد نفيه في الكتاب في القرآن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

تكييف: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:٤].

تعطيل: هو النفي.

تحريف: ذكر في المناظرة أيضًا أنه عدل عن التأويل إلى التحريف؛ فهو يقصد هنا بالتحريف التأويل، ولكنه استخدم التحريف ولم يستخدم التأويل؛ لأن التأويل في بعض معانيه الصحيحة لا ننفيه،

التأويل بمعنى التفسير لا ننفيه، تأويل قوله كذا كذا، كما نراه عند ابن جرير؛ لأن التأويل من معانيه التفسير والبيان، ومن معانيه ما تؤول إليه حقيقة الشيء، وهذان المعنيان معنيان صحيحان للتأويل.

فلو قال: من غير تأويلٍ، كان النفي يشملهما إذن، فعدل عن التأويل؛ مع أن التأويل الذي سينفيه التأويل المذموم، ولكن عدل عنه إلى التحريف.

**التحريف**: هو الانحراف من الميل.

والمحرف هو المؤول، التأويل الذي نجده في كتب أهل البدع هو التحريف بعينه، وتعريفه هو تعريف التحريف بعينه، وهو : صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، ثم يقولون: بدليلٍ يقترن به.

وهذا لا يصح، ليس هناك أن دليلٍ يقترن بتأويل المتكلمين، ولذلك نكتفي بهذا: صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح، هذا الذي يقصدون به التأويل.

والتحريف المراد به هنا التأويل، الذي يستخدمه المتكلمون.

والتحريف والتعطيل بينهما صلة الوسيلة والغاية: دائمًا يكون التحريف في الدليل، والتعطيل يكون في المدلول؛ فإن التحريف وسيلة، والتعطيل غاية.

المؤول لما يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥] لما يقول: معنى الاستواء هو الاستيلاء؛ لأن عنده غاية يريد أن يصل إليها، وهي: نفي الاستواء، لماذا يكلفه إذا أثبت الاستواء؟

لا يكلفه شيء؛ إلا أنه يريد تعطيل المعنى الصحيح للآية، وبذلك يكون قد نفى المدلول المراد، واستخدم وسيلةً هي التحريف؛ التأويل.

إذن التحريف وسيلةٌ والتعطيل غايةٌ.

أيضًا: التحريف في الدليل، كيف وصل إلى نفي الاستواء الصحيح، المراد؟

لأنه حرف في الدليل؛ لما حرف في الدليل، حصل أن المدلول المراد وصل إلى نفيه؛ إذن التحريف يكون في الدليل والتعطيل يكون في المدلول المعنى المراد.

أيضًا: التكييف والتمثيل: التكييف هو ذكر الكيفية، أو: توهم الكيفية، توهم كيفيةٍ معينةٍ لصفات الله.

أن يتوهم كيفية معينة ليد الله، يتوهم كيفية معينة لسمع الله، لبصر الله؛ لصفاته أو لذاته.

وإذا قارن هذه الكيفية بمماثلٍ فيكون تمثيلًا.

مثلًا: نحن نتحدث عن المشبهة، يقول: كيفية يد الله كذا وكذا، مثل يد فلان. في قوله الأخير صار ممثلًا، في توهمه لكيفيةٍ معينة، لكيفيةٍ ما ؛ صار مكيفًا.

إذن بين التكييف والتمثيل عمومٌ وخصوصٌ مطلق، كل ممثل مكيف؛ لأن التمثيل يمر عبر التكييف، وليس العكس، ليس كل مكيفٍ ممثلًا؛ لأن بعضهم يقول: كيفية يد الله كذا وكذا، ولا يقارنها بمماثل.

المراد من نفي التكييف والتمثيل هو نفي التشبيه، ولكن لم يذكر شيخ الإسلام في الكتاب كله، مع كل التأكيدات، لم يذكر نفي التشبيه؛ لأن نفي التشبيه يدخل فيه أيضًا نفي ما قد يكون صحيحًا.

جميع المعطلة وقعوا في التعطيل بحجة نفي التشبيه: الجهمية قالوا: ننفي الأسماء والصفات؛ لأن إثبات الأسماء لله يجعله مشابهًا للمخلوقين، وننفي الصفات؛ لأن إثبات الصفات يجعله مشابهًا للمخلوقين.

المعتزلة قالوا: ننفي الصفات فقط؛ لأن إثباتها تشبيهٌ.

بقية الفرق الأشاعرة والماتريدية: قالوا ننفي بعض الصفات؛ لأن إثباتها تشبيهٌ.

إذن التشبيه هو الدليل الوحيد لجميع المعطلة على تفاوتٍ في تشبيههم.

ونفي التشبيه يدخل فيه ما هو حقٌّ وما هو باطلٌ، نفي أن يكون الله ﷻ شبيهًا بخلقه في ذاته في أسمائه في صفاته في أفعاله هذا حقٌّ، ونحن نقول به، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١].

هذا حقٌّ، ولكن نفي أسماء الله أو بعضها ونفي صفات الله أو بعضها بحجة أن فيه تشبيهًا لخلقه، هذا باطلٌ؛ لأن الله ما دام أثبت لنفسه هذه الأسماء وهذه الصفات، ونحن نثبتها مضافةً إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا تشبيهٌ؛ لأن الصفات تتحدد بالإضافة، يد الله ما دام أنك أضفتها إلى الله فهي تتحدد بالمضاف، ويد المخلوق تليق بكونه مخلوقًا، ويد الله تليق بكونه خالقًا، فليس هناك تشبيهٌ.

حتى في المخلوقين: لما تحدد وتضيف ينتهي التشبيه.

يد البعوض، يد البعير، يد فلان؛ مع الإضافة والنسبة يتحدد معناه، إذن ليس هناك تشبيهٌ.

فبما أن نفي التشبيه يدخل فيه ما هو حقٌّ وما هو باطلٌ، لذلك لم يستخدمه شيخ الإسلام.

وأهل السنة والجماعة ينفون التشبيه حتى قال إسحاق بن راهويه: من شبه الله بخلقه فهو كافر.

ولكن أهل البدع إلى الآن يتهمون أهل السنة والجماعة أنهم مشبهةٌ، والجهمية يتهمون المعتزلة بأنكم مشبهةٌ، والمعتزلة يتهمون الأشاعرة بأنهم مشبهةٌ، والأشاعرة يتهمونا بأننا مشبهةٌ، كل من يكون متوغلًا أكثر في التعطيل يتهم من هو دونه في التعطيل بالتشبيه.

المهم: هذا هو منهج أهل السنة والجماعة أنهم في إثباتهم يتميزون بهذه القيود التي ذكرها شيخ الإسلام هنا، من غير تكييف ولا تمثيل.

بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

هذه الآية فيها إثباتٌ لصفات الكمال على وجه الإجمال، وهذا من موارد النفي، النفي لا يأتي في الكتاب والسنة إلا قليلًا ويكون لمعانٍ معروفةٍ، منها: إثبات صفات الكمال على وجه الإجمال.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ هذا فيه إثبات صفات الكمال على وجه الإجمال.

وفيها أيضًا: نفي التمثيل.

كما فيها أيضًا: إثباتٌ لصفتي السمع والبصر.

ففيها نفيٌ على المعطلة، ونفيٌ على المشبهة.

ثم قال: فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ،

هاتان الفقرتان يفسر فيهما شيخ الإسلام قوله: من غير تحريفٍ ولا تعطيل، هو لما قال: من غير تحريفٍ ولا تعطيل، رجع هنا يفسرها أكثر.

فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، هذا هو التعطيل.

وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ، هذا هو التحريف.

إذن منهج أهل السنة: أنهم لا ينفون عنه ما وصف به نفسه، وهذا قوله: من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، وذلك بالتأويل الذي هو عين التحريف، تأويلهم هو عين التحريف.

وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وآيَاتِهِ.

الإلحاد لغةً هو الميل، ويقصد بالإلحاد هنا: الإلحاد في أسماء الله وآياته الميل بها وصرفها عن ظواهرها التي دلت عليه تلك الآيات.

إذن، الإلحاد إما أن يكون بصرفها عن ظواهرها التي دلت عليه، وقد يكون بترك التعبد بها بالنسبة للأسماء، وقد يكون بتحريفها.

والمراد بالإلحاد هنا الأول، صرفها عن ظواهرها التي دلت عليه.

إذن هم لا يلحدون في أسماء الله وآياته.

**وشيخ الإسلام نفسه ذكره أن الإلحاد أربعة أنواع:**

**أحدها**: أن تسمي الأصنام بها، كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهًا.

فهذا إلحادٌ حقيقةً، فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

**الثاني**: تسمية الله بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارى له أبًا.

**الثالث**: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص، كقول اليهود أن الله ﷻ فقير، ولا يخفى عليكم خبثهم في كل شيء.

**الرابع**: تعديل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، وهذا هو المراد هنا.

وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ.

هل في جديدٌ؟

تأكيدٌ لما ذكره سابقًا.

لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لهُ.

يعني: ما ذكره في قوله من غير تحريفٍ ولا تعطيل: فسره في الفقرتين السابقتين: فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ، هذا تفصيل قوله: من غير تحريفٍ ولا تعطيل.

وهذه الفقرة تفسير قوله من غير تكييفٍ ولا تمثيل: وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ: لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لهُ.

هذا كله تأكيدٌ لنفي التشبيه عن الله ﷻ.

لا سمي له، ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم:٦٥] هذا استفهام إنكار، أي: ليس هناك سميٌّ لله ﷻ، والسمي هو المسامي والمماثل.

والكفء هو المكافئ وهو المماثل.

والند هو النظير والمثل.

كأنه قال: لا مثل له، ولا مثل له، ولا مثل له، ولكنه كررها إشارةً إلى الآيات التي وردت في هذا الباب.

وبعد كل هذه التأكيدات يظل أهل السنة والجماعة مشبهةً عند المعطلة.

وإذا لم نكن مشبهين عندهم فاعرف أن فيك عيبًا، إذا لم يذمك أهل الباطل ففتش في نفسك، يعني: إذا كان الأشاعرة والمعتزلة والجهمية مستأنسين بك، تلتقي معهم في هذه الأمر فاعلم أن فيك عيبًا؛ ليس عيبًا أن يذمونا، ولكن هذه الأمور نبينها لبيان بطلانهم؛ شوف التأكيد: لا سمي له ولا كفء له ولا ند له، ومع ذلك يذكر بعضهم أمثال سعيد فودة وغيره أن شيخ الإسلام يثبت تشبيه الله بخلقه صراحةً!

**ولاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهَ وَتَعَالَى.**

هل طريقة معرفة الله ﷻ أن نقيسه بخلقه؟

لا؛ فإن القياس متى يكون؟

إذا عرفت الأصل، هل أحدٌ منا شاهد الله؟ أو شاهد نظيره فيقيس عليه؟

لا؛ إذن لا يقاس بخلقه، فنحن نثبت الصفات مع قطع القياس على الخلق.

أيضًا: ما ذكره شيخ الإسلام هنا يشير فيه إلى منهج المتكلمين الذين يثبتون ما يثبتون لله ﷻ يثبتونه بعقلهم، وينفون عنه ما ينفون بعقولهم؛ أنت لما تسأل الأشاعرة : لماذا تثبت الصفات السبعة وتنفي الصفات الأخرى؟

لا يقول لك لأن الله ﷻ... ؛ لا؛ هذه أدلة ثانوية عندهم؛ لأن هذا الباب أصلًا لا يجوز الاستدلال بالكتاب والسنة عندهم، صرحوا به ولا غموض فيه عندهم؛ إذن أثبتوه لماذا؟

لأن العقل أثبته.

تسأل الماتريدي: أنت أضفت صفةً ثامنةً لماذا؟

لأن العقل أثبتها؛ نفس الدليل.

وتسأل المعتزلة: لماذا تثبت الأسماء وتنفي الصفات؟

يقول لك: لأن العقل يقتصر على هذا القدر من الإثبات.

ونحن عندنا، عند أهل السنة والجماعة؛ لا يقاس بخلقه سبحانه، ليس طريقة الإثبات والنفي هو القياس.

والقياس الذي نفاه شيخ الإسلام هنا نوعان من القياس: قياس التمثيل، وقياس الشمول؛ لأن هناك نوعًا آخر من القياس يطلق عليه أيضًا القياس لا ينفيه شيخ الإسلام، بل يثبته، ويثبته أهل السنة، وهو قياس الأولى.

قياس الشمول وقياس التمثيل، هذان القياسان هما المرادان بالنفي هنا في كلام شيخ الإسلام.

قياس التمثيل: يستوي فيه الأصل والفرع؛ القياس المعروف؛ إلحاق فرعٍ بأصلٍ في حكمٍ لعلةٍ جامعةٍ بينهما؛ إذن الأصل والفرع كلاهما يستويان في الحكم.

وهل هذا يليق بالله ﷻ؟

من الذي يماثله، ليقاس هذا أو ذاك به؟

أما قياس الشمول: فتستوي فيه الأفراد؛ الله ﷻ ليس كمثله شيء، فلا يجوز أن يمثل بغيره، ولا يجوز أيضًا أن يدخل هو وغيره تحت قضيةٍ كليةٍ تستوي أفرادها؛ أيضًا لا يجوز.

إذن قياس الشمول وقياس التمثيل لا يجوز استعماله في الإلهيات.

أما قياس الأولى، فيقول شيخ الإسلام نصًّا: (**أما قياس الأولى الذي كان يسلكه السلف اتباعًا للقرآن، فهو طريقٌ فطريٌّ ضروريٌّ متفقٌ عليه.**

**وقياس الأولى يتضمن أن يُثبت له من صفات الكمال التي لا نقص فيها أكمل مما علموه ثابتا لغيره**).

الآن صفة العلم.

طبعًا قياس الأولى يستخدم في الكمال المطلق؛ لأن الكمال نوعان: كمال مطلق وكمال نسبي.

الكمال مطلق: العلم والسمع والبصر والكلام؛ كمالات مطلقة، الذي يعلم أكمل ممن لا يعلم، الذي يعلم العلم من أعطاه العلم؟ الله؛ هل يعقل أن معطي الكمال ليس عنده الكمال؟

لا يعقل؛ إذن معطي الكمال أولى أن يكون أكمل منه؛ لأنه أعطاه هذا الكمال، هذا هو قياس الأولى.

هذا في الكمالات المطلقة، وهناك كمالات نسبية، الأكل والشرب والزواج، أليس كمالًا بالنسبة لنا، لكنه كمال نسبي، النوم بالنسبة لنا كمالٌ، وهذا ليس كمالًا مطلقًا؛ فلذلك يُنفى عن الله ﷻ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ [البقرة:٢٥٥] وهي مقدمة النوم، ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ كما سيأتي.

إذن هذا القياس يستخدم في حق الله ﷻ.

فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

نحن نتساءل أولًا: لما نقول: كل ما أثبته الله لنفسه فنحن نثبته، وكل ما أثبته رسوله ﷺ في السنة الصحيحة فإننا نثبته؛ لماذا نثبته؟

لأن الله ﷻ هو الذي أثبته لنفسه، ورسوله ﷺ أثبته له في سنته الصحيحة.

ذكر شيخ الإسلام هنا في هذه الفقرة الأمور التي تكون موجبةً للأخذ بالقبول، وهي في مجموعها أربعةٌ، ذكر هنا ثلاثة، وذكر في مواضع أخرى الرابع.

يقول: فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ.

من موجبات القبول العلم، الجاهل لا يُؤخذ منه؛ والله ﷻ أعلم بنفسه، هل هو أعلم بنفسه ولا المريسي؟

الله يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥] المريسي يقول: لا، لم يستو، ممن نأخذ؟

من الله ﷻ، ولا كرامة للمريسي وأمثاله.

فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ.

هذه **الصفة الأولى**: العلم.

**الصفة الثانية**: وَأَصْدَقُ قِيلًا.

إذا جربت الكذب على شخصٍ لا تأخذ منه؛ إلى أن تجرب الكذب والصدق، إذا جربت فيه الصدق تلتزم به وتأخذ منه، وإذا جربت فيه الكذب قد لا تأخذ منه حتى لما يكون صادقًا.

إذن من موجبات قبول الخبر: الصدق.

والله ﷻ أصدق قيلًا.

وَأَصْدَقُ قِيلًا.

**أيضًا: من موجبات القبول: الفصاحة.**

تقارن بين فصاحة هؤلاء المتكلمين وبين فصاحة رجل عامي لا أقول عالمًا؛ سترى الفرق لأنه دخلهم من خلال كثرة قراءتهم في كتب الفلاسفة تجد في كلامهم تعقيد وغموض، وتجدهم أبعد الناس عن الفصاحة.

وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

هذا أيضًا من موجبات قبول الخبر: لأنه لو لم يكن فصيحًا قد يريد شيئًا ولا يستطيع أن يعبر عنه، يكون ضعيفًا في اللغة مثلي، فلا يستطيع أن يُوصل للمخاطب ما يريده، فيُفهم عنه شيءٌ آخر.

فالله ﷻ أحسن حديثًا.

كما صارت؟ ثلاثة.

نفس الأمور: ثُمَّ رُسُلُه صَادِقُونَ مُصَدَّقُون؛ وفيهم نفس هذه الأمور الثلاثة.

**والأمر الرابع: النصح.**

قد يكون شخصٌ عالمًا ولا يكون صادقًا فلا يؤخذ منه، قد يكون عالما وصادقًا وقد لا يكون فصيحًا لا يستطيع أن يعبر عما يجول في نفسه، قد يكون عالمًا صادقًا فصيحًا ، ولكن لا يريد النصح لك؛ لا تأخذ منه.

ونبينا محمدٌ ﷺ أعلم الأنبياء عمومًا، هم أعلم الناس بالحق، وهم أصدقهم في بيان الحق، وهم أيضًا أفصحهم في بيان الحق، وهم أنصح الناس بالحق.

ماذا بقي من موجبات القبول غير هذه الموجبات الأربعة؟

فشيخ الإسلام أراد أن يرسخ في أذهاننا هذه الأمور، وأراد أن يشير أن أولئك الذين نجد فيهم هذه البدع؛ هل يقارنون بكتاب الله وبالأنبياء والرسل؟

معاذ الله.

بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ أي على الله ﷻ مَا لاَ يَعْلَمُونَ.

أنت لما تسأل هؤلاء عن مصادر بدعهم، يفصحون لك، بل كل هذا مسطورٌ في كتبهم وأدلتهم، يعني: إذا كانوا يقررون واستقر هذا عند متأخري الأشاعرة، أنه لا يجوز الاستدلال بالكتاب والسنة في أصول الإلهيات، فماذا تتوقع أن تكون مصادرهم؟

إذن أهل السنة والجماعة يتمسكون بالكتاب والسنة؛ لأن مصدر العقيدة الكتاب والسنة فقط، وشيخ الإسلام أضاف هذه الأمور لبيان أن المبتدعة أبعد الناس عن أن نقبل منهم أي شيء.

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات].

---

**الشرح:**

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ ﴾ الله ﷻ هو رب العالمين، وليس رب النبي ﷺ فقط، ولكن الإضافة هنا للتشريف، وإلا هو رب العالمين.

﴿ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ ﴾ أي ذو العزة، وصاحب العزة.

﴿ سُبْحَانَ ﴾ تنزه، عما تنزه؟ ﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ عما يذكره الكفار المخالفون للرسل، تنزه سبحانه، ويجب أن ننزهه سبحانه عما يذكره المخالفون للرسل.

﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أما المرسلون فوصفهم الله بالسلام، وهذا يقتضي سلامتهم من كل ما يتهمهم به المكذبون.

المكذبون للرسل يتهمونهم بأمورٍ كثيرةٍ، والله ﷻ ينزههم ويزكيهم، ويثبت لهم السلامة، وهذه السلامة هي نصيب كل من اتبع المرسلين، كل من اتبع الرسل فنصيبه هذه السلامة، كل من كان أقرب إلى الرسل يكون أقرب إلى السلام، وكل من كان أبعد عن الرسل يكون أبعد عن السلامة، فإذا أردت أن تحصل على هذه السلامة فسبيلك اتباع الرسل.

﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أثبت لنفسه جميع صفات الكمال.

فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لماذا؟ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.

أما غير المرسلين فلا نأمنهم، حتى ولو كانوا صادقين في نياتهم، أما أهل البدع فعندهم...؛ حتى ولو كان من كان ممن خالف الرسل صادقًا في نيته لا نتبعه، السبيل الوحيد للسلامة أن تتبع الرسل؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.

بدأ شيخ الإسلام يذكر شيئًا فشيئًا القواعد التي يتميز بها أهل السنة والجماعة، كل الذي ذكره إلى هنا قواعد تميز أهل السنة والجماعة في العقيدة.

من الأمور المهمة التي تميز منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة هذه النقطة التي ذكرها شيخ الإسلام: وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيما وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.

أولًا: لابد أن نؤمن بما نجده في الكتاب والسنة من النفي والإثبات، يوجد نفي، ويوجد إثبات.

ثم لابد أن ننظر أيضًا طريقة النصوص في الإثبات وما جاء فيها من النفي: نجد أن الإثبات في النصوص مفصلٌ، سواءً في أسمائه وسواءً في صفاته، الأسماء الحسنى كلها والصفات التي تؤُخذ منها؛ هذا تفصيلٌ.

ونجد أيضًا أن النفي في نصوص الكتاب والسنة مجملٌ، ويكون لنفي النقص؛ النفي الوارد في نصوص الكتاب والسنة هو لنفي النقص، ولنفي أيضًا مماثلته لغيره، ومماثلة غيره له في صفات الكمال.

هذه موارد النفي.

قلنا: أن الإثبات في نصوص الكتاب والسنة مفصلٌ، والنفي مجملٌ، وأهل البدع عكسوا هذه القضية، قالوا: الأصل في التوحيد السلوب، يعني: السلوب جمع سلب، النفي، والإثبات قالوا: الإثبات يخالف التوحيد!

ولذلك حتى الذين أثبتوا الصفات السبع أو الثمانية الأشاعرة والماتريدية تجد عندهم تحرجٌ شديدٌ جدًّا في الإثبات حتى في الصفات التي يثبتونها، ويصرحون أيضًا أنك كلما قللت في الإثبات تكون أقرب إلى التوحيد، وكلما أكثرت في الإثبات تكون أبعد عن التوحيد؛ لأن أصل القضية في التوحيد عند بعضهم: إثبات قديمٍ واحدٍ، وعند بعضهم: إثبات صانعٍ واحدٍ، يعني: تجد عندهم تأصيلٌ مخالفٌ للنصوص، ثم بقية النصوص يزنونها على هذا الأصل الذي أصلوه في البداية.

فالأصل عندهم: السلوب؛ لأنهم قالوا: السلوب لا تخدش في التوحيد، أما الإثبات فبما أنه يخدش في التوحيد، فهو عندهم قليلٌ جدًا.

تجد عندهم من النفي في هذا الكتاب «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري، وهذا ألفه بعدما رجع إلى طريقة أهل السنة، ذكر هنا ما أجمع عليه المعتزلة يقول: (**أجمعت المعتزلة على أن الله**

**واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة...)** ص / ١٥٥ من «مقالات الإسلاميين».

سبحان الله، هل تحس في هذه الألفاظ إجلالاً لله ﷻ؟

ليس بذي حرارة وليس بذي برودة! أعوذ بالله.

هذا هو دينهم، وهذه هي أصول دينهم.

فالأصل عند أهل السنة والجماعة: أن النفي مجملٌ والإثبات مفصلٌ، كما جاء في النصوص، وهذا الأمر شرحه شيخ الإسلام شرحًا لا مزيد عليه في «التدمرية»، وذكر غيره أن النفي المحض ليس فيه مدح، مثل ما تقو للملك: لست مثل هذا ولا هذا وهذا. سيؤدبك على هذا.

لكن لو قلت: لست مثل أحدًا من رعيتك، هذا الإجمال هو الذي.

هذا الذي سمعناه جزءٌ مما أردت أن أكمله؛ لأننا والحمد لله في درس التوحيد...؛ ليس فيها أي تعظيمٌ لله ﷻ.

ثم يقول شيخ الإسلام: فَلاَ عُدُولَ العدول هو الميل لأَهْلِ السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَالِحِينَ.

---

**الشرح:**

أما غيرهم، غير أهل السنة والجماعة فهم متبعون للمشركين واليهود والمجوس والرومان واليونان، تجد عندهم لكل نوعٍ من الشرك شيئًا، تجد مصادرهم كثيرةً.

ثم قال: وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص ].

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ.

---

**الشرح:**

أراد شيخ الإسلام هنا أن يبين أكثر مما بين، أراد أن يضيف مدى أهمية ما يذكره، أن الذي يذكره هذا مضمون سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، وما يذكره هو مضمون ما جاء في آية الكرسي، أراد أن يبين أهمية ما يبينه.

ولم يصح عن النبي ﷺ في فضل سورة من القرآن أكثر مما صح عنه في فضل هذه السورة، مما ورد في ذلك أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن.

وأيضًا: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرةً فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن».

أيضًا قوله للناس فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه: «احتشدوا حتى أقرأ عليكم ثلث القرآن» فاحتشدوا حتى قرأ عليهم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم قال: «والذي نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن».

ووجه العلماء كونها تعدل ثلث القرآن، قالوا: أن القرآن باعتبار معانيه ثلاثة أثلاث: ثلثٌ توحيد، وثلثٌ قصص، وثلثٌ أمرٌ ونهيٌ، وهذه السورة في التوحيد، واسمها سورة الإخلاص لأنها لا يوجد فيها غير بيان ما يختص بالله ﷻ.

حَيثُ يَقُولُ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾.

هنا في قوله ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ نفي جميع الشركاء، طبعًا في هذه السورة التي وُصفت بأنها ثلث القرآن فيها إثبات صفات الكمال في قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ نفي النظير والشبيه والمثيل وأيضًا في ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ نفي كل شريكٍ لله ﷻ، وهذه الأصول الثلاثة هي مجامع التوحيد.

إذن ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فيه نفي كل شريك.

﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ فيه إثبات جميع أنواع الكمالات.

إذن نفي الشركاء وإثبات.

طبعًا ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ ذكر شيخ الإسلام أن السلف لهم أقوالٌ في تفسيره، يقول: (**والمشهور منها قولان: أحدهما: أن الصمد هو الذي لا جوف له. والثاني: أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج والأول هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين وطائفة من أهل اللغة. والثاني قول طائفة من السلف والخلف وجمهور اللغويين...** ).

قال: (**الاشتقاق يشهد للقولين جميعا قول من قال: إن (الصمد) الذي لا جوف له وقول من قال إنه السيد وهو على الأول أدل؛ فإن الأول أصل للثاني**).

وقال: (**ومعنى الصمد يوجب الاستسلام لله وحده المنافي للاستكبار فإن الصمد يتضمن صمود كل شيء إليه وفقر كل شيءٍ إليه**).

إذن الله ﷻ يفتقر إليه كل شيءٍ وهو مستغنٍ عن كل شيء.

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ بين الله ﷻ في هذه الآية أن يكون له ولدٌ أو أن يخرج منه شيءٌ من الأشياء؛ إذ نفى الأصل والفرع.

وفي قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾فيه نفيٌّ للشركاء والأنداد، ويدخل فيه كل من جعل شيئًا كفئًا لله مثيلًا له في شيءٍ من خواص الربوبية أو من خواص الألوهية أو من خواص الأسماء والصفات.

أي: هذا عطفٌ على قوله: وَقَدْ دَخَلَ فِي هِذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن.

ودخل فيه أيضًا: وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ.

حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

---

**الشرح:**

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ هنا بيان الألوهية، وإفراد الله بالألوهية.

﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ الحي أسم من أسماء الله ﷻ، وهو مستلزمٌ لجميع الصفات، وهو أصلٌ لجميع الصفات.

الحي، إذا أُطلق هكذا بالألف واللام معرفًا بالألف واللام، لا ينبغي أن يُطلق على الله ﷻ، أما حياة غيره فهي حياةٌ من الله ﷻ، هو الذي يعطي هذه الحياة، وتلك الحياة هي لفترةٍ معينةٍ، يعني: كلٌّ يُولد في وقتٍ معين، وينتهي في وقتٍ معين.

وهنا نتذكر البحث الذي ذكره شيخ الإسلام في التدمرية في مثل هذه : هل إطلاق هذه الأمور على الله ﷻ وعلى الخلق من باب المتواطئ أو من باب المشترك أو من باب المشكك؟

هو بحث هذه القضية هناك.

يعني: الكليات المتواطئة والمشتركة، فمن المتواطئة ما اتفقت في اللفظ والمعنى.

مثل: الإنسان، أفراد الإنسان كلهم يشتركون في اللفظ و المعنى، إنسان إنسان إنسان، والتعدد هنا بالعين.

هذا عين آخر للإنسان، وذاك عينٌ آخر، وهكذا.

والمشترك: ما اتفق في اللفظ واختلف في المعنى.

مثل: العين.

العين الجارية، العين الباصرة، العين بمعنى الجاسوس، العين بمعنى الذهب، العين بمعنى الذات.

الكلمة واحدةٌ اتفقت في اللفظ واختلفت في المعنى.

نحن لما ننظر إلى أصل صفة الحياة، وأن الحياة ضد الموت، هذا القدر نثبته للمخلوق أيضًا، ولكن لما ننظر إلى الاختلاف بين حياته وحياة الخالق، هنا نتحير: هل هذا من باب المتواطئ، مثلًا: هؤلاء يشتركون في الإنسانية كلها، حياة الله هل هي مثل حياة المخلوق؟

حياة المخلوق الذي لا يملك لنفسه شيئًا، لم يرد أن يُولد في هذا الوقت، الله الذي خلقه في هذا الوقت، وفي هذه الصفة، وسينتهي رغم أنفه، لا يملك من نفسه شيءٌ، هذه حياةٌ.

هل إطلاق الحياة على المخلوق من باب المتواطئ، أو من باب المشترك؟

طبعًا: لا يليق أن يكون من باب المتواطئ؛ لأن حياة الله هي الحياة، وحياة المخلوق الله هو الذي وهبه الحياة.

إذا نظرنا إلى الجانب الآخر، باب المشترك، قلنا التعدد في المشترك بالنوع، هل حياة المخلوق نوعٌ آخر من حياة الخالق؟

لا شك أن النوع واحدٌ، ضد الموت؛ فذكر شيخ الإسلام أن هذه المسألة بحثها العلماء، وحبذوا أن يُطلقوا على هذا النوع: كلية مُشَكِّكَة؛ لأنها فعلًا تشكك، هل تجعل هذا من المتواطئ الذي لا اختلاف فيه يُذكر، أو تجعله من المشترك فيكون نوعًا آخر؟

قال: الأفضل أن نسميها المشككة، وهي فعلًا مشككة؛ أليس كذلك.

ولكنه نوعٌ من المتواطئ، هذا هو الذي رجحه شيخ الإسلام، فأنت لما تنظر إلى حياتنا هذه الحياة، ومن ناحية أخرى، هي فعلًا حياةٌ ضد الموت.

الحي: حياة الله هي الحياة.

القيوم: هو الذي يرجع إليه قيام الغير ولا يحتاج إلى غيره في قيامه، وكل ما سواه يرجع إليه في قيامه.

وهذان الاسمان الكريمان: الحي القيوم، هما مرجع جميع أسماء الله ﷻ.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته:

ولـــه الحيـــاة كمالهـــا فلأجـــل ذا ... مـــا للمـــات عليـــه مـــن ســـلطان

وكـــذلك القيّـــوم مـــن أوصـــافه ... مـــا للمنـــام لديـــه مـــن غشـــيان

وكـــذاك أوصـــاف الكمـــال جميعهـــا ... ثبتـــت لـــه ومـــدارها الوصـــفان

يعني: الحي القيوم.

﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ في هذا إثباتٌ لتمام ملكه سبحانه.

وأيضًا: نفيه أن يشفع أحدٌ إلا بأذنه يتضمن أيضًا كمال ملكه وكمال علمه؛ الشفيع في الدنيا يشفع عند الملك فلان؛ لأن علم الملك ناقص، ما يدري عن كل شيءٍ، فهذا الشفيع يضيف إليه في علمه.

أما الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس:١٨].

ما الذي يخفى عليه حتى يخبره عنه هذا الشفيع؟

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ إذن يُنزه الله عَزَّوَجَلَّ عن أن يشفع أحدٌ دون إذنه، إذن في نفي الشفاعة دون إذنه إثباتٌ لكمال قدرته؛ لأن الشفعاء في الدنيا يعتبرون مشاركين لمن يشفعون عندهم، وهذا فيه إثباتٌ لتمام ملكه، ولتمام قدرته ولتمام علمه.

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ هنا أيضًا إثباتٌ لسعة علمه سبحانه.

وفيه بيانٌ أنهم لا يعلمون إلا ما علمهم إياه، كما قالت الملائكة: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآ﴾ [البقرة:٣٢].

﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ هذه الجمل تتضمن إثبات كمال قدرته سبحانه.

إذا كان هذا الكرسي، هذا المخلوق من مخلوقات، كما ذهب ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه موضع القدمين.

وذكر بعض العلماء أن الكرسي معناه العلم، وهذا قولٌ ضعيفٌ.

إذا كان هذا المخلوق بهذه السعة؛ فالله عَزَّوَجَلَّ كماله في قدرته لا نهاية له.

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ لا يكرثه ولا يثقله ولا يتعبه.

وهذا النفي أيضًا لكمال قدرته؛ قلنا أن النفي في الكتاب والسنة لا يكون للنفي المجرد؛ لأن النفي المجرد لا مدح فيه، تقول: هذا الجدار لا يظلم! قد يكون هذا للعجز، النفي المجرد لا مدح فيه، النفي دائمًا في الكتاب والسنة لإثبات كمال ضد الصفة المنفية، وهنا: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ لبيان كمال قدرته.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ ختم بهذين الاسمين الجليلين الدالين على علو ذاته وعظمته في نفسه.

العلي: معناه أنه أعلى من غيره قدرًا، فهو أحق بصفات الكمال.

والعظيم: هذا متضمنٌ لصفاتٍ عديدةٌ كلها صفات الكمال؛ لأن العظيم لا يكون عظيمًا إلا إذا اجتمع فيه كثيرٌ من صفات الكمال، هذا الذي يسمى عظيمًا، أما الذي يتميز بصفةٍ واحدةٍ فهذا لا يقال عظيم.

إذن العظيم : هذا الاسم الكريم يتضمن صفاتٍ كثيرةٍ من صفات الكمال، ولذلك ختم هذه الآية العظيمة بهذين الاسمين العظيمين الكريمين ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ ولهذا كان «**من قرأ هذه الآية في ليلةٍ لم يزل عليه من الله حافظٌ ولا يقربه شيطان حتى يصبح**» كما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما وكله النبي ﷺ بحفظ زكاة الفطر، فسرق منه الشيطان ليلةً بعد ليلةٍ، وهو يمسكه فيتوب، فيقول له النبي ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**» فيقول: زعم أنه لا يعود. فيقول: «**كذبك، وإنه سيعود**» فلما كان في المرة الثالثة قال الشيطان: دعني أعلمك ما ينفعك، إذا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطانٌ حتى تصبح، فلما أخبر النبي ﷺ قال: «**صدقك وهو كذوب**» وأخبره أنه شيطان.

يقول شيخ الإسلام إذا قرأ الإنسان هذه الآية عند الأحوال الشيطانية بصدقٍ أبطلتها.

من هنا يبدأ سرد الآيات، شيخ الإسلام يقول ما ذكرناه فإنه ثابتٌ في هذه الآية، وفي قوله كذا، ولن نجد أي تعليقٍ من شيخ الإسلام، لن نجد أي مداخلة من شيخ الإسلام، لماذا؟

لأن شيخ الإسلام يريد أن يثبت أن العقيدة كلها آياتٌ وأحاديث، فإنه بعد سرد الآيات سيبدأ بذكر الأحاديث الصحيحة، ولن نجد عنده مداخلة حتى ينتهي سرد الآيات والأحاديث، ثم سيرجع إلى بعض

المسائل التي فيها بعض الاستشكالات، فيبينها، وهنا سنجد له تعليقًا، أما هنا: وفي قوله وفي قوله، وفي قوله، هذا هو الدين.

في قوله : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨].

**الشرح:**

في هذه الآية إثبات أنه الحي الذي لا يموت، وبهذا وصفته الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ فإن الحياة صفة كمالٍ يستحقها الله ﷻ لذاته.

الطالب:...

**الشيخ**: عندي بعدها، في هذه النسخة بعدها.

ما نبهتكم، هذه الرسالة الجميلة لم تحقق تحقيقًا علميًا، أنا ما وجدت، لكن الآن أخونا الدكتور دغش حققها ورجع فيها إلى نسخٍ عديدةٍ، منها نسخة قرئت على شيخ الإسلام، وهذه نسخته هو، وذكر لي أنه سيُطبع خلال أسبوعين أو ثلاثة.

الطالب: هناك نسخة محققة مطبوعة.

**الشيخ**: وهي؟

الطالب:...

**الشيخ**: رجع فيها إلى نسخ.

طبعًا نفس النسخة، وهي نسخة نفسية قرئت على المؤلف شيخ الإسلام ابن تيمية عام ٧١٥، نفس النسخة، لأن هذه النسخة هي أنفس النسخ عنده، فيبدو أنه أيضًا رجع إليه.

على كل حال، كل من يخدم كتب السنة فإنه يخدم العقيدة، ويؤجر عليها إن شاء الله، وتعدد الجهود لا يضر؛ لأن كلٌّ له طريقته في التحقيق، هذا يفيدنا في نقطة، وذاك يفيدنا في نقطة، يعني: اختيارات الدكتور دغش قد نخالفه في بعض الاختيارات من النسخ، وهذه لم نطلع عليها، المهم يكون قد أفادنا باختياراته، وبعد ذلك أنت حر في اختياراتك؛ لأن النسخ اختلفت، قد ترى أن ما ورد في هذه النسخة هو الأقوى، وغيرك يرى أن ما ورد في تلك النسخة هو الأنسب؛ إذن تعدد الجهود شيءٌ نشجع عليه.

من الأخ الذي عنده نسخة، أي ترتيب؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد:٣].

**الشرح:**

في هذه الآية الكريمة إثباتٌ لهذه الأسماء الأربعة، وهي أسماء متقابلة؛ الأول والآخر اسمان متقابلان، والظاهر والباطن اسمان متقابلان، ولذلك هذا الاسم الباطن مثلًا لا يذكر إلا مقرونًا بالاسم الآخر الظاهر، ولا يفهم إلا إذا قُرن به.

تفسير هذه الأسماء ورد فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء**» هذا تفسيره «**وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك**».

الظاهر هذا يتضمن معنى العالي؛ لأن من كان عاليًا يكون ظاهرًا، فكلما علا الشيء ظهر، فهذا يتضمن معنى العلو، واسمه سبحانه الباطن هذا يتضمن أنه لا يكون شيءٌ دونه، فلا شيء دونه باعتبار بطونه، وفي هذا اللفظ معنى القرب والبعد في آنٍ واحدٍ من وجهٍ، ومعنى الاحتجاب والاختفاء من وجهٍ.

لاحظ: «**وأنت الباطن فليس دونك شيء**» فيه معنى القرب والبعد، وفيه معنى الاحتجاب والاختفاء، بهذه الأمور نفهم ماذا يعني بقوله: الباطن.

قوله: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيءٌ**» نفى أن يكون شيءٌ دونه، كما نفى أن يكون فوقه، ولو قُدر فوقه شيءٌ لكان أكمل منه في العلو البيان.

ولو كان دونه شيءٌ لكان أكمل منه في الدنو والاحتجاب، وهذا شأن الباطن، وهذا يوافق كما يقول شيخ الإسلام: يوافق قوله ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»، وذكر أيضًا شيخ الإسلام أن هذا الاسم لم يأت إلا مقرونًا بالاسم الآخر الظاهر؛ الذي فيه معنى الظهور والعلو، فلا يكون شيءٌ فوقه، ومجموع الاسمين يدلان على الإحاطة والسعة، وأنه الظاهر فليس فوقه شيءٌ، والباطن فليس شيءٌ دونه.

أما الأول والآخر: فالأولية المنسوبة لله ﷻ هي سابقةٌ على كل أوليةٍ سواه، وآخريته ثابتةٌ بعد آخرية كل ما سواه.

﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣ ﴾ ختم بما يناسب هذه المعاني التي تضمنتها هذه الأسماء الأربعة، وهو أنه بكل شيءٍ عليم.

نكتفي بهذا القدر، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

وَقَوْلُهُ: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ [سبأ:٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام:٥٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ [فصلت:٤٧].

---

**الشرح:**

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثةٍ بدعةٌ، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد، بعد أن ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ الآية التي فيها جمعٌ بين أزليته وأبديته، أزلية الله وأبديته في قوله: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ [الحديد:٣]، وبين علوه وقربه في قوله: ﴿ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ ذكر الآيات التي تدل على صفتين لله عَزَّوَجَلَّ: صفة العلم، وصفة الحكمة.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [التحريم:٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: ما يدخل فيه من القطر والبذور والكنوز والموتى وغير ذلك يعلمها كلها، ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ من النبات والمعادن وغير ذلك ﴿ وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ من المطر والملائكة وغير ذلك ﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ من الملائكة وأعمال العباد وغيرها.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾ أي عنده كنوز الغيب ﴿ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾ قوله: ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾،

هذا إجمالٌ بعد تفصيلٍ، بعدما فصل في الآية كلها، أجمل في الأخير: ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾ أي: من جميع المخلوقات ﴿ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ الكتاب المبين والإمام المبين المراد به: اللوح المحفوظ.

فهذه الكتابة ركنٌ من أركان الإيمان بالقدر، كما تعرفون أن الإيمان بالقضاء والقدر لا يتم إلا إذا آمنت بأربعة أمور: بعلم الله الشامل المحيط، بكتابته لكل شيءٍ في اللوح المحفوظ، وبمشيئته النافذة، وبخلقه.

والكتابة هي الركن الثاني من أركان الإيمان بالقضاء والقدر.

صفة العلم لله ﷻ، علمه له عموم تعلقٍ، كل ما يتعلق بالخالق والمخلوق، والموجود والمعدوم، والمعدوم: ما لم يكن لو كان كيف يكون، كل ما له تعلقٌ بالعلم يدخل في هذه الصفة.

**وعلم الله ﷻ ضل فيه ثلاث طوائف، الطوائف البارزة التي ضلت في صفة العلم ثلاثة:**

**الطائفة الأولى: الفلاسفة.**

ونحن لما نذكر الفلاسفة نذكرها تبعًا للمؤلفين، وإلا هم ليسوا من الفرق الإسلامية حتى يُذكروا مع المسلمين، وبعضهم يعني الفلاسفة الأقدمون لم يدعوا الإسلام أصلًا، وكانوا قبل النبي ﷺ، بل قبل عيسى عليه السلام.

وأما المتفلسفة كابن سينا والفارابي فهم زنادقةٌ، ليسوا من الإسلام في شيءٍ؛ إلا أن المعجبين بالفلسفة من المتكلمين جعلوهم قصةً في علم الكلام، في كل قضيةٍ تُعرض آراؤهم، كأنهم فرقةٌ من أهل القبلة.

**المهم**: الفلاسفة قالوا: الله ﷻ يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات، لماذا؟

قالوا: لأن العلم بالجزئيات يستلزم حلول الحوادث بذاته سبحانه، فإذا علم أن زيدًا سيُخلق في وقت كذا وعلى صفة كذا، وإذا علم أن زيدًا قد خُلق ووُلد، هذه أمورٌ حادثة، والعلم بالجزئيات يستلزم حلول الحوادث بذات الله ﷻ.

ولا يستطيع أن يرد عليهم إلا أهل السنة المحضة؛ لأن المتكلمين كلهم يقولون بهذا الأصل، حلول الحوادث بذاته؛ هذا الأصل يتفق عليه جميع المتكلمين مع الفلاسفة فلذلك لا يمكنهم أن يردوا عليهم، من الذين سيرد عليهم ردًّا مفحمًا؟

أهل السنة.

وبداية الرد عليهم وعلى المتكلمين: أن هذه الألفاظ ألفاظٌ مجملةٌ، حلول الحوادث، لم يأت في الكتاب السنة التحذير من شيءٍ اسمه: حلول الحوادث بذاته؛ لم يأت، فلذلك كل من خوفك بهذا الاصطلاح، قل له: لا أحترم هذا المصطلح أصلًا، ولا أعرف هذا المصطلح، وإيماني بالله يكتمل حتى بدون معرفتي بهذا المصطلح وفروعاته وجزئياته وكل ما يتعلق منه.

ولكن إحقاقًا للحق: تستفصل منه؛ وتستخدم منهج أهل السنة والجماعة في الألفاظ المجملة: ماذا تعني بحلول الحوادث بذاته سبحانه؟

هل تعني: أن الله ﷻ لا يتصف بالصفات الاختيارية، وهذا هو الذي يعنيه المتكلمون؛ جميع الصفات الاختيارية ينفيها المتكلمون استنادًا لهذا الأصل.

فيقال لهم: هل تعني بنفي حلول الحوادث نفي الصفات الاختيارية التي تكون بمشيئته وقدرته؟

إذا قال: نعم؛ نقول له: أنت مخطئ في المصطلح، ومخطئ أيضًا في المعنى والمضمون.

وإذا كان يقول: أعنى بحلول الحوادث أن الحوادث تغيره، وأن حلولها بذاته يستلزم التغير والتغيير في ذاته.

نقول له: هذا أيضًا نحن ننفيه، ولكن لا نستخدم هذا المصطلح.

**منهج أهل السنة والجماعة في الألفاظ المجملة يتلخص في أمرين:**

**الأول: التوقف في اللفظ.**

فهذا اللفظ لا نستخدمه حتى ولو كان هذا المعنى صحيحًا.

**والثاني: الاستفصال في المعنى.**

إذا كان مصيبًا في المعنى، نقول له: أصبت في المعنى وأخطأت في المصطلح، ألم تسعك ألفاظ القرآن والسنة حتى جئت بمصطلحٍ يكون معيارًا على الكتاب والسنة؟ وتوزن النصوص بهذا المصطلح؟

إذا كان مصيبًا في المعنى نقول له: أصبت في المعنى وأخطأت في اللفظ.

وإذا كان مخطئًا في المعنى –وهذا هو الغالب عليهم– نقول له: أخطأت في المعنى وأخطأت أيضًا في المصطلح.

المهم: الفلاسفة قالوا: الله يعلم بالكليات ولا يعلم بالجزئيات.

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس:٦١].

والآيات في هذا كله كثيرةٌ جدًا في الرد عليهم.

وإخبار الله، إشارته عما حدث في الغزوات، وإخباره أنها ستحدث، كلها في الرد عليهم.

**الطائفة الثانية: غلاة القدرية.**

الذين ينكرون العلم والكتابة، وهؤلاء قد نشأوا في عهد الصحابة، وقد انقرضوا، وليس له وجود الآن، الذين ينكرون مرتبتي العلم والكتابة من مراتب أركان الإيمان بالقضاء والقدر انقرضوا ليس لهم وجود الآن.

**الطائفة الأخيرة: الروافض.**

يقولون: بالبداءة، وسبحان الله يصرون على هذا المبدأ، شيءٌ عجيب، يعجلونه من أهم دعائم إيمانهم؛ مثل الإمامة، في نسبة الجهل إلى الله ﷻ.

والبداءة معناها: أن الله ﷻ لا يعلم وقوع الأشياء إلا بعد وقوعها.

أعوذ بالله.

وهناك أيضًا تفاصيل في خلاف الكلابية الأشاعرة والماتريدية مع أهل السنة في صفة العلم، ونفيهم للجانب المتعلق بمشيئته، وطبعًا موافقتهم لأهل السنة في الإثبات لا تعني أنهم موافقون لهم في جميع ما يتعلق بهذه الصفة، وإنما هم يخالفونهم في بعض ما يتعلق بهذه الصفة.

أما الفرق الثلاثة فمذهبهم كما أشرت.

وأيضًا الحكمة، ﴿ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [التحريم:٢] الحكمة يثبتها جميع الفرق باستثناء الجهمية والأشاعرة، المخالفون فيها الجهمية والأشاعرة، وهاتان الفرقتان تتفقان في الجبر.

الجبرية الخالصة هم الجهمية، وما يسمونه بالجبر المتوسط هم الأشاعرة، في الحقيقة كما ذكر الرازي وغيره، أنه و الجبر وليس جبراً متوسطًا، هو الجبر.

وهم ينفون الحكمة، ولأجل نفيهم للحكمة تجد عندهم ضعفٌ في أصول الفقه؛ لأن علم الأصول يركز على مقاصد الشريعة، فذكر شيخ الإسلام أنهم بنفيهم الحكمة ما يكتبونه في الأصول يكون أضعف مما يكتبه المعتزلة؛ لأن المعتزلة يثبتون الحكمة.

فالذين يخالفون أهل السنة والجماعة في الحكمة هم الجهمية والأشاعرة، وهم يسمونه: الغرض، لما تقرأ في كتب الأشاعرة ستجد عناوين: نفي الغرض عن الله ﷻ، هذا العنوان في الظاهر فيه أن تنفي الغرض عن الله ﷻ وأن فعله كذا وكذا لغرضٍ في نفسه، وأنه يستكمل بهذا الشيء!

نعوذ بالله، نحن أيضًا ننفيه، الله ﷻ لا يستكمل بغيره.

الحكمة يسمونها غرضًا، ولهذا ينفونها، وإثبات الحكمة متفق عليها بين جمع الطوائف باستثناء الطائفتين.

ونفي الحكمة شيءٌ خطيرٌ؛ لأنه كما ذكر شيخ الإسلام يتضمن نفي الإرادة ونفي القدرة، الذي يفعل بدون أي حكمةٍ؛ يجب أن يُنزه الله ﷻ من هذا الغرض؛ ولازم هذا الأمر نفي فعل الرب، نفي الأحداث، ومن نفى ذلك، يقول شيخ الإسلام: يلزمه امتناع حدوث حادثٍ في الوجود.

وقال أيضًا: فإثبات الحكمة لازمٌ لكل طائفةٍ على أي قولٍ قالوه، ولكنهم في الظاهر يركزون على نفي الحكمة عن الله ﷻ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فصلت:٤٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨].

---

**الشرح:**

هاتان الآيتان فيهما إثباتٌ لصفة القدرة والقوة، وهما متقاربان في المعنى، فهو سبحانه القوي القدير.

وفيهما أيضًا إثبات اسم الرزاق والمتين.

ومتعلق القدرة، اختلفوا فيه، و الخلاصة فيه: متعلقه كل ما يصلح أن يُشاء، أن يشاءه ﷻ.

طبعًا: الممتنع لا يشاؤه ﷻ، ولو شاءه لحدث، أي: ليس هناك ما يحد مشيئته ﷻ، وليس هناك ما يحد قدرته وقوته.

وهذه البحوث: هل يستطيع أن يخلق مثل نفسه، أو يخلق الممتنع، بحوثٌ عقيمة، بحوث المتكلمين.

والمتين: معناه المتناهي في القوة، وهو متقارب من القوة والقدرة.

والمتين الذي قوته متناهية؛ ألفاظٌ متقاربةٌ.

والمسلمون وسائر أهل الملل متفقون أن الله ﷻ على كل شيءٍ قدير، والأدلة على ذلك كثيرةٌ جدًّا.

ونلاحظ أن شيخ الإسلام أن هذه الأمور التي يكون الخلاف فيها قليلًا لا يسترسل في ذكر الآيات، آية أو آيتين ويكتفي.

وسنرى أنه يُكثر في الاستدلال إذا رأى المخالفين فيها كثر.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وَقَوْلُهُ: : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨].

---

**الشرح:**

هنا في هاتين الآيتين: إثبات السمع والبصر.

السمع: إدراك المسموعات، والبصر: إدراك المبصرات.

ويتفق مع أهل السنة في إثبات هذه الصفات: السمع والبصر، الكلابية بجميع فروعهم، ويختلفون مع أهل السنة في بعض المسائل ولذلك سيذكر شيخ الإسلام نصوصًا تتعلق بالسمع والبصر مرةً أخرى.

ونبحث هنا: اكتفى بالآيتين لإثبات السمع والبصر.

والمعتزلة يؤولون السمع والبصر بالعلم.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف:٣٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة:١].

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام:١٢٥].

---

**الشرح:**

في هذه الآيات إثباتٌ لصفة الإرادة لله ﷻ، فالإرادة في النصوص تأتي بمعنيين:

**الأول: إرادةٌ شرعية:**

وهي الإرادة الدينية، وهي تتضمن محبته ورضاه، وهي لا تتعلق إلا بالطاعات، وهي المقارنة دائمًا للأمر والنهي والحب والبغض والرضا والغضب.

قول الله ﷻ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥].

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء:٢٦].

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾ [النساء:٢٨].

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٣].

وهذه الإرادة الشرعية قد يتخلف المراد فيها، المراد لا يقع دائمًا، قد يقع وقد يتخلف.

فمثلًا: الكافر، أراد الله منه شرعًا أن يؤمن، وبقى على كفره، فالإرادة الشرعية تخلفت، الفرق بينهما وبين الإرادة الكونية أنها قد تتحقق وقد تتخلف.

**النوع الثاني: الإرادة الكونية.**

وهذه مرادفةٌ للمشيئة، يعني: الفرق بين الإرادة المشيئة، أن المشيئة تأتي بمعنى المراد، وهي مشيئةٌ كونيةٌ، أما الإرادة فلها معنيان: إرادة شرعية، وإرادة كونية.

الإرادة الكونية مرادفة للمشيئة، وهي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث، وهي ركنٌ من أركان الإيمان بالقضاء والقدر.

العلم أولًا، الكتابة ثانيًا، المشيئة ثالثًا، الخلق رابعًا.

مثلًا: اجتماعنا في هذا المكان وعلى هذه الصفة، هذا قد علمه الله أزلًا، وكتبه في اللوح المحفوظ، العلم والكتابة، ثم شاء أن يكون، ثم خلقنا وخلق المكان وكل ما يستلزم هذا اللقاء ليتحقق هذا اللقاء.

إذن نؤمن بهذه الأمور الأربعة: العلم، الكتابة، المشيئة الخلق.

المشيئة هي المرادفة للإرادة الكونية، وهذه الإرادة هي المقارنة للقضاء والقدرة والخلق، كقوله سبحانه: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ هذه إرادةٌ كونيةٌ.

وقول نوح عليه السلام لما قالوا له: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [هود:٣٢] قال لهم: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ ﴾ [هود:٣٤].

هذه إرادةٌ كونيةٌ؛ لأن الله ﷻ أراد منهم شرعًا أن يؤمنوا وأرسل رسوله نوحًا، هذه الإرادة الشرعية، أما الكونية فهي التي تتعلق بالخلق.

**ومن هذا النوع: قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.**

والإرادة والمشيئة يثبتها الأشاعرة، ولكن يثبتونها قديمًا أزليةً بحتة، والجديد عندهم هو التعلق فقط.

**مثلًا:** أراد الله ﷻ أن يخلق فلانًا، هذه الإرادة تكون عند إرادته لخلقه، أراد أن يخلق فلانًا اليوم، فهو يريد بإرادته، بهذه الصفة؛ صفة الإرادة الأزلية القديمة، ولكن إراداته المتجددة عند الأحداث ينكرونها.

فيقولون: إرادته لخلق فلان قديمةٌ، والجديد هو توجه هذ الإرادة وتوجه هذا التعلق في حينه.

لماذا هذا التكلف؟ لماذا تتفلسف في صفةٍ أثبتها الله لنفسه وبصيغٍ كثيرةٍ منها صيغٌ تدل على أن إراداته تتجدد؟

كلها لأجل؛ منعًا لحلول الحوادث.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:١٩٥]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات:٩]

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:٧]

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢]

وَقَوْلُهُ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١]

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤]

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف:٤]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [البروج:١٤].

---

**الشرح:**

يبدو أن هناك تفاوت في النسخ؛ لأن النسخة التي عندي الترتيب فيها يختلف.

من قوله: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة:١٩٥] إلى قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [البروج:١٤].

هذه الآيات لإثبات صفة المحبة، نلاحظ الآيات هنا كثيرةٌ؛ لأن المخالفين بدأوا يكثرون، وهناك مثلًا في صفة القدرة الآيات لو أراد أن يذكرها لكانت صفحات، اكتفى هناك بآيتين، وهنا آياتٌ كثيرةٌ، وسيكون هذا مطردًا، كلما كثر المخالفون سنرى أن شيخ الإسلام يذكر نصوصًا أكثر.

**هنا يثبت صفة المحبة، والمحبة لها مراتب:**

**أعلاها: مرتبة الخلة.**

والمحبة مرتبةٌ من المراتب.

ونحن نثبت ما أثبته الله ﷻ من الخلة والمحبة، وبعض المراتب التي لم يثبتها الله ﷻ لا نثبتها.

مثلًا: التتيم، والهوى، والصبابة، والعلاقة، والعشق؛ هذه مراتب للمحبة لا نثبتها لله ﷻ؛ لأن هذا الباب توقفي، مع أنها كلها مراتب للمحبة، وبعض الناس يذكر كلامًا: معشوق الله ﷻ!

سبحان الله، هذا الباب، باب الأسماء والصفات بابٌ توقيفيٌّ، كما يقول العلماء: أضيقها باب الأسماء، ثم باب الصفات، ثم باب الأفعال، ثم باب الإخبار.

فلا نثبت لله ﷻ صفةً ولا اسمًا إلا ما أثبته لنفسه. هذا أولًا.

ثانيًا: صفة المحبة أثبتها الله ﷻ من كلا الطرفين، من العبد المؤمن، منه للعبد، الله ﷻ يحب عباده المؤمنين، ويحبه عباده المؤمنون، الله ﷻ يحب ويُحب، أثبتها من الجانبين.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ ﴾ الإحسان هو الإتيان بالعمل على أكمل وجه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

﴿ وَأَقْسِطُوٓاْ ﴾ القسط هو العدل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات:٩]

﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:٧]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢]

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾ إذن هذه غايةٌ، غاية المؤمن أن تستقر محبة الله في قلبه.

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾ كيف تحصلون على محبة الله لكم؟ ﴿ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ .

﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف:٤]

﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [البروج:١٤].

الودود معناه: المحب، فهو الذي يود من شاء من خلقه.

إذن هذا أيضًا في إثبات صفة المحبة.

المحبة أول من أنكرها الجهم بن صفوان وشيخه الجعد بن درهم، وكلاهما قُتلا على الكفر، قُتل الجعد أولًا ثم الجهم، قصة الجعد معروفةٌ مع خالد القسري.

يقول ابن القيم:

شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلُّ صَاحِبِ سُنَّةٍ ... لله درُّكَ من أخي قُربانِ

أما الجهم قتله ابن أحوز في ترمذ في خراسان، قتله أيضًا على الزندقة.

**والجهمية لها ثلاث مراتب:**

الجهمية الغلاة: اتفق السلف على تكفيرهم؛ لأنهم علموا من حالهم أنهم زنادقة، ليست التأويلات هي التي سببت في انحرافهم، وإنما هم أصلًا زنادقة.

واختلفوا في تكفير المعتزلة واستقر أمرهم على أنهم لا يُكفرون، لأن التأويل من موانع التكفير.

أما الأشاعرة فلا أحد يقول بتكفيرهم، وهو أقرب الطوائف إلى أهل السنة وفي نفس الوقت أخطر الطوائف؛ لأن قربهم إلى السنة روج كثيرًا من بدعهم.

أما المعتزلي فمعروف بوجه القبيح، مجرد أن تنسب المقالة إلى المعتزلي تحدث عن الناس نفرةٌ منها.

أما الأشاعرة والماتريدية فدائمًا يدعون أنهم أهل السنة، وهذا النسبة محمودةٌ، الذي يصر على أنه من أهل السنة فهذه النسبة محمودةٌ، لكن الأمور لا تكون بالدعاوى.

**هنا الناس اختلفوا في المحبة:**

فبعضهم أنكر محبة الله لعبادة ومحبة العباد له، أنكر المحبة من الجانبين، وهم الجهمية، قالوا: محبة الله ﷻ لعباده هذه إرادة الإحسان إليهم، ومحبة العباد لله ﷻ محبة الأعمال الصالحة.

والأشاعرة: أثبتوا محبة العبد لله، ولكن نفوا محبة الله للعبد؛ فالطائفتان تلتقيان في تأويل محبة الله لعبده، ويختلفان في إثبات محبة العبد لربه، فالجهمية ينفونها والأشاعرة يثبتونها.

والذين ينكرون المحبة من الجانبين أو أحد الجوانب ينكروا اللفظ؛ لأن اللفظ ورد بلفظه ونصه في نصوصٍ كثيرةٍ، فلجأوا إلى التأويل، والتأويل بابه واسع.

قالوا: محبة الله لعباده تؤول إما بالإرادة أو بإرادة الإحسان؛ بإرادةٍ بصفةٍ أزلية، أو بأثر بعض الصفات، ببعض المخلوقات، مثلًا: الإنعام، الإنعام من الله عزو جل، هذا الإنعام يكون لمخلوقاته أن يحسن إليهم.

فإما يؤولونها بالصفة الأزلية أو بأثر الصفة.

وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:١]

وَقَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]

وَقَوْلُهُ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤].

---

**الشرح:**

هذه الآيات فيها إثبات صفة الرحمة لله ﷻ.

وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ يعني: نقرأ مستعينين باسم الله ﷻ، مستعينين به وباسمه.

**والله**: ﷻ هذا الاسم، لفظ الجلالة، كلما جاء وجمع مع الأسماء الأخرى تكون الأسماء الأخرى صفةً لهذا الاسم.

**الله الرحمن الرحيم**: الثلاثة من أسماء الله، لكن الاسمين الكريمين الرحمن الرحيم وردتا هنا صفتين للفظ الجلالة الله.

**الرحمن الرحيم**: اسمان كريمان يتضمنان صفة الرحمة.

وقد اختلف الناس في التفريق بينهما، وأعجبني ما ذكره الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ إذ ذكر أن الرحمن لإثبات أصل الصفة، والرحيم لإثبات أنها صفةٌ متعديةٌ، فالله ﷻ يرحم عباده، وقال: وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب:٤٣] عند التعدية ذكر اسم الرحيم.

﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة:١١٧] وقال: ولم يجئ قط رحمان بهم، فعُلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، والرحيم هو الراحم برحمته.

ومهما كان الأمر فالاسمان الكريمان يتضمنان صفة الرحمة.

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً﴾ [غافر:٧] (كل) لم يستثن أي شيء، فلا تيأس من رحمة الله، مهما بلغ أمرك ما بلغ.

صفة الرحمة من الصفات الاختيارية: كلما قلت أن هذا من الصفات الاختيارية فاعلم أن المختلفين فيها جميع المتكلمين، كل ما نطلق عليهم متكلمين، سواءً كان محدثًا، أو كان متكلمًا محضًا؛ لأن قضية الصفات الاختيارية لا يثبتها إلا السني السلفي المحض؛ حتى الذين أثبتوا بعض الصفات الاختيارية كأبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ الذي يثبت الاستواء لا يستطيعون أن يثبتوه كإثبات السلف.

سيأتي في صفة الاستواء يقولون: أنه فعلٌ فعله الله في العرش، أما أن الله ﷻ استوى فهذا لا يثبتونه، حتى ولو قالوا أنهم يثبتون.

فلذلك كلما قلت أن هذا من الصفات الاختيارية فاعلم أن المخالفين فيها جميع المتكلمين؛ جهميةً ومعتزلةً وأشاعرةً وماتريدية.

الطالب: ما المقصود بالاختيارية؟

**الشيخ**: جميع الصفات التي تتعلق بقدرته ومشيئته، ليست كالصفات الأزلية، الصفات التي يتصف الله بها أزلًا وأبدًا.

مثلًا: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة:٢٩]. يعني: أنه لم يكن مستويًا على العرش ثم استوى، إذن هذا فعلٌ فعله الله ﷻ وهو يتعلق بمشيئته وقدرته إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل.

أما صفة السمع والبصر فيتصف بهما أزلًا وأبدًا.

بعد نفيهم للصفات الاختيارية، طبعًا هم يتحيرون في التأويل، ولك عمومًا في الصفات الاختيارية وبالذات الأشاعرة والماتريدية، إما يرجعونها إلى صفةٍ أزليةٍ هم يثبتونها من الصفات السبعة أو الثمانية عند الماتريدية، أو يوؤلونها ببعض مخلوقاته، فيقولون: المراد بالرحمة إرادة الرحمة، أو الإحسان والإنعام.

قوله: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩] هذه الآية فيها إثبات الرضى، وهي أيضًا من الصفات الفعلية، وأنكرها من ينكر الصفات الفعلية.

وطبعًا: هناك شيءٌ مهم، لماذا ينكر هؤلاء؟ ولماذا يصرون في إنكار الصفات الاختيارية؟ ولماذا يلتقي جميع مدارس المتكلمين في نفي الصفات الاختيارية؟

الأمر يرجع إلى ذلك الأصل، وذلك الصنم: حلول الحوادث بالأجساد.

هل سمعتم أنهم قدروا آيةً من آيات الله بهذا الشكل، يحترمونه! كل ما صادمه من الآيات والأحاديث كلها منفية لأجل هذا الأصل الذي أصلوه: حلول الحوادث بذاته سبحانه؛ ولأجل هذا الأصل المعتزلة أنكروا جميع الصفات، قالوا: هذه الصفات إما أن نثبتها قديمةً فيستلزم تعدد القدماء، والتوحيد عندهم إثبات قديمٍ واحدٍ.

من قال لك أن التوحيد إثبات قديم واحد؟

التوحيد إثبات قديمٌ واحدٌ فيه شيءٌ من الحق وشيءٌ من الباطل؛ يقولون: وإذا أثبت الصفات قديمةً فهذا يستلزم تعدد القدماء، وهذا شركٌ، ولذلك لابد أن تنفي.

وإما أن تثبتها حادثةً، وهذا يستلزم حلول الحوادث بذاته سبحانه.

كل من ينكر شيئًا من الصفات يرجع إلى هذا الأمر، لذلك المتكلمون بجميع طوائفهم لا يثبتون شيئًا من الصفات الاختيارية.

أما قوله: أن الغضب فيه شيءٌ من الانفعال وكذا، فهذه كلها أمور ثانوية، الأصل الذي لأجله يؤولون ويعطلون وينفون هو هذا الأصل.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء:٩٣]

وَقَوْلُهُ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [محمد:٢٨]

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [الزخرف:٥٥]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦]

وَقَوْلُهُ: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف:٣]

---

**الشرح:**

هذه الآيات الكريمة فيها إثبات صفة الغضب لله ﷻ، وصفة الأسف، والكره، والمقت، هذه الصفات كلها صفات اختيارية، وصفات فعلية.

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ فالله ﷻ يغضب على من شاء من العاصين، ومتى ما شاء، وهذا معنى قولنا: صفة اختيارية.

وكذلك الأسف والكره والمقت، هذه كلها صفات اختيارية.

نحن نثبت هذه الصفات كلها؛ لأن الله أثبتها لنفسه. **هذا أولًا**.

**ثانيًا: نثبتها لائقةً بجلاله وكماله.**

أي: صفة من هذه الصفات التي نثبتها لله ﷻ ليس فيه تشبيهٌ؛ لأنها أُضيفت إلى الله، فمقت الله وغضبه وأسفه ليس كمقت المخلوقين وغضبهم وأسفهم، هذا أصلٌ في جميع الصفات.

وكل من ينكر الصفات الاختيارية ينكر هذه الصفات، الأصل: هو ذلك الصنم؛ حلول الحوادث، ولكن لهم تبريراتٌ في كلٍّ، يقولون: الغضب إرادة الانتقام، لا ينتقم ممن خلقه، كيف لا ينتقم منه؟ وفيه انفعال وتغير، هكذا قالوا.

لكن الغضب على من يستحق الغضب عليه، يعني: من القادر على عقوبته هذه صفة كمالٍ، الذي يُستغضب ولا يغضب هذا ليس من صفة الكمال.

والمهم: أن الله أثبتها لنفسه، وما دام أنه أثبتها لنفسه فنحن نثبتها له كما يليق بجلاله وكماله.

والمنكرون أرجعوها إلى الثواب أو العقاب أو إرادة الثواب والعقاب.

والأسف: الغضب، قال ابن عباس: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ أغضبونا.

وَقَوْلُهُ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [البقرة:٢١٠]

وَقَوْلُهُ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام:١٥٨]

وَقَوْلُهُ: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ [الفجر:٢١]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ [الفرقان:٢٥]

---

**الشرح:**

هذه الآيات فيها إثبات إتيان الله ﷻ، وإثبات مجيئه سبحانه.

يقول سبحانه: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ هل ينتظرون إلا الوقت الذي يأتي فيه الله ﷻ يوم القيامة لفصل القضاء.

﴿ فِى ظُلَلٍ ﴾ جمع الظلة، وهو ما يظلك.

﴿ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ وهو السحاب الرقيق الأبيض، يسمى غمامًا لأنه يغم أي يستر.

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ أي: الملائكة أيضًا تأتي في ظلل من الغمام.

﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ أي: أمر إهلاكهم، ففيه وعيدٌ.

يعني: هل تنتظرون ذلك الوقت الذي لا ينفعكم فيه شيءٌ؟ يكون الله قد جاء لفصل القضاء ويتم أمر إهلاككم، فهل تنتظرون ذلك الوقت.

الشاهد: أن الآية فيها إثبات إتيان الله ﷻ، وفي نفس الآية: إتيان الملائكة؛ لأنهم أحيانًا يؤولونه بإتيان الملائكة، وأحيانًا بمجيء أمره.

وفي قوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ هنا إتيان الملائكة لقبض أرواحهم، وهنا أيضًا وعيد.

يعني: هل تنتظرون الوقت الذي تأتيكم فيه الملائكة لقبض أرواحكم، أو تنتظرون يوم القيامة، ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ لفصل القضاء، أو تنتظرون الوقت الذي لا تنفعكم فيه التوبة، ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ﴾ خروج الشمس من مغربها.

أي: كل هذه الأوقات الثلاثة لا ينفعكم فيها شيءٌ ؟ أي: هل تنتظرون ذلك الوقت الذي لا ينفعكم فيه شيءٌ.

الشاهد هنا: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ﴾.

وفي قوله: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (كلا)، هذه كلمة غضب و(١٨ :٥٥).

يعني: ما كان ينبغي لكم أن يصدر منكم كذا وكذا.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾، أي: إذا زلزلت وحُركت تحريكًا شديدًا حتى ينهدم كل بنيان.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ لفصل القضاء، ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾هذا أيضًا تهديد.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ أي: تنفرج وتتفطر، ﴿ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ ، وهذا يوم القيامة، ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، والمراد بالغمام الغمام الذي ينزل الله فيه، كما سبق في الآيات.

﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾، ينزلون مع نزول الله لفصل القضاء.

فهنا أثبت الله ﷻ لنفسه إتيانًا ومجيئًا يليق بكماله، وهذه من الصفات الاختيارية وأنكرها جميع المتكلمين، قالوا: الإتيان والمجيء يستلزم الانتقال والزوال، وهذا لا يليق بالله ﷻ لأنه يستلزم حلول الحوادث بذاته سبحانه.

سبحان الله، هل ورد في النصوص أن الله ﷻ لا ينتقل؟

أنت كسني ملتزم بالنصوص ما تستطيع أن تثبت هذا الشيء، لكن هل ورد النفي؟

من لوازم الربوبية، تتدخل في أخص خصائص الربوبية، ينبغي له أن يكون كذا وكذا، وإلا يستلزم كذا وكذا. نعوذ الله.

إذن الله أثبت لنفسه إتيانًا ومجيئًا يليق بجلاله وكماله.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٢٧]

وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨].

---

**الشرح:**

في هاتين الآيتين الكريمتين إثبات الوجه لله ﷻ، وإثبات الوجه لله ورد في نصوصٍ كثيرةٍ، وهو من الصفات الخبرية، والصفات الخبرية تقابل في التأصيل الصفات العقلية، وهذا التأصيل في أصله للمتكلمين.

المتكلمون يقسمون الصفات من حيث دليل ثبوتها إلى عقليةٍ وخبريةٍ.

الصفات العقلية: هي التي يكون طريق إثباتها العقل، كالصفات السبعة، ولا دخل للسمع فيها، يُذكر السمع فيها للاعتضاد وليس للاعتبار.

والصفات الخبرية: هي التي طريق إثباتها الخبر المحض، ليس للعقل فيها دخلٌ، هكذا يقولون.

هذا مصطلحهم، وأصله للمتكلمين، ويستخدمه أهل السنة والجماعة مع عدم موافقتهم في أصولهم: الصفات العقلية عند أهل السنة والجماعة سمعيةٌ أولًا عقليةٌ ثانيًا، نحن نثبتها لأن السمع أثبتها، ونثبتها أيضًا لأنها كمالٌ محضٌ لله ﷻ.

وهذه صفاتٌ خبريةٌ، والصفات الخبرية، كالوجه واليدين وغيرها، المخالفون فيها أقل من الصفات الفعلية؛ لأن أوائل الأشاعرة يثبتونها كلهم، الإمام أبو الحسن الأشعري وأصحابه المتقدمون، من قبل الجويني جلهم، أقول جلهم لأنه قد يكون، يثبتون الصفات الخبرية، ويردون على المعتزلة؛ أنت لما تقرأ للباقلاني، وهو من أئمة الأشاعرة، وهو مالكيٌّ جر المالكية إلى...، ونقل الأشعرية إلى المغرب؛ المهم: لما تقرأ ردوده على المعتزلة في هذه الصفات الخبرية ردود رائعةٌ جدًّا.

ولذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من منهجه ضرب القوم بعضهم ببعضٍ، يعني: يذكر نصوصهم باستقصاء للرد على المتأخرين؛ ليقول لهم: ننازعكم فيها نحن وأئمتكم! لأن التعطيل في الصفات الخبرية هذا تميز به المعتزلة في الأساس، ودخل معهم المتكلمون المتأخرون من بعد الجويني، الجويني يمثل مرحلةً مستقلةً في مسيرة المذهب الأشعري، يعني: الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان دائمًا في تحسنٍ، كان

معتزليًّا، ثم صار كلابيًّا، ثم التزم الإمام السعدي في بغداد تعلم منه وأخذ منه، وأعلن أنه أخيرًا على عقيدة الإمام أحمد، وألف كتابه «الإبانة» وأثنى فيه على الإمام أحمد، وألف كتابه «مقالات الإسلاميين» الذي جئت به أمس، وذكر فيه مذهب أهل الحديث، ومذهب الكلابية لحاله، ومذهب أهل الحديث، وقال في آخره: وبه نقول. الأشاعرة يقولون: هذا اللفظ مقحمٌ في كتابه.

من الذي أقحمه؟

ما ندري.

الإمام ابن عساكر الذي هو أشعريٌّ أيضًا، وهو محدثٌ، لما ألف كتابه «تبيين كذب المفتري» ألفه دفاعًا عن الأشعري، دافع عنه في كتاب «الإبانة» وذكر أن عقيدته مثل عقيدة المحدثين فما الذي يُستقبح من آرائه؟

ومع ذلك الأشاعرة الآن ينكرون كتاب «الإبانة» مع أن ابن عساكر وهو من أئمة القرن السادس، توفي سنة (٥٦٠) وهو صاحب «تاريخ دمشق» الذي طُبع في سبعين مجلد، الذي قيل عنه كتاب الإسلام، كتاب كبيرٌ جدًّا في التاريخ، يعني تاريخ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مجلدٍ واحد، والرجل محدثٌ إلا أنه دخل في...، أودع كتاب «الإبانة» كله في «التبيين» ومع ذلك ينكرونه، يقولون: هذا الكتاب منحول لأبي الحسن الأشعري.

**المهم**: أبو الحسن الأشعري ليس من الأشاعرة في شيءٍ، لأن الرجل ترك حتى مرحلته الكلابية، وكتابه «رسالته إلى أهل الثغر» أكثره إلا المواضع القليلة التي بقيت منه رواسب علم الكلام؛ لظنه أنها لا تخالف السنة، وإلا كان الرجل في تحسنٍ مستمر.

**والخلاصة**: أن الإمام أبي الحسن الأشعري نخرجه من السلسلة أصلًا.

**الأشاعرة الطبقة الأولى**: طبقة الكلابية، ويستمرون إلى الباقلاني، المتوفى سنة (٤٠٣).

**المرحلة الثانية**: تبدأ من عند الجويني، المتوفى سنة (٤٧٨) والجويني شيخ الغزالي ، المتوفى (٥٠٥) شيخه وأشهر مشايخه أبو المعالي الجويني إمام الحرمين، الجويني قرب المذهب الأشعري إلى الاعتزال؛ لأن الأصول التي قررها الكلابية هي أصول المعتزلة؛ أما التقريرات تقريرات أهل السنة، فبقوا متحيرين بين الأصول والفروع، فكلما تقادم بهم الزمن ارتموا في أحصان المعتزلة أكثر.

الجويني قربهم من الاعتزال أكثر، وهذه المرحلة تسمى : الأشعرية الاعتزالية.

عند فخر الدين الرازي المتوفى سنة (٦٠٦) يدخل الأشاعرة المرحلة الأخيرة: وهي الأشعرية المتفلسفة، الله ﷻ لا داخل العالم ولا خارج العالم، هذه الفلسفة تبدأ في الأشعرية الفلسفية، تضيف إلى ما عندها من انحرافات المعتزلة تضيف إليها سفاسف الفلاسفة.

إذن مرحلة الكلابية كلهم يثبتون الصفات الخبرية، جلهم يثبتونها، كلما قلنا هذا من الصفات الخبرية نعلم أن أوائل الأشاعرة يثبتونها، فيكون المخالفون قلة، أقل من الصفات الاختيارية.

وَقَوْلُهُ: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ [المائدة:٦٤].

---

**الشرح:**

في هاتين الآيتين الكريمتين إثبات اليدين لله ﷻ، وإثبات اليدين له موجودٌ في جميع الكتب السماوية، كما أنه موجودٌ في القرآن والسنة، وأهل السنة والجماعة كلهم على إثبات اليدين لله تعالى، وهذا أيضًا من الصفات الخبرية.

والمخالفون يؤولون اليد بالقدرة، هنا في قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ هذه التثنية هنا تدل على خطأ تأويلاتهم من أساسها؛ فلا أساس لها، فمن الوجوه التي تدل على بطلان تأويلاتهم: هل القدرة واحدة أو قدرتان؟ هل بما خلقت بقدرتي؟ لا؛ ولكن القوم يستلزمون هذه الشناعات لهدفهم.

**أيضًا**: هنا الله أثبت ميزةً لأبينا آدم، لم تكن لغيره، أنه خلقه بيديه الكريمتين، هم قالوا: بقدرتيه، هل كان الشيطان إبليس بليدًا إلى هذا الحد، لو كان بقدرتيه، والشيطان أيضًا بقدرته، لكان الشيطان يحاججه، دخل في مناظرة مع رب العالمين لأنه علم نتيجتها، لكان يحاجج ويقول: وأنا أيضًا خلقتك بقدرتك، فما هي الميزة التي ميز بها آدم.

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾، فهذه الصفة كما قلت من الصفات الخبرية.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور:٤٨]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ [القمر: ١٣، ١٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه:٣٩].

---

**الشرح:**

هذه الآيات الكريمات فيها إثبات العين لله ﷻ، وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة.

وإثبات هذه الصفة في القرآن جاء بلفظ المفرد، وجاء أيضًا بلفظ الجمع.

هنا: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾، أي: بمرأى منا، وتحت حفظنا، فلا تبالي بهؤلاء الكفار.

﴿ وَحَمَلْنَٰهُ ﴾ أي: حلمنا نوحًا عليه السلام... ﴿ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾، التي كانت ذات أخشاب عريضة ومسامير شُدت بها تلك الأخشاب، دسر مفردها دسار.

هذا الجمع ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ مشاكلة للفظ الجمع؛ لأن العرب إذا أضافوا المفرد إلى الجمع فإنهم يجمعونه إذا كان ظاهرًا أو مضمرًا، فإنهم يجمعونه مشاكلةً.

يقول الشيخ: نراك بأعيننا ونحفظك بأيدينا. لا أحد يفهم منه أن هذا الشخص الذي يكلمه له أعينٌ كثيرةٌ، متى يقول هذا الشخص؟ الشخص الذي يثق في نفسه، ويرى أن له أيضًا أعوان فيجمع، نراك بأعيننا؛ لست بوحدك، ونحفظك بأيدينا، مع أنه واحدٌ إلا أن الجمع هنا مشاكلةٌ.

الرازي في «أساس التقديس» ذكر في صدد استبشاع ظاهر؛ لأن المتكلمين من منهجهم يذكرون الظاهر مستبشع، ثم يقولون: هل نثبت هذا الشيء؟ حتى يجعلونك تستبشع هذا اللفظ من كثرة تحريفهم، فقال: أثبت الله ﷻ لنفسه عينًا واحدةً وأثبت لنفسه أعينًا كثيرةً، فذاتٌ له عينٌ واحدةٌ وذاتٌ له أعين كثيرة، فكيف هذا؟

هذا كله تلاعب بالنصوص؛ وإلا الرازي في اللغة عبقري، له كتب في البلاغة؛ إلا أن استبشاع هذا الظاهر؛ فالله أعلم، قد يكون (٠١:١٣:٥٦).

﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾، أي بمحضر منا، ﴿ جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ فنحن نثبت العين لله ﷻ، ونثبت أثر الصفة.

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [طه:٣٩]، أي: بمرأىً مني، أراك وأحفظك.

وَقَوْلُهُ: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة:١]

وَقَوْلُهُ: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [آل عمران:١٨١]

وَقَوْلُهُ ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف:٨٠]

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:٤٦]

وَقَوْلُهُ: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق:١٤]

وَقَوْلُهُ: ﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة:١٠٥]

---

**الشرح:**

في هذه الآيات الكريمات إثبات السمع والرؤية لله ﷻ، قد سبق أن ذكر شيخ الإسلام آيتين كريمتين لإثبات السمع والبصر، هنا رجع لإثبات السمع والرؤية مرةً أخرى، والله أعلم: أعاد هنا هذه النصوص لتوضيح نقطةٍ معينةٍ يختلف فيها من يثبت الرؤية والسمع من الأشاعرة والماتريدية، وهم يلتقون في إثباتها مع أهل السنة، ويختلفون في إثباتها في بعض الأمور، يتفقون في إثباتها من حيث الجملة، ويختلفون في بعض ما يتعلق بهذا الإثبات.

والله أعلم: أعاد ذكر هذه النصوص للإشارة إلى هذا الجانب؛ لأن هذه النصوص التي ذُكرت هنا تشير إلى : إثبات الجانب المتعلق بمشيئته وقدرته.

نحن لما نذكر تقسيم الصفات نقول: صفات الله تنقسم إلى ذاتية وفعلية، وذاتية باعتبار وفعلية باعتبار.

الصفات الذاتية: الأزلية التي لا ينفك الله منها أزلًا وأبدًا.

وفعلية: التي يفعلها الله بمشيئته وقدرته متى ما شاء الله.

وصفات ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار، كصفة الكلام، فالله يتصف بصفة الكلام أزلًا وأبدًا، وهو مع ذلك يكلم من شاء بما شاء متى شاء، هذا الجانب متعلق بالمشيئة.

والأشاعرة يثبتونها صفةً أزليةً، ولا يثبتون الجانب المتعلق بمشيئته وقدرته، ولذلك تكليم الله ﷻ لموسى في حينه، هذا لم يكن منه إلا قديمًا، تكلم الله أزلًا وتوجه إلى موسى في حينه، والجديد هو كما قلت لكم: التعلق.

وكذلك لما يكلم أصحاب الموقف يوم القيامة يكون الله ﷻ قد تكلم به أزلًا والجديد هو التعلق.

وكذلك: هنا، ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ﴾، أليس فيه إشارةٌ إلى هذا الجانب، الله ﷻ يتصف بصفة السمع، أيضًا يسمع الآن، هذا جانبٌ يتعلق بالمشيئة والقدرة، سمع ويسمع، وهذه ألفاظٌ تشير إلى هذا الجانب.

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾.

﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾هذا الجانب أنكره من يثبت هذه الصفة من المتكلمين، جميعهم، كل من أثبت هذا الصفة فإنهم ينكرون هذا الجانب المتعلق بمشيئته وقدرته؛ لأنه يصادم أصلهم في حلول الحوادث بذاته سبحانه.

وأيضًا : في هذه الآيات يبين الله أنه قد يخص بعض المخلوقات بالنظر والاستماع، إنني معكم... وسمعه ورؤيته في هذه الآيات ليس المراد به السمع المجرد والرؤية المجردة ونظائر هذين، بل فيها إثبات علمه بذلك، وأنه يعلم ذلك هل هو خيرٌ أو شرٌّ، وأنه يثبت المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته.

وفيها إشارة إلى الثواب، ليس فيها إثبات السمع المجرد والرؤية المجردة.

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ ﴾ أي: سيجازون على أعمالهم إن كانت حسنة فبإحسانهم، وإن كانت سيئة فيجازون على سيئاتهم.

أيضًا: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.

إذن في هذه الآيات إثباتٌ لسمعه سبحانه ورؤيته، وإثباتٌ أيضًا لهذا الجانب المتعلق بمشيئته وقدرته، وإثباتٌ أيضًا أن الله قد يخص بسمعه وبصره بعض المخلوقات، وأن السمع والبصر في هذه الآيات ونظائرها ليس المراد به إثبات السمع والرؤية المجردة، بل إثبات أن الله ﷻ يرتب على هذا السمع والرؤية الجزاء على الإحسان أو الإساءة.

نكتفي بهذا القدر.

## الأسئلة

الطالب:... علم العقيدة، علم الكلام... باعتبار أن أول ما وقع الخلاف وقع في...

**الشيخ**: هذا الذي ذكرته يذكره المتكلمون لتبرير تسميتهم علم العقيدة بعلم الكلام، ولا يذكرونه لتبرير تسمية علم العقيدة بعلم الكلام، لا، وهو مخطئون حتى في هذا التبرير، وشيخ الإسلام ذكر هذه المسألة في مناظرته حول الواسطية، ورد على صفي الدين الهندي؛ لأن صفي الدين الهندي ذكر أن المتكلمين سموا متكلمين لأن أول صفة حدثت فيها الخلاف في الأمة هي صفة الكلام، فذكر شيخ الإسلام أن المتكلمين وهم المعتزلة وهم أئمة علم الكلام، كانوا يسمون متكلمين قبل أن يحدث الخلاف حول هذه الصفة، بل كان الخلاف معهم في مسائل الإيمان والمنزلة بين المنزلتين، فرد عليه وأفحمه.

طبعًا: هو ذكر أن الشهرستاني ذكر هذا الشيء، فرد عليه شيخ الإسلام أيضًا هذا الأمر.

إذن، **أولًا**: علم العقيدة لا يسمى علم الكلام بأي وجهٍ من الوجوه؛ لأن علم الكلام كما ذكر شيخ الإسلام لأن المتكلمين يتكلمون فيما يجب أن يُسكت فيه، يتكلمون في أمورٍ ويخوضون في أمورٍ ليس لهم عليها دليل.

**ثانيًا**: كلامهم كثيرٌ، فسموا متكلمين.

وهذا الأمر أشار إليه أيضًا الإمام مالك.

فالمتكلمون لا يمثلون العقيدة الصحيحة، وعلم الكلام ليس علم العقيدة، هو علمٌ فيه شيءٌ من علم العقيدة، وفيه شيءٌ من الفلسفة، من كتب فخر الدين الرازي كتاب «محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء» بدأ بالفلاسفة، فعلم العقيدة صار محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين.

فلا يسمى علم العقيدة به، الذي يريد أن يستهزئ بعلم العقيدة يسميه علم الكلام، علم الكلام شيءٌ يختلف عن علم العقيدة، علم العقيدة مبناه على الكتاب والسنة، والله أعلم.

الطالب:...

**الشيخ**: قلنا، نحن نثبت العين، ونثبت أثر الصفة، وهم يكتفون بالأثر.

الذي يثبت الصفة يثبت أثر الصفة، والذي ينكر الصفة ويقتصر على الأثر هذا هو المؤول.

الطالب:...

**الشيخ**: أنت لما تثبت العين وأثر إثبات هذه الصفة لست متأولًا؛ لماذا تؤول أصلًا، من الذي يحتاج إلى تأويل؟ الذي لا يريد أن يثبت شيئًا، فيحتاج إلى تأويلٍ، لأن هناك شيءٌ لا يريد أن يثبته.

الطالب:...

**الشيخ**: التأويل كما ذكرنا، وسيلةٌ توصل إلى التعطيل.

الطالب: أزلية بعض الصفات باعتبار، وتجدد آحاد باعتبار آخر...

**الشيخ**: لا أستحضر الآن ضابطًا معينًا لهذا الشيء، لكن مثلما ذكرنا الآن بالنظر إلى نصوص السمع و الرؤية التي ذكرها شيخ الإسلام، بالنظر إلى النصوص تعرف، لا أستحضر الآن ضابطًا معينًا للتمييز بينهما.

الطالب:...

**الشيخ**: صفة الكلام مثلًا: هل هناك وقتٌ لا تصف الله فيه بالكلام؟

الله ﷻ متصفٌ بصفة الكلام أزلًا وأبدًا، المتكلم هو من يتصف بصفة الكلام، أنت الآن تتكلم وهذا ساكت، هذا أيضًا متكلم لأنه متصف بصفة الكلام.

أنا متصف بصفة الكتابة مع أنني لا أكتب؛ لأن هذه صفة كمالٍ، الله متصف بصفة الكلام سواءً تكلم أو لم يتكلم، لكن الله ﷻ يكلم من شاء بما شاء متى ما شاء، هذا هو الجانب المتعلق بمشيئته وقدرته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهَدْي هَدْى محمد –صلى الله عليه وسلم–، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: لا زال شيخ الإسلام في ذِكْر الآيات التي فيها إثبات الله –عز وجل– لنفسه الأسماء والصفات.

وَقَوْلُهُ: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ [العلق: ١٤]

وَقَوْلُهُ: ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [الرعد: ١٣]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ٥٠]

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الطارق]

---

**الشرح:**

بالنسبة للآيات: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ [العلق: ١٤]؛ هذه الآيات الثلاث هذه التابعة لإثبات صفة السمع والرؤية التي تحدثنا عنها أمس.

أما قوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [الرعد: ١٣]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ٥٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الطارق: ١٥ - ١٦]؛ هذه الآيات فيها إثبات المِحَال، والمَكْر، والكَيْد لله -عز وجل- على سبيل المقابلة، فالله -عز وجل- يمكر بمن يمكر بأوليائه، والله -عز وجل- يستهزئ بمن يستهزئ برسله وأوليائه، والله -عز وجل- شديد المِحَال.

والمِحَال من المماحلة، وهي شدة المماكرة، فهي من المكر، ولكن يختلف قليلًا، بعض الألفاظ تكون متفقة في أصل المعنى، ولكنها تختلف قليلًا أو كثيرًا؛ هذه منها.

فهو -سبحانه- شديد المكر والكيد لأعدائه، يأتيهم بالهَلَكَة من حيث لا يحتسبون، ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾؛ في هذه الآيات كما قلنا: إثبات المكر والكيد والاستهزاء، ولكنها كلها تُطلَق على الله -عز وجل- على سبيل المقابلة، فلا يقال: إن من أسمائه الماكر، ولا يقال أيضًا: إن من صفاته: المكر والكيد. لا يقال هذا، بل تذكر هذه دائمًا على سبيل المقابلة.

مثلًا هنا: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الطارق: ١٥ - ١٦]»؛ ذُكِر مقابلة لفعلهم، ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾؛ إذًا، هذه كلها تُذكَر على سبيل المقابلة، وكما عرفنا أن باب الأسماء أضيق الأبواب، ثم باب الصفات، ثم باب الأفعال، ثم باب الإخبار.

بعض العلماء ذكروا هنا أنه لا يجوز إطلاق هذه الألفاظ أفعالًا إلا على ما ورد، فمثلًا: لا يقال: يمكر؛ حتى لا تذكر بالأفعال الأخرى؛ لأن الذي ورد هنا: ﴿ وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾ ﴿ وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾، فلا يقال: يمكر. طبعًا هذا خطأ، الصحيح أن هذه الصيغ؛ صيغ الأفعال سواءً كانت ماضية أو مضارعة تُذكَر، ولكن بقيد، فالله -عز وجل-؛ لا يقال: إنه يمكر. ولا يقال: إنه يستهزئ. ولا يقال: إنه يخادع ويكيد؛ إلا بذكر المقابلة؛ لا بد من القيد.

كما أنه من باب الأولى لا يشتق له منها أسماء، فلا يقال: إنه مخادع، ولا ماكر إلى آخر هذا.

هذه؛ المِحال والمكر والكيد، طبعًا، هذه أهل السُّنَّة والجماعة يثبتونها على هذا النحو؛ بقيد، وغيرهم لا يثبتونها، ينكرونها؛ لأنهم لا يُثبتون الصفات الذاتية، فكيف بمثل هذه الصيغ التي في ظاهرها شيء من؛ إثبات الاستهزاء والمكر والكيد، بل هم لا يثبتون الصفات التي ليس في ظاهرها شيء، فكيف بهذه؟!

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء:١٤٩]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٢٢]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾ [المنافقون:٨]

وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص:٨٢]

---

**الشرح:**

في هذه الآيات الكريمات إثبات صفة العفو والمغفرة والرحمة لله –عز وجل–، الله –عز وجل– غفَّار للتائبين، رحيم بالمؤمنين، فهو موصوف بالرحمة والمغفرة، كما أنه موصوف بالعِزَّة، وهذه من الصفات الاختيارية التي يثبتها أهل السُّنَّة، ويخالفهم فيهم جميع الفِرق الكلامية.

طبعًا، المعتزلة هنا يفسِّرون العفو والمغفرة، يفسِّرونها وغيرها من صفات الفعل؛ كلها يفسِّرونها بآثار الأفعال، أما الأشاعرة والماتريدية فهو يؤِّلونها بالإرادة أو بالآثار، يعني يفسرونها بالإرادة مثلًا: إرادة المغفرة، إرادة العفو، هكذا، يرجعونها إلى الصفات التي هم يثبتونها؛ الصفات السبع. أو بالآثار كما هو مذهب المعتزلة.

أما العزة؛ فالعزة تأتي بمعان كلها تدل على القوة والامتناع والغَلَبة، يقال: عَزَّ يَعَزُّ بالفتح إذا قوي؛ عَزَّ يَعَزُّ، وعَزَّ يَعِزُّ بالكسر إذا امتنع، وعَزَّ يَعُزُّ بالضم؛ بضم عين المضارع إذا غلب. إذًا، معنى العزة يدور على القوة والامتناع والغَلَبة.

وَقَوْلُهُ: ﴿ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٧٨]

**الشرح:**

في هذه الآية الكريمة إثبات أن اسم الله مبارَك، تُنال معه البركة، وفيها أيضًا إثبات الجلال والإكرام لله -عز وجل-، وهذا يستلزم كمال صفاته -سبحانه-؛ لأنه إذا كان مستحقًا للإجلال والإكرام لزم أن يكون متَّصفًا في نفْسه بما يوجب ذلك، والإجلال يتضمن التعظيم، والإكرام يتضمن الحب والحمد والثناء، وتبارك معناه: تعاظم، أو علا وارتفع شأنه.

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:٤]

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء:١١١]

وَقَوْلُهُ: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التغابن:١]

وَقَوْلُهُ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان:١]

وَقَوْلُهُ: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:٢]

وَقَوْلُهُ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون:٩١]

وَقَوْلُهُ: ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون:٩٢]

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٧٤]

وَقَوْلُهُ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

---

**الشرح:**

في هذه الآيات الكريمة تنزيه لله –عز وجل– عن النقائص، يعني في هذه الآيات أمران:

الأمر الأول: تنزيه الله –عز وجل– عن النقائص.

والأمر الثاني: فيها توضيح لمنهج أهل السُّنَّة والجماعة في الإجمال في النفي، والتفصيل في الإثبات.

يعني هذا الحشد من النصوص؛ أراد شيخ الإسلام منها توضيح هذين الأمرين. بالنسبة للتنزيه عن النقائص، طبعًا، أكبر نقيصة تُنسَب إلى الله –عز وجل– هي الشرك، وأيضًا فيها نفي لبقية النقائص، وهذا من طريقين بالنظر في هذه النصوص؛ تنزيه الله –عز وجل– عن النقائص من طريقين:

الطريق الأولى: بنفيها مباشرة.

الطريق الثانية: بإثبات أضدادها.

﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [مريم: ٦٥]»؛ هذا الاستفهام للإنكار، السَّميّ من المُسامي، وهو المكافئ، وهو المثيل؛ يعني ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [مريم: ٦٥]»؛ أي ليس هناك من هو يساميه ويماثله.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ [الإخلاص:٤]

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢]

هذه الآيات سبق ذِكْرها في نفي التمثيل والتشبيه.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥]»؛ أي يبذلون لهم الحب الذي يجب لله –عز وجل–، لأن الحب الذي يجب لله –عز وجل– هو حب مع التعظيم والإجلال، وهذا الحب لا يجوز أن يكون إلا لله –عز وجل–، الحب مع التعظيم والإجلال. أما الحب الطبيعي، وأنواع الحب الأخرى فليست مما تختص بالله –عز وجل–.

فهنا: ﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ ؛ أي يحبونهم الحب الذي يجب أن يكون لله –عز وجل–، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ﴾. طبعًا هذا معنى.

**المعنى الثاني:** ﴿يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾؛ أي محبتهم لأصنامهم مثل محبتهم لله –عز وجل–، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ﴾ هنا كما ذكرنا سابقًا أن الحب والخُلَّة هي أنواع الحب، وقد أثبتها الله –عز وجل– لنفْسه، وأيضًا لحب عباده له، ولم تُذكَر بقية المراتب، بل هنا: وَقَوْلُهُ: ﴿أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ﴾ نعرف أن هناك مراتب فوق الحب، ومع ذلك لم تُستخدم؛ يعني لم يقال هنا: هم يعشقون الله –عز وجل– مما يدل على

أن هذه الأوصاف، وهذه المصطلحات التي نجدها عند الصوفية بالذات كلها خلاف ما ورد في النصوص.

وقوله: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء:١١١] لا شك أن الله –عز وجل– يوالي المؤمنين، يواليهم لرحمته ونعمته، وحكمته وإحسانه، وجوده وإنعامه، والمنفي هنا أن يوالي أحدًا لِذِلَّته؛ للذلة، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾؛ لا يوالي أحدًا لكونه ذليلًا –معاذ الله–، بل هو يوالي المؤمنين بجوده وإحسانه.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾؛ تسبيحه يعني تنزيه؛ الله –عز وجل– ينزِّه نفْسه، ومخلوقاته أيضًا تنزهه، وتسبيحه يتضمن مع نفيه صفات النقص عن الله –عز وجل– تتضمن أيضًا ما يلزم ذلك من إثبات عَظَمته؛ لأنه لم تُنفَ عنه النقائص إلا لأنه عظيم، ففي التسبيح تعظيم له، مع تبرئته من السوء.

وَقَوْلُهُ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا (١) ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ١، ٢]؛ أيضًا فيما بعده: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) ﴾ [المؤمنون:٩١، ٩٢] ؛ هذه الآيات الثلاث فيها إشارة إلى دليل التمانع الذي يذكره المتكلِّمون، ويستبطونه ليس من هذه الآية مع أنها صريحة في دليل التمانع، يستنبطونها من قوله سبحانه: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء:٢٢]، مع أن تلك الآية لا تدل على التمانع في الربوبية الذي ورد في هذه الآية.

هنا: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾؛ لو كان هناك إله غير الله –عز وجل– ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ﴾ لأن من صفات الألوهية أن يكون ربًّا، والرب يكون غالبًا، ولا يرضى بمشاركة غيره معه في الربوبية.

ولذلك، ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ﴾، ثم ذكر أنهم لن يكتفوا باستقلالهم بما خَلَقوا، وهذا يستقل، وهذا يكون مستقلًّا بمخلوقاته. لا، لن يكتفوا بهذا، ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾؛ الكل سيحاول أن يقهر

خصمه؛ ليكون هو الوحيد، طبعًا، هذه هي الصفات التي تفترض أنه رب، ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾؛ ما دام أن هذه المغالبة لم توجد، وما دام أن الجميع خاضع لله –عز وجل– لقُدرته، وما دام أنه لا مغالب لله –عز وجل– من أحد، فهذا دليل عَقلي على أن الله –عز وجل– هو المتفرِّد بالربوبية، والمتفرِّد بالربوبية يجب أن يكون متفرِّدًا بالألوهية كما نعرف العلاقة بين نوعي التوحيد؛ يعني توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية؛ لأن من كان ربًّا هو الذي يستحق أن يُعبَد، فتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية.

«وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]»؛ الفاحشة ما تناهت في القُبح، الفواحش هي ما كانت متناهية في القُبح من المعاصي، ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، ومن القول على الله بغير العلم هو ضرب الأمثلة له.

﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النحل: ٧٤] إذًا، لا يجوز أن تُضرَب الأمثال لله –عز وجل–، وضَرْب الأمثال: تشبيه حال بحال؛ أن يقال: إن نزوله مثلًا كذا وكذا؛ تشبِّهه بشيء. وتقول: إن صفته كذا هي كيفيتها كذا وكذا. هذا كله من القول على الله –عز وجل– بغير علم.

وكما ذكرنا في هذه الآيات: تنزيه الله –عز وجل– عن النقائص، وذلك بنفيها مباشرة أحيانًا، وبإثبات أضدادها أحيانًا، كما أن فيها بيان لمنهج أهل السُّنَّة: الإثبات المفصَّل، والنفي المجمَل.

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى﴾ فِي سبعة مَوَاضِعَ:

فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]

وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس:٣]

وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد:٢]

وَقَالَ فِي سُورَةِ طَه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩]

وَقَالَ فِي سُورَةِ الم السَّجْدَةِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة:٤]

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد:٤]

وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥]

وَقَوْلُهُ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٨]

---

**الشرح:**

في هذه الآيات إثبات استواء الله –عز وجل– على عرشه، وقد دل على هذه الصفة نصوص الكتاب والسُّنَّة، نصوص الكتاب بهذه الصيغة في سبعة مواضع، كما أن سلف الأمة وأئمتهم أجمعوا على إثبات هذه الصفة، وأما الآثار عن الصحابة والتابعين والأئمة فلا تكاد تُحصَر في إثبات هذه الصفة لله –عز وجل–.

وهذه الصفة هي الصفة التي كان السلف ينظرون إلى مواقف الناس فيها، وبها كانوا يميزون بين من كان من أهل السُّنَّة المحضة وبين من كان متأثرًا ببعض البِدَع، وهي من الصفات الاختيارية الفِعلية مما يدل على أن أحدًا من المتكلمين لن يكون مع أهل السُّنَّة في إثباتها.

ولهم في نفيهم وفي تأويلها طرائق عدة، أشهر تأويلاتهم، طبعًا أنا أتحدث عن المعتزلة، وللأسف هذا الموقف بنصِّه وفصِّه أخذه المتأخِّرون، المعتزلة يرون أن الاستواء يأوَّل بالاستيلاء.

وهذا الموقف هو الموقف إذا قلنا إذا صح التعبير: هو الموقف الرسمي للأشاعرة والماتريدية، اتفقوا على هذا التأويل؛ أن الاستواء بمعنى الاستيلاء. لماذا؟ قالوا: لأن العقل يُحيل إثبات الاستواء لله -عز وجل-. لماذا؟ قال: لأن إثبات الاستواء فيه تشبيه لله -عز وجل- بخَلْقه؛ لأن الاستواء فيه حاجة، المستوِي يكون محتاجًا إلى المستوَى عليه. نقول لهم: هذا استواء المخلوق، أما الاستواء الذي يليق بالله -عز وجل- فلا يكون فيه حاجة إلى غيره؛ لأن العرش وحملة العرش كلهم مخلوقون لله -عز وجل-، فهل يحتاج إليهم؟! لن يكون محتاجًا إليهم.

إذًا، فلماذا استوى؟ ما ندري، الذي أخبرنا به أنه استوى على العرش. وفي الحقيقة هم يختلفون أيضًا في العرش، ليس الخلاف في الاستواء فقط.

العرش الذي وُصف في النصوص بأن له قوائم، وأنه يحمله حملة العرش لا يُثبتونه، هم يقولون: إن العرش المراد به المُلْك؛ لأنهم لما يقولون: إن الاستواء بمعنى الاستيلاء؛ فمعناه يكون: استولى على العرش، والعرش إذا كان هذا المخلوق المعيَّن، فلماذا خُصِّص؟ بعضهم يقول: خُصِّص لأنه أعظم المخلوقات. وبعضهم قال: لا، العرش المراد به المُلْك، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى﴾؛ أي استولى على المُلْك.

طبعًا، هم لما يأوِّلون لا ينظرون إلى النصوص الأخرى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧] المُلْك يُحمَل؟! الملك شيء معنوي، وهل المُلْك له قوائم؟!

المهم عندهم دفع المدلول بأي وسيلة، أما أن النصوص لا بد أن تأتلف وتجتمع، ولا بد أن يكون هناك جَمع بين النصوص فهذا لا يهمهم، المهم: ادفع النص بأي وسيلة.

فيقال لهم: إن الخطوة الأولى: إن قولكم: الاستواء فيه حاجة؛ هذا خطأ، لماذا؟ لأن الاستواء معناه في اللغة هو: العلو والارتفاع، وليس في اللغة أن الاستواء المراد به استواء المخلوق، هذا لا تجدونه.

اللغوي لما يبحث في اللغة في القواميس لا يهمه كون هذا المعنى منسوبًا لفلان أو لفلان، لا يهمه هذا الشيء.

اللغوي يعطيك المعنى الكلِّي، والمعنى الكلِّي لا يكون له وجود إلا في الذهن. كيف تعرف تحديد المعنى؟ بإضافته، الاستواء هو العلو والارتفاع، إذا نُسِب إلى المخلوق نعرف أن استواءه كذا وكذا، إذا نُسِب إلى الخالق نعرف أن استواءه كما يليق بكماله وجلاله، أليس كذلك؟

إذًا، دعواهم أن الاستواء في اللغة بهذا المعنى، وهذا يحيله العقل، ولذلك نؤول. نحن نقول لهم من أول خطوة: أنتم شبَّهتم، ومن أول خطوة لا نسلِّم لكم.

يعني هم يقعون في التشبيه أولًا، ثم يعطِّلون. ولذلك، الأئمة يقولون: المعطِّلة كلهم مشبِّهة؛ لأنهم يقعون في التشبيه أولًا، ثم يعطِّلون، وإلا ما الذي يجعلك تنفي الاستواء، ثم تأتي بلفظ من عندك؟!

فلذلك يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- لما زادوا اللام هنا في اللفظ، جعلوا استولى من استوى يقول:

**نــون اليهــود ولام جهمــي همــا  في وحــي رب العــرش زائــدتان**

لما قيل لهم: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة:٥٨]؛ قالوا: حنطة. أزادوا النون اليهود، وهؤلاء؛ الله -عز وجل- يقول في سبع مواضع: استوى. وهم يقولون: استولى.

**نــون اليهــود ولام جهمــي همــا  في وحــي رب العــرش زائــدتان**

الأمر الأول: نحن نقول لهم: الاستواء لم يأت في اللغة بمعنى الاستيلاء. هم عندهم بيت ينسبونه للأخطل، وإلى اليوم الناس ما وجدوه في ديوان الأخطل، أنا اليوم كنت أقرأ لأحد، يقول: ما وجدوه في جميع نُسَخ ديوان الأخطل، مع أن الأخطل نصراني، إلا أنهم يصرون أن يلصقوه بالأخطل؛ لأنه قبل سنة مائة وخمسين، هم لا يحتجُّون بأشعار ما بعد هذه المدة؛ لأنه اختلطت اللغة فيها بـ، فلذلك لا يحتجُّون بشعراء ما بعد مائة وخمسين من السَّنَة الهجرية.

مع كونه كافرًا، مع كونه مخلطًا في، مع كل هذه ما وجدناه عند الأخطل، ماذا يقول؟

قـد اسـتوى بشـر علـى العـراق مـن غيـر دم مهـراق

فالاستواء بمعنى الاستيلاء ليس في اللغة.

ثانيًا: على فرض أنه موجود كما ذكر ابن العربي، ابن العربي ذكر أن الاستواء يأتي بأكثر من خمسة عشر معنى. قد يكون هذا صحيحًا، ولكن النصوص بعضها تفسِّر بعضًا، لو كان في النصوص في موضع واحد استولى بدل استوى لكان له وجه أن تفسَّر بقية النصوص كلها بالاستيلاء، أما أنها كلها بهذا اللفظ: استوى. فأنت تجعلها وتأوِّلها وتفسِّرها بالاستيلاء؟! هذا لا يصح.

أخيرًا: نقول لهم: لماذا الاستيلاء بدل الاستواء؟ يقولون: لأن الاستواء فيه تشبيه. نقول لهم: الاستيلاء أيضًا فيه تشبيه، أليس فيه تشبيه؟ الاستيلاء يكون بعد مغالبة، فمن الذي غالب الله –عز وجل- في عَرشه حتى استولى على العرش؟!

سيقول حتمًا: استيلاء الله –عز وجل- ليس كاستيلاء المخلوق. فنقول لهم: من البداية قولوا: إن الاستواء؛ استواء الله –عز وجل- يليق بكماله وجلاله، ويكون اللفظ الذي جاء به القرآن قد احترمتموه.

هنا يذكر شيخ الإسلام في (التدمرية) أنه ما من أحد فرَّ من شيء من الحق إلا ووقع في أشد منه خطورة. أنت الآن تلاعبتَ بالنص، بل بالنصوص، جئت بلفظ خالفت فيه أهل اللغة، في الأخير: وقعت في شيء شر مما فررت منه؛ لأنك جعلت من يغالب الله –عز وجل- على عرشه؛ استولى على العرش؛ لأن الاستيلاء لا يكون إلا بعد مغالبة، وفي الأخير: جعلت الاستيلاء منزَّهًا عن استيلاء المخلوقين. اللفظ الذي جاء به القرآن لو احترمته لما كنا طوَّلنا معك هذا، إذًا، بدايتهم التشبيه، ونهايتهم التعطيل.

أما هذه الدعوى التي نسمعها منهم في كل صفة أن فيه تشبيه، فيه تشبيه، الرحمة فيها تشبيه، والغضب فيه تشبيه، هذه كلها مبنية على ماذا؟ على جعل حقائق الألفاظ ما تليق بالمخلوقين.

الرحمة مثلًا، هم يقولون: الرحمة مجاز عن الإرادة. نحن نقول: لماذا؟ المجاز لا يُذهب إليه إلا إذا تعذَّرت الحقيقة، باعترافهم، كيف تعذرت الحقيقة؟ قالوا: لأن العقل يُحيل هذا المعنى في حق الله –عز وجل-؛ لأن الرحمة يكون فيها تأثُّر القلب، وهذا لا يليق بالله –عز وجل-.

قلنا: في أي كتاب من كتب اللغة أن الرحمة هي التي نراها عند المخلوق؟! بل الرحمة عند المخلوق تختلف، بل في المخلوقات تختلف، تختلف من مخلوق إلى مخلوق، أما رحمة الله –عز وجل– فهي تختلف، كما قلنا: إن اللغوي يبحث في أصل المعنى، وهذا يتحدَّد ويُعرَف بالتحديد والإضافة.

فلذلك، باب المجاز الذي يفتحونه كلّه مبني على خطأ؛ لأن من الذي اجتمع من العرب، واتفقوا على أن الرحمة معناها الأصلي في وضعها الأول أن الرحمة هي التي للمخلوق؟! من؟!

وهذه الصِّفة معانيها عن السَّلف، ذكروا لها أربعة معاني، جمعها ابن القيم في قوله:

**ولهـــم عبـــارات عليـــه أربـــع قـــد حصِّـــلت للفـــارس الطعَّـــان**

يعني معاني الاستواء

**وهـــي اســـتقر وقـــد عـــلا وكـــذلك ارتفـــع الـــذي مـــا فيـــه مـــن نكـــران**

**وكـــــذلك قـــــد صـــــعد....**

الذي هو الرابع، يعني هذه المعاني هي التي، مجموع كلام السلف لا تخرج عن هذه المعاني الأربع.

الاستواء؛ استواء الله –عز وجل– على عرشه هذه صفة فعلية كما قلنا، وهو علو خاص، والفَرق بين الاستواء والعلو، صفة العلو ستأتي النصوص على هذه الصفة، الفَرق بين الصفتين أن الاستواء صفة فعلية.

هنا يلاحظ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]»؛ هذه الكلمة تدل على أن الله –عز وجل– لم يكن مستويًا، ثم استوى، والاستواء خاصّ بالعرش، لا يقال: استوى على المخلوقات؛ لأن هذا خاصّ بالعرش.

أما العلو فهي صفة ذاتية، والله –عز وجل– عالٍ على خَلْقه بذاته أزلًا وأبدًا، ونصوص الاستواء من أدلة إثبات العلو؛ لأن الاستواء بمعنى العلو والارتفاع.

والاستواء كما قلنا: من الألفاظ الخاصة بالعرش، ولا تُضاف إلى غيره لا خصوصًا، ولا عمومًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥]

بعض المتكلِّمين كالحسن الأشعري وغيره يُثبتون الاستواء، ولكن كما قلنا: هم يفسِّرون الاستواء بشيء يخرجه عن معنى الاستواء، هم يقولون: الاستواء والنزول؛ هذه كلها أفعال فعلها الرب -سبحانه- في العرش. يعني لا يثبتونها، النتيجة.

وَقَوْلُهُ: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٥٨]

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر:١٠]

وَقَوْلُهُ: ﴿ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًاۚ ﴾ [غافر:٣٧]

وَقَوْلُهُ: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الملك ].

---

**الشرح:**

في هذه الآيات الكريمات إثبات علو الله –عز وجل– على خَلْقه، وهذه الصفة إثباتها معلوم بالاضطرار من الكتاب والسُّنَّة، وإجماع سَلف الأمة، واتفقت كلمة المسلمين، حتى الكافرين على إثباتها لله –عز وجل–. المشركين؛ لأن الجميع يقرُّون بفِطَرهم أن الله –عز وجل– في السماء، كما أن العقل يدل على أن الله –عز وجل– في السماء، وأدلتها كثيرة جدًّا.

وذكر ابن القيم أن أنواع الأدلة تصل إلى خمسة وعشرين نوعًا، كل نوع فيه عشرات الأدلة، وكان السَّلف يكفِّرون من يُنكر العلو، ولا زالوا يكفِّرون من ينكر العلو إذا لم يكن مأوَّلًا، وقد كفَّروا الجهمية، وأما المعتزلة وغيرهم لم يكفِّروهم؛ لأجل التأويل، عذَروهم بالتأويل، وإلا بالنسبة للجهمية كفَّروهم؛ لأن هذه الصفة مما يُعلَم من الدِّين بالبداهة.

والمخالفون لأهل السُّنَّة في هذه الصفة ثلاث طوائف، أبرز المخالفين:

الطائفة الأولى: معطِّلة الجهمية، وفيهم المتفلسفون من الأشاعرة. هذا انتشر منهم، وإلا لم يكن معروفًا هذا القول، الذين يقولون: إن الله –عز وجل– لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا مباينًا له، ولا ولا محايث له، فينفون عن الله –عز وجل– الوصفين المتقابلين اللذَيْن لا يخلو أي موجود عن أحدهما، ينفونهما عن الله –عز وجل–. وهذا مذهب المعتزلة، ومذهب المتفلسفين المتأخرين من الأشاعرة، وهذا هو الذي استقر عليه مذهب القوم من بعد الرازي.

والرازي في مقدمة (أساس التقديس) ذكر ثلاثة أدلة على إثبات موجود لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا يشار إليه، ذكر ثلاثة أدلة، من هذه الأدلة:

قال: بالنسبة للأمور الإضافية، مثلًا: البنوة والأبوة، هذه إضافة، هناك إضافة بين الأب والابن، أبوة وبنوة، الأب موجود، والابن موجود، والبنوة والأبوة؛ هذه الإضافة هي شيء ثالث، أيضًا موجودة، ولكن أين هي؟ قال: العقلاء اتفقوا على وجود هذه النسبة، إذًا، أثبتُّ أن شيئًا موجودًا لا يمكن أن يشار إليه، لا يقال: تحت ولا فوق. لأنه أصلًا ليس موجودًا، يعني لاحظ عقول القوم أين وصلت؟!

وكما ذكر شيخ الإسلام أنهم لما يأتون إلى هذه الأمور ينتفخون وكأنهم جاءوا بشيء عجيب. وهو فعلًا عجيب غريب! غريب على العقل! وإلا لا أحد يقول بوجود الإضافة هذه. الإضافة هذه إضافة ذهنية، الموجود في الخارج الأب والابن، أما الشيء الثالث ليس موجودًا.

من القصص الطريفة: واحد أرسل ابنه ليتعلم، فذهب تعلم المنطق، ولما رجع قال له: ما الذي تعلمت؟ قال: أنا الآن أستطيع أن أجعل الاثنين ثلاثة. قال له: كيف؟! قال: هذا الأمران، هذا شيء، وهذا شيء، والمجموع شيء. كم صاروا؟ ثلاثة.

هو ووالدته جلسا على المائدة، وجاء ببيضتين، قال: هذه لي، وهذه لأمك، والمجموع لك. هذه قصة المنطق، هذا المجموع الذي يأتون به لا حقيقة له.

وكذلك ذَكر الإنسان من الأدلة التي يثبت بها وجود موجود لا يُشار إليه، ولا يكون في جهة، قال: الإنسان ليس بمشاهَد. طبعًا، هناك خلاف بينهم في حقيقة الإنسان، يعني أنت سبحان الله! لما تكون معهم تصل إلى حد الجنون، ولن تعرف أنك وين.

قالوا: الإنسان ليس بمشاهَد. لماذا؟! لأن الإنسان حقيقة في الروح. طبعًا الإنسان مُركَّب من أمرين: البدن والروح؛ الجسم والروح، أليس كذلك؟

بعضهم قالوا: الإنسان حقيقة في البدن. وبعضهم قالوا: الإنسان حقيقة في الروح. والصحيح أن الإنسان مُركَّب من الأمرين: من الجسد والروح.

وهو ممَّن يرجِّح أن الإنسان حقيقة في الروح، ولذلك قال: الإنسان غير مشاهَد؛ لأن الروح من قبيل المعقولات، والمعقولات عمومًا لا يُشار إليها.

أصلًا، هذه البليَّة جاءت من تقسيم الفلاسفة للأمور إلى أمرين: محسوسات، ومعقولات. المعقولات كلها لا يُشار إليها، فقالوا: الإنسان لا يُشار إليه. لماذا؟ لأنه من المعقولات، والمعقولات لا يُشار إليها.

وسبحان الله! هذا أيضًا غريب، روحي وين تكون؟ أقل شيء في هذا الحيز الذي، أليس كذلك؟ لن تكون هناك روحي إن لم أستطع أن أشير إليها أين هي، هي طبعًا في جميع البدن، وأي جزء من البدن ليس فيه روح سيموت.

على كل حال؛ نزولًا عند قولهم؛ روح الإنسان عندنا أقل شيء في هذه البقعة التي هو فيها.

الدليل الثالث أيضًا غريب، أظن المعاني التي في الأذهان، نسيتها، هذه الأدلة الثلاثة أثبتَ بها –على زعمه– وجود موجود لا يُشار إليه، وهذا هو هذا المَثَل، وهذا مذهب معطِّلة الجهمية، واستقرَّ عليه رأي الأشاعرة المتأخرين.

المذهب الثاني: مذهب حلولية الجهمية، كلتا الفِرقتين جهمية، وهم يقولون: إنه بذاته في كل مكان. وهذا المذهب هو المعروف عن المتكلمين قبل تفلسفهم، بالذات الأشاعرة والماتريدية، طبعًا هذا مذهب المعتزلة، ولم يأخذوا به، هم كانوا يقولون: إنه في كله مكان. بعد تفلسف الأشعرية صاروا يقولون: إنه لا داخل العالَم، ولا خارج العالَم، ولا هو العالَم.

المذهب الثالث: مذهب طائفة بعض المتكلِّمين الذين يقولون: إن الله بذاته فوق العالَم، وهو أيضًا بذاته في كل مكان؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يجمعوا بين النصوص؛ نصوص العلو، ونصوص المعية، ولذلك شيخ الإسلام سيُفْرِد فقرة مستقلة بعد ذكر الأحاديث لإجابة هذا الإشكال، قد يُشكل على بعض الناس إثبات العلو مع إثبات المعية.

وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤]

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧]

---

**الشرح:**

في هاتين الآيتين، طبعًا الآيات بعدها أيضًا كلها في إثبات المعية، هذه الآيات كلها، ولكن شيخ الإسلام رتَّبها ترتيبًا معينًا لبيان نوعي المعية، سنذكر أن المعية الواردة في الكتاب والسُّنَّة نوعان:

المعية العامة.

والمعية الخاصة.

والآيتان إلى هنا؛ هذه فيها معية عامة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤]؛ هذه معية عامة، والمعية العامة تتعلق بالعلم والإحاطة، وهي لا تختص بأحد.

أيضًا: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾؛ أيضًا هذه معية عامة، والآيات التي سيذكرها من هنا كلها في المعية الخاصة.

وَقَوْلُهُ: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠]

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:٤٦]

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال:٤٦]

وَقَوْلُهُ: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٤٩]

---

**الشرح:**

نلاحظ هنا: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ ؛ الله –عز وجل– مع الجميع في معيته العامة، وهنا هذه معية خاصة.

﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ﴾؛ مع أنه مع الجميع في معيته العامة، ﴿ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾.

﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

المعية العامة هي معية العلم، وهي تقتضي الاطلاع والهَيمنة والعلم، أما المعية الخاصة فهي تزيد على هذا، فيها هذه المعاني: الاطلاع والهَيمنة والعلم، فيها هذه المعاني، وتزيد على ذلك بدلالتها على التأييد والنَّصر.

فمثلًا: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾؛ فيها كلتا المعيتين؛ يعني معنى الاطلاع والهيمنة والعلم، وزيادة على ذلك أنني معكما بالتأييد والنصر، ففيها بشارة لهما، وفيها تشجيع لهما، وليست مقتصرة على المعية العامة، بل فيها زيادة معنى التأييد والنُّصرة.

فالمقصود بالمعية الخاصة ليس مجرد علمه وقُدرته فقط، بل فيها بيان أن الله –عز وجل– معهم بتأييده ونصره، وأنه يجعل للمتقين مخرجًا، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون.

طبعًا، هذه المعية؛ التفصيل سيأتي في الفقرة الخاصة بالجمع بين المعية والعلو، وأن المعية لا تقتضي المخالطة، أو أن الله –عز وجل– بذاته في كل مكان، لا تقتضي هذا الشيء، سيأتي التوضيح في فقرة مستقلة.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء:٨٧] ، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء:١٢٢]، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:١١٦]، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام:١١٥]، ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤]، ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:٢٥٣]، ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف:١٤٣].

---

**الشرح:**

في هذه الآيات الكريمات إثبات صفة الكلام لله –عز وجل–، وهي صفة ثابتة بالإجماع، والنقل المتواتر عن الأنبياء جميعًا، واتَّفق على إثباتها سلف الأمة وأئمتها، وهم متفقون على إثبات صفة الكلام لله –عز وجل–، وأنه لم يزل متكلِّمًا، ولا يزال متكلِّمًا، وأنه يكلِّم من شاء بما شاء متى ما شاء.

وإنكار هذه الصفة كما أنكرها المعتزلة يؤدِّي إلى تكذيب الرسل؛ لأن ما أَخبرنا به الرسل عن طريق كلام الله –عز وجل–، فإنكارها يؤدِّي إلى تكذيب الرسل؛ لأن الرسل يخبروننا عن كلام الله –عز وجل– أنه قال كذا وكذا.

وإنكار هذه الصفة يؤدِّي إلى تكذيب الرسل صراحة، إلا أنهم لا يكفَّرون بهذا كما قلت؛ لأجل التأويل.

والمحنة المعروفة؛ محنة خَلْق القرآن لم تكن لأن المسألة فرعية، المحنة هذه كانت لأجل إثبات أصل صفة الكلام؛ لأن من يثبت أن القرآن مخلوق هذا ينكر صفة الكلام.

بعض المعاصرين من المعروفين هوَّنوا من هذه القضية، وقالوا: موقف الإمام أحمد لم يكن بالموقف الذي نُشيد به؛ لأن المسألة ليست، الجميع يؤمنون بكلام الله –عز وجل–. هكذا يقولون.

مع أن أصل القضية إثبات صفة الكلام، وإلا المعتزلي لماذا يقول: القرآن مخلوق؟ لأن صفة الكلام أصلًا ليست ثابتة لله –عز وجل– عندهم، فهذه مسألة فرعية فرع على إثبات صفة الكلام أو نفيها.

في هذه النصوص: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء:٨٧] ، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء:١٢٢]، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ ؛ لاحظوا تنوع الصيغ.

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾؛ لاحظوا المصدر من نفس المادة بدلالة أن المراد المعنى الحقيقي لهذه المادة.

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ ، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ نحن لاحظنا التنوع في ذِكْر الأدلة، شيخ الإسلام هنا في هذه النصوص يريد يثبت صفة الكلام، ويريد يثبت أيضًا الجانب المتعلِّق بالمشيئة والقُدرة في هذه؛ ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾؛ متى كلَّمه؟ لما جاء.

الآن، الذي يقول: إن الكلام أزلي، وإن الجديد هو التعلُّق. أليس فيه تكذيب لله –عز وجل-؟ ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾؛ لم يُخلَق موسى حتى يكون قد جاء، قبل هذا يقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾؛ إذًا، هذا فيه إثبات أن صفة الكلام صفة أزلية من حيث الأصل، ومن حيث النوع، وآحادها حادثة، الله –عز وجل- يكلم من شاء بما شاء متى ما شاء. وهي كما قلنا: من الصفات التي هي أزلية باعتبار، وفعلية باعتبار.

طبعًا، بالنسبة للتفصيل في صفة الكلام سيأتي بإذن الله لما يذكر الأحاديث هناك؛ لأنه يدخل في هذه القضية مسألة القرآن، وستأتي النصوص المتعلِّقة بالقرآن بخصوصه، وأيضًا نصوص النداء التي ستأتي الآن، ثم شيخ الإسلام سيذكر النصوص من الأحاديث، هناك نفصِّل إن شاء الله في موقف الفِرَق من هذه الصفة.

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء:١٠]، ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢]، وَقَوْلُه: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٦٥]، وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

---

**الشرح:**

في هذه الآيات الكريمات من: وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾؛ من هنا إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ في هذه الآيات الكريمة إثبات لصفة النداء، والنداء لا يكون إلا صوتًا، بل صوت مرتفع، إذًا، فيه إثبات لصفة الكلام أولًا، وفيه أيضًا إثبات لمسألة فرعية تتعلَّق بهذه الصفة، وهي أن كلام الله –عز وجل– بحرف وصوت؛ لأن النداء لا يكون إلا صوتًا مرتفعًا باتفاق أهل اللغة.

وقد أخبر الله –عز وجل– في القرآن بندائه لعباده في أكثر من عشر مواضع.

وكما قلنا: لا يُطلَق النداء على ما ليس بصوت لا حقيقة، ولا مجازًا، وأيضًا في هذه الآيات إثبات الصفات الاختيارية؛ لأن النداء صفة اختيارية، والنداء هنا، مثلًا: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾؛ وقَّته بظرف معلوم؛ بوقت معلوم، ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]»؛ متى يكون هذا؟ يوم القيامة.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [القصص:٧٤] ؛ أيضًا هذا النداء سيكون في وقت معين.

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف:٢٢]، كان في وقت معين ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠].

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم:٥٢]؛ إذًا، هل يجوز أن يقول الله عز وجل: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ قبل أن يخلق موسى؟ هل يجوز؟ ما يجوز.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء:١٠]؛ هل يجوز أن يقال على قولهم: إن الصفة أزلية؟ طبعًا، هذا الخلاف لمن؟ لمن يثبت صفة الكلام، ولكنه يثبتها أزلية بحتة.

إذًا، ﴿وَنَدَيْنَٰهُ﴾ فيها إخبار، هذه الصيغة؛ صيغة الماضي فيها إخبار عن شيء حدث، هذا لا يكون إلا بعد حدوثه.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

نكتفى بهذا القدر، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الأسئلة

**الطالب:** (٠١:٠٣:٢٣) أبعاض وأجزاء وأعضاء...

**الشيخ:** لا، إذا كان من باب التوضيح لا إشكال، من باب التوضيح، هذا يذكره أئمة السُّنَّة، طبعًا هم ماذا يقولون؟ هذه أبعاض، وهذا يستلزم التركيب، وهذا يستلزم التحيز. ربما يوضحون أن هذا الصنف هم يجعلونه من هذا الباب، وهذا الصنف هم يجعلونه من هذا الباب، وأن ما يكون أبعاضًا وكذا عند الإنسان هكذا يعاملونه، ولكن نحن نقول: الذي يُثبَت لله -عز وجل- هو كما يليق بكماله وجلاله، لا يُطلَق عليه هذا. من باب التوضيح.

**الطالب:** أنت قلت بارك الله فيكم: إن النداء فسَّره أهل العلم برفع الصوت (٠١:٠٤:٤٤) حاجة المخلوق إذا أراد أن ينادي لشخص من بعيد يرفع الصوت، ويحتاج لذلك. لكن ما يقال: إن الله -عز وجل- يحتاج لرفع الصوت...، أليست تشبيه؟

**الشيخ:** ليست تشبيه؛ لأن التشبيه متى يكون؟ التشبيه يكون إذا خلطت بين الأمرين، الله -عز وجل- نادى موسى، لماذا ناداه؟ ما أدري، لماذا استعمل هذه الصيغة؟ ما أدري، قد يكون لأهمية الموقف، وقد يكون لأمر آخر، ما ندري، إلا أن الشيء الذي لا بد أن نؤمن به أن نداء الله -عز وجل- ليس كنداء المخلوقين؛ لأن قول الله -عز وجل- يسمعه الخلائق، يسمعه من قرُب كما يسمعه من بعُد، لكن ما دام أن الله -عز وجل- أخبرنا بذلك نؤمن بأنه كان لحكمة، وأن نداء الله -عز وجل- مثل كلامه، بما أن كلامه لا يشبه كلام المخلوقين، فنداؤه لا يشبه نداء المخلوقين، كما أن ذاته لا تشبه ذوات المخلوقين.

كل ما يُنسَب إلى الله -عز وجل-؛ أول ما يستقر في أذهاننا يجب أن يستقر في أذهاننا أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

**طالب:** الله -عز وجل- كلم موسى، وفهم كلامه، (٠١:٠٦:٣١)؟

**الشيخ:** السمع مثلًا، سَمْع الله -عز وجل-، السمع إيش معناه؟ إدراك المسموعات، أليس كذلك؟ فإذا قلت أنا: إن سمع الله -عز وجل- أيضًا فيه إدراك المسموعات. هل أكون شبَّهت؟ ما دام هو فهم؛ لأنه كلام الله -عز وجل-، وكلام الله -عز وجل- نقرأه ونفهمه، ليس إلا للفهم والتدبر. يعني ما الإشكال هنا؟

**طالب:**...

**الشيخ:** ليس هناك شيئان إلا وفيهما بعض وجه الشَّبَه، مثلًا: الحياة كما قلنا، حياة الله -عز وجل- وحياة المخلوقين فيهما شَبَه، بل نحن موجودون، والله -عز وجل- موجود؛ فيه شَبَه، ولكن هذا لا يدل على المشابهة في الصفة، كلام الله -عز وجل- يختصُّ به، وكلامنا يختصُّ بنا، ليس فيه أي.

**طالب:** . . . متعلق هو المتجدد. قوله: المتعلق هذا...

**الشيخ:** نفس الشيء قاله أحد أئمتهم؛ الرازي في صفة العلم؛ لأن الله -عز وجل- له صفة العلم، أليس كذلك؟ وهذه صفة أزلية، ولكن عند حدوث حَدَث معين؛ الله -عز وجل- يعلم أن هذا سيحدث، هذا نوع من العلم، بعد حدوثه؛ الله -عز وجل- يعلم أنه قد حدث، أم يكون نفس العلم؟ لا، لا يكون نفس العلم، هم عندهم يتجدَّد التعلُّم.

الرازي قال، هو ألزمهم كلهم بإثبات الصفات الاختيارية، قال: هذا يلزم جميع المتكلِّمين، قال: هذه محاججة مماحكة بالألفاظ، وإلا الله -عز وجل- يعلم أن هذا الشيء سيحدث، ثم إذا حدث يعلم يقينًا أنه حدث، هذا التغيُّر الذي يسمونه التعلُّق هو بنفسه تجدُّد، اعترف به، ولكنهم يصرُّون.

المتأخرون ردُّوا عليه، قالوا: الإمام أخطأ في هذه. مع أنه فصَّل فيها في عدد من كتبه، وقال: هذا يلزم أصحابنا، بل يلزم، قال: كل من يثبت وجود الله -عز وجل- يلزمه إثبات هذا الشيء.

هذا ذكره في صفة العلم، ولم يذكره في بقية الصفات مع أنه ألصق بها، وهذا يلزمه هو في بقية الصفات، وإلا كما تفضلت: هو لعب بالألفاظ؛ تجديد التعلُّق، تجدُّد التعلُّق. إيش هو التعلُّق؟ هل علمه -سبحانه- بوجوده بعد وجوده هو نفس العلم قبل وجوده؟ نعم، صفة العلم هي موجودة.

الآن عندك صفة الإرادة، أردت أن تذهب إلى، وبهذه الإرادة تريد مرادات كثيرة، أليس كذلك؟ وأصل الصفة موجودة عندك، بها أحيانًا تريد هذا، وأحيانًا تريد هذا، تتجدد هذه الآحاد.

**الطالب:** شيخنا، بالنسبة... حلول الحوادث في ذات الله -عز وجل-... في الجزئيات، لا في الكليات. طيب، شيخنا، قوله: حلول الحوادث في ذات الله -عز وجل-. مع أن صفة العلم صفة ذاتية، ما هي صفة فعلية تتعلق بالمشيئة حتى يقال: حلول الحوادث في ذات الله -عز وجل-.

**الشيخ:** هم يقولون: الله -عز وجل- إذا دخل في علمه. أعوذ بالله، مصطلحاتهم الحقيقة أستغفر الله.

قالوا: إذا دخل في علم الله المتجدِّد فهذا يجعله محلًّا للحوادث، حصل شيء معين، وهذا دخل في علم الله –عز وجل– فهذا يجعله محلًّا للحوادث. هكذا قالوا.

وأصل القضية من مذهب أرسطو سابقًا، هو يقول: إن المبدأ الأول، هو لا يعرف شيئًا اسمه الله –عز وجل–، لا يعرفه، هذا من صناعة المتكلمين أن جعلوا الفلاسفة مسلمين، وإلا ما عندهم هذا الشيء، المتفلسفة عندهم، أما الفلاسفة لا.

أرسطو يقول: إن المبدأ الأول: لا يدري عما حدث، ولا ينبغي أن يدري. هكذا يقول. لماذا؟ يقول: لأن المبدأ الأول كله شريف، فإذا دخل في علمه عن المخلوقات دخل فيه ما هو دونه، فالأفضل ألا يعرف عن المخلوقات. طيب، كيف كان؟! الله أعلم.

**الطالب:** ...

**الشيخ:** سيأتي، نفصل فيها إن شاء الله.

**الطالب:** بالنسبة لصفة الغضب...

**الشيخ:** صفة الغضب والرضا؛ هذه الصفات طبعًا؛ مذهب الكُلَّابية فيها يتعلق بمذهبهم في الإيمان، هم يقولون: إن الله –عز وجل– لا يزال راضيًا عن المؤمن حتى قبل إيمانه. مثلًا: خالد بن الوليد –رضي الله عنه– وهو يقاتل المسلمين يوم أُحُد، وهو ينكِّل بهم، وهو، وهو، الله –عز وجل– راض عنه، لماذا؟ بالنظر إلى المآلات.

وأبو سفيان لما كان يحارب النبي ﷺ؛ الله –عز وجل– راضي عنه. هكذا يقولون.

وعند أهل السُّنَّة والجماعة؛ هذه تتعلق، لماذا قلنا: هي من الصفات الاختيارية؟ لأن الله –عز وجل– يرضى عن عبده المؤمن كلما امتثل بأمره، وانتهى عن المنهيات؛ يرضى عنه، ويغضب عليه في العكس.

مثلًا: كان عاصيًا؛ هذا من المغضوب عليهم، ثم بدأ يطيع الله –عز وجل–؛ هنا يكون موضعًا لرضا الله –عز وجل–، هكذا، فهي من الصفات الاختيارية، تابعة لأعمال العبد.

**الطالب:** إذا كانت صفة الكلام أزلية، وجاء في الآيات أن الله كلم موسى، كيف أنزِّه الله –سبحانه وتعالى– عن الحدوث في كلامه، ألا يدل ذلك على أنه من المحدثات، كلام الله –سبحانه وتعالى–...

**الشيخ:** كلام الله –عز وجل– كما قلنا: أزلي باعتبار، وفِعلي باعتبار، هذا شرحناه، وكون أنه فِعلي باعتبار أن آحاده تتجدد، الله –عز وجل– يفعل ما يشاء، إذا كلَّم أحدًا في وقت معين لا نقول: حصل له الحدوث. لا، فعَّال لما يشاء، من الذي يحدُّه، ويجعله يتكلم قبل هذه المدة، ولا يتكلم بعدها؛ لأجل حلول الحوادث؟! لماذا؟! وأصلًا ما هو حلول الحوادث؟! يعني مصطلح ليس له خطام، ولا سنام، نحن أثبتنا أن صفة الكلام أزلية باعتبار، وفعلية باعتباره، تتجدد حسب أفرادها.

فالقرآن مثلًا، القرآن الذي أنزله الله –عز وجل– على نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–؛ هل هو أزلي؟ لا يجوز أن يقال: إنه أزلي؛ لأنه من أفراد كلام الله –عز وجل–.

القرآن؛ مذهب أهل السُّنَّة أنه لا يُطلَق عليه أنه قديم، وما نجده في بعض الكتب أن القرآن قديم خطأ؛ لأنه من أفراد كلام الله –عز وجل–، وقد تكلَّم به بعد التوراة، وبعد، وبعد، وبعد. الله أنزله في وقت معين، يعني هو ليس أزليًّا، هل قال في الأزل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١] ، هل قال: في الأزل ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ ؟ كذبٌ؛ لم يقل هذا إلا بعد (٠١:١٨:٠٧). والله أعلم.

**الطالب:... صفة الكلام...**

**الشيخ:** لا يلزمنا، مع أنه لا يلزمنا نفيه، ولا إثباته، ولا يجب أن يكون الله –عز وجل– متكلِّمًا، لماذا نقول: آحاده؟ والمتصف بالصفة تُنسَب إليه الصفة حتى ولو لم يكن متكلمًا، نحن ذكرنا هذا.

أنت الآن متصف بالكتابة، أنت الآن تكتب؟ لا. يقال لك: كاتب؛ لأن هذه الصفة موجودة فيك، المتكلم إذا لم يكن أخرس تُنسَب إليه هذه الصفة ولو كان ساكتًا، ولكن نحن لا نذكر أنه يسكت، ما يسكت؛ لأنه لا فائدة فيها، ولم ترد في النصوص، ومن ذكرها... (٠١:١٩:٠٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

ثم أما بعد: لا زلنا مع شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في عرضه للأحاديث التي فيها إثبات لأسمائه –سبحانه– وصفاته، بعد أن انتهى من عرض نصوص القرآن في إثبات الأسماء والصفات بدأ في عرض الأحاديث التي فيها إثبات لأسمائه وصفاته.

وقد انتهينا إلى النصوص التي ذكرها لإثبات عُلُوِّه –سبحانه–، ونبدأ اليوم في النصوص التي ذكرها لإثبات مَعِيَّته –سبحانه–. نعم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– في العقيدة الواسطية:

«وَقَوْلُهُ ﷺ: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ». حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلُهُ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلى الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، ورب الأرض، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنَزِّلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الْأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنْ الْفَقْرِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَوْلُهُ لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا؛ إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا؛ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ».

---

**الشرح:**

هذه الأحاديث فيها إثبات مَعِيَّة الله –عز وجل– لخَلْقه، وفيها إثبات سعته وإحاطته بكل شيء، ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[الحديد:٣].

وفيها أيضًا: إثبات قُربه من عبده الداعي، وهذه المسألة سيُفرد لها شيخ الإسلام فقرة مستقلة؛ قُرْبه إلى عَبده.

ففي الحديث الأول: إثبات مَعِيَّة الله -عز وجل-، وهذه المَعِيَّة العامة، «**أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ**».

وهذه المَعِيَّة هي تُثمر دوام المراقبة لله -عز وجل-، وأن العبد يتيقن أنه دائمًا في عِلْم الله -عز وجل-، وفي مراقبته، وأنه لا يخفى عليه منه شيء، وهذا يُثمر دوام المراقبة.

في الحديث الثاني: إثبات قُربه من عبده المصلي، «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ**».

إذًا، في هذا الحديث أرشد النبي ﷺ ألا يبصق المصلي قِبَل وجهه، وعلَّله بقوله: «**فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ**».

هذا الحديث فيه أيضًا بيان مَعِيَّة الله -عز وجل-؛ لأننا قلنا: إن مقتضى مَعِيَّة الله -عز وجل- أنه محيط بكل شيء، وبما أنه محيط بكل شيء فهو قِبَل وجهه، وهذا كما يليق بكماله وجلاله. القول في جميع الصفات يكون على هذا النحو: كما يليق بكماله وجلاله. كيف أنه مستوٍ على العرش ومع ذلك قِبَل وجهه؟ طبعًا، هذا من باب المَعِيَّة العامة بعِلْمه، ولكن كيف وصفه بأنه قِبل وجهه؟ هذا يليق بكماله وجلاله، المهم أن نعلم أن هذا من مقتضيات المَعِيَّة العامة، ولذلك استدل بهذا الحديث، استدل به شيخ الإسلام على هذه المسألة.

«**فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ**»، العلة بُيِّنَت هنا، «**وَلَا عَنْ يَمِينِهِ**»، العلة هنا تشريفًا لليمين، ولم يبق إلا اليسار، أو تحت قدمه، «**وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ**».

أيضًا: أثبت النبي ﷺ هنا لله -عز وجل- قربًا خاصًّا من المصلي، وستأتي الفقرة التي خصصها للجمع بين عُلُوِّه وقُربه أن القُرب لم يأت ذكره كما ذكره شيخ الإسلام وغيره إلا قُربًا خاصًّا، وهو القُرب من بعض عباده الذين مثلًا هنا: المصلي، وبعض عباده الذين هم متلبِّسون بالطاعات، ولم يأت ذِكر القُرب العام كما ذكر بعض أهل السُّنَّة، وبعضهم خالفوه، والله أعلم القول الأول هو الصحيح.

الحديث الثالث فيه الجميع بين أزليته وأبديته، والجمع بين قُربه وعلوه، وسبق الشرح؛ لأن باطنيته أو بطونه فيه قُربه من العبد، أما ظاهريته ففيه عُلُو؛ عُلُو الله -سبحانه-، وأوليته فيه بيان أزليته، وآخريته فيه بيان أبديته، إذًا فيه الجمع بين الأزلية والأبدية، وفيه الجمع بين العُلُو والقُرب.

أيضًا في الحديث الأخير إثبات قُربه أيضًا من عبده إذا دعاه، «**لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ»، «ارْبَعُوا»**؛ أي ارفقوا «**عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا؛ إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا؛ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**».

هذا أيضًا فيه معنيان:

المعنى الأول: المعية العامة.

المعنى الثاني: قُرب خاص من الدَّاعي. كما أثبت هناك قربًا خاصًّا من المصلي أثبت هنا قربًا خاصًّا من الدَّاعي.

إذًا، في هذه الأحاديث إثبات مَعِيَّته -سبحانه-، وهي المَعِيَّة العامة، وفيها إثبات سعته وإحاطته بكل شيء.

«وَقَوْلُهُ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ».

---

**الشرح:**

هذا الحديث فيه إثبات رؤية الله –عز وجل–: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ**»؛ أخبر عن هذه الرؤية بهذا التأكيد، «**إِنَّكُمْ**»، (إنَّ) للتأكيد، «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**»؛ هذا التشبيه هو تشبيه الرؤية بالرؤية، وليس تشبيهًا للمرئي بالمرئي، تشبيه الرؤية بالرؤية؛ رؤيتكم لله –عز وجل– ستكون مثل: رؤيتكم للقمر ليلة البدر، طبعًا القمر يسمى هلال في أيامه الثلاثة الأولى، بعدها يسمى قمر.

القمر يُرى لما يكون بدرًا، يُرى بهذه الكيفية، بيَّنه النبي –صلى الله عليه وسلم–، «**كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**»، ثم بيَّنه: «**لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**».

الحديث فيه: «**لَا تُضَامُّونَ**» بالتشديد، وأيضًا: «**لَا تُضَامُونَ**» بالتخفيف، بالتخفيف من الضَّيْم، وهو الضَّيْر والضَّرر، «**لَا تُضَامُونَ**»؛ أي لا ينالكم أي ضرر في رؤيته.

«**الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**»؛ الجميع ينظرون إليه، ولا ينال أحدًا منهم الضَّيْر، و«**لَا تُضَامُّونَ**» بالتشديد من الضَّمّ؛ أي لا ينضم بعضكم إلى بعض، لا تكون هناك زحمة في رؤيته؛ لأنك لا تحتاج أن، ليس شيئًا خفيًّا حتى يجتمع الناس في بقعة ضيقة، ويحصل ضَمّ البعض إلى البعض. إذًا، «**لَا تُضَامُّونَ**» من الضَّمّ، و«**لَا تُضَامُونَ**» من الضَّيْم، وهو الضَّير، وهو الضرر.

ففي الحديث شبَّه رؤيته برؤية أظهر المرئيات، رؤية أظهر المرئيات إذا لم يكن هناك حجاب يفصل هذا المرئي عن الرائي، وهذا لبيان أنه –سبحانه– يتجلَّى تجليًا ظاهرًا، فيُرى كما يُرى القمر ليلة البدر.

«**فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ**»؛ هذه الرؤية نيلها له وسائل، من أهم الوسائل التي ذُكرت في هذا الحديث: «**فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ**»؛ صلاة الفجر، «**وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا**»؛ العصر، «**فَافْعَلُوا**».

إذًا، المسارعة إلى صلاة الفجر، وصلاة العصر من الوسائل التي تُنال بها رؤية الله –عز وجل–، فلنحرص على هذا، ولا ننتظر من يوقظنا، تقول: ما أيقظني أحد. لا، أنت عليك مسئولية.

ثم قال: «إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ.

فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِك، كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ».

---

**الشرح:**

بعد أن ذكر هذه المجموعة الطيبة من الأحاديث قال شيخ الإسلام: «**إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ**»، والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا، كما أن الآيات كثيرة جدًّا، لم يذكر منها إلا بعضها.

«**إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ**»؛ يخبر عنه بأمور كثيرة، فنحن نؤمن بها.

«**فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ**» في بعض النسخ، أنا عندي: «**فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**»، وكما سمعتم القارئ: «**فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ مِنْ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**»، بهذه الزيادة شيخ الإسلام يذكِّرنا بما بدأ به أن هذه الفرقة التي يَنسب إليها هذه العقيدة تجمع بين وصفين:

هي أهل السُّنَّة والجماعة.

وهي الفرقة الناجية من البدع في الدنيا، ومن النار في الآخرة. والمنصورة إلى قيام الساعة كما سبق وأشار إليها.

«**يُؤْمِنُونَ بِذَلِك، كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ العزيز**»؛ أيضًا يذكِّرنا بما أكَّده في البداية: «**مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ**»، وقلنا: التحريف المراد به التأويل، التحريف الذي سمّوه تأويلًا، «**وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ**».

هذه إلى الآن أخذنا مجموعتين:

المجموعة الأولى: الآيات.

المجموعة الثانية: الأحاديث.

من هنا سيبدأ شيخ الإسلام يذكر فقرات، كل فقرة فيها بيان مسألة من المسائل، وبدأها ببيان وسطية أهل السُّنَّة والجماعة.

«بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الْأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الْأُمَمِ، فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ.

وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ -تَعَالَى- بَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ».

---

**الشرح:**

بين؟

«الْقَدَرِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ».

القدرية قبل؟

نعم.

أنا عندي: «بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ والْقَدَرِيَّةِ».

«وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ -تَعَالَى- بَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ.

وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ».

ما عندك وغيرهم؟ فيه أحد عنده وغيرهم؟ النسخة المحقَّقة وين؟ «بَيْنَ الْجَبْرِيَّةِ والْقَدَرِيَّةِ».

«وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَبَيْنَ الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ».

هنا «وَغَيْرِهِمْ» موجودة عند الجميع؟

«وَفِي بَابِ الْإِيمَانِ وَالدِّين بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَبَيْنَ».

وفي باب؟

«الْإِيمَانِ وَالدِّين».

أسماء الإيمان والدين، كيف عندك؟

**الطالب:** في الأصل، ووضعها في الحاشية.

**الشيخ:** هذا هو الصحيح: «وفي باب أسماء الْإِيمَانِ وَالدِّين».

**الطالب:** موجودة في الحاشية.

**الشيخ:** نعم؟ موجودة في الحاشية، «وَفِي بَابِ الْإِيمَانِ وَالدِّين»، «أسماء الْإِيمَانِ وَالدِّين».

«وَفِي بَابِ أسماء الْإِيمَانِ وَالدِّين بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ.

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ».

هكذا عندك؟ بين الروافض؟ عندي: الرافضة.

---

**الشرح:**

هذه الإشارة المقتضبة التي ذكرها شيخ الإسلام هنا هي في غاية الأهمية، هي مع كونها مختصرة جدًّا، إلا أنها في غاية الأهمية، فيها بيان تميُّز أهل السُّنَّة والجماعة، وأنهم هم على الجادَّة الوسَط، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣] ، الوسط هو العدل، وهي الخيرية، فهم على الجادَّة، بقية الفِرَق يمثِّلون تفرقات من الوَسط الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة، فكل من كان قريبًا من أهل السُّنَّة كان قريبًا من الحق بقدْر قُربه من الوسَط، الذين يمثِّلون الوسط، الدين الصحيح، الإسلام الصحيح هم أهل السُّنَّة والجماعة، وبيَّن شيخ الإسلام هنا كيف أن الفِرق أخذت ذات اليمين وذات الشمال، وتركت بعض الحق الذي يمثِّله أهل السُّنَّة والجماعة.

قال: «**بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الْأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الْأُمَمِ**»؛ أمة الإسلام وسط بين الأمم الأخرى، أنت تنظر إلى اليهودية والنصرانية؛ كيف أن اليهودية تعبد الدنيا من حيث التنظير، والنصرانية دخلت في الرهبانية.

أيضًا في النبوة؛ كيف أن اليهود يتسابقون في قَتْل الأنبياء، وفي الاستخفاف بهم، وفي نسبة كلِّ شنيعة إليهم، والنصارى يؤلِّهونهم، والمسلمون وَسَط بين هذه المِلَل، فالأنبياء يبقون عبيد لله –عز وجل–، ليس لهم من الألوهية شيء، إنما هم عِباد الله ورسله، لا تأليه مثل النصارى، ولا استخفاف بهم مثل اليهود.

أيضًا: في مسائل النجاسة؛ اليهود، أنا أقول من حيث التنظير، ولا أدري هل يعملون بها أم لا، يعني يحتاطون في النجاسة احتياطًا بالغًا، حتى إن أحدهم إذا أصابت أي قذارة ثوبه تركه مبالغة في النظافة، أما النصارى فوضوؤهم لا ينتقض بأي شيء؛ يعني هم في الطهارة عندهم من التساهل الشيء الكثير. هذه نماذج، وهذا ليس مهمًّا هنا، المهم هنا بيان وسطية أهل السُّنَّة والجماعة بين الفِرَق.

ذكر نماذج هنا:

النموذج الأول: «**فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ**».

طبعًا، هذا لا يحتاج إلى شرح؛ لأن هذا الذي درسناه إلى الآن؛ كيف أن أهل السُّنَّة والجماعة وسط بين الفِرقتين؛ بين المعطِّلة الذين استخدموا التحريف، فوصلوا به إلى التعطيل؛ إلى نفي أسماء الله وصفاته، وهم درجات ودركات، وبين المشبِّهة الذين زعموا أنهم يُثبتون، ولكن جنحوا إلى الغُلُو في الإثبات، أو جنحوا إلى البدعة في الإثبات، فشبَّهوا الله –عز وجل- بخَلْقه. ترى أن هذا لا يحتاج إلى شرح.

«وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ -تَعَالَى- بَيْنَ وَالْجَبْرِيَّةِ والْقَدَرِيَّةِ».

**الشرح:**

الْجَبْرِيَّة سُموا جَبْرِيَّة؛ لأنهم يرون أن الإنسان مجبور على أفعاله؛ من الجَبْر، هم يرون أنه ليس للإنسان في أعماله شيء، وإنما هو كالريش تحرِّكها الرياح، وأفعاله تُنسَب إليه مجازًا؛ صلَّى فلان، قام فلان، ذهب فلان، جاء فلان، زنى فلان، سرق فلان؛ كلُّ هذه الأعمال تُنسب إلى العباد مجازًا، والأفعال كلها لله –عز وجل–، الأفعال تُنسب إلى الإنسان مجازًا، إلى العباد مجازًا، وحقيقة هي أفعال الله –عز وجل– عندهم، عند من؟ عند الْجَبْرِيَّة.

والقَدَرِيَّة هم على النقيض منهم، القَدَرِيَّة المراد بهم هنا هم المعتزلة. أولًا: الجبرية هم طائفتان:

الطائفة الأولى: جبرية الظاهر والباطن، وهم الجبرية الغُلاة الذين يُسمَّون الجهمية، أنا ذكرت لكم أن الجهم بن صفوان جاء بثلاثة شرور ووزَّعها على الأمة، وهذا الرجل –عليه من الله ما يستحق– جاء بثلاثة شرور ووزَّعها على الأمة، كلٌّ أخذ منه نصيبه، كل هؤلاء هم أهل بدعة، أما أهل السُّنَّة هم بعيدون عن كل ذلك.

الشر الأول هو: التعطيل، وبه اشتهر، نحن لما نقول: الجهمية والتجهُّم نقصد به التعطيل، وبه اشتهر.

الشر الثاني: في باب القَدَر؛ في باب القَدَر جاء بالجَبْر الخالص، يرى أن العباد ليس لهم قُدرة، وليس لهم إرادة، وليس لهم مشيئة، وأن أفعالهم تُنسب إليهم مجازًا؛ لأنهم مظاهرها، أما الأفعال حقيقة فهي لله –عز وجل–، هكذا يقول.

يخالفهم فيها على الطرف الآخر منهم: المعتزلة، في باب الصفات؛ المعتزلة يمثِّلون هم أيضًا الجهمية، الجهمية في باب الصفات ثلاثة أصناف:

الصنف الأول هم: الجهمية.

الصنف الثاني هم: المعتزلة، يُعتبرون المرحلة الثانية من التجهُّم.

الصنف الأخير هم: الأشاعرة والماتريدية، في باب الصفات ليس بينهم خلاف يذكر، إنما خلاف في التفاوت في التعطيل.

في باب أفعال الله –عز وجل– في باب القدر: الجهمية يقابلهم المعتزلة، فلذلك بعض أهل البدع الذين أحدهم لا يهدأ له بال إلا إذا ردَّ على شيخ الإسلام بأي رد؛ مولع بالردود على شيخ الإسلام، منهم: علي سامي النشار، وبعض الصغار الذين يردون على شيخ الإسلام، وأين هم من شيخ الإسلام؟! أحدهم كتب كتابًا مطوَّلًا، وهو علي سامي النشار، وأيضًا بعض المتفلسفين من الأشاعرة المعاصرين قالوا: هو قسم الجهمية إلى ثلاثة أصناف:

الجهمية الغلاة كما ذكر، ثم المعتزلة، ثم الأشاعرة، ودائمًا يذكر في باب الصفات أن المعتزلة جهمية. وهذا خطأ، يقول هو؟ لماذا؟ لأن المعتزلة ليسوا جهمية، هم يخالفونهم في باب القَدَر، بل هم على الضِّدِّ منهم فيه، وهذا يدل على أنهم ليسوا جهمية، فوصفه لهم بالجهمية هذا خطأ.

وهذا من الجهل، أو من التجاهل؛ لأن الأبواب تختلف؛ في باب الأفعال: الجهمية يسمَّون جبرية، لا يُعرفون أصلًا بالجهمية إلا عند المتخصصين، وإمامهم من؟ الجهم نفسه في باب الأفعال، في باب القَدَر؛ الجبرية إمامهم الجهم في باب الأفعال.

وفي باب الإيمان؛ المرجئة الخُلَّص إمامهم من؟ الجهم، هذا الشر الثالث، في باب الإيمان جاء بالإرجاء، هذا أولًا: التعطيل، ثم الجبر، ثم الإرجاء. الإرجاء الخالص سيأتي بيانه إمامه أيضًا الجهم.

إذًا، الأبواب تختلف، في كل باب الطوائف تُسمَّى باسم اشتهروا به، لن تجد أن شيخ الإسلام سمَّاهم جهمية في باب القَدَر، إذا وجدت أنه سماهم جهمية، أو رماهم بالتجهُّم في باب القَدَر؛ هنا يعترض عليه.

أما في باب الصفات، فبعد أن بيَّن وفصَّل تأتي تذكِّره بباب القَدَر؟ اذهب إلى باب القدر ستجد أن شيخ الإسلام فصَّل، ومنه أخذت التفصيل.

أنا سمعت من بعض الإخوة أن هذا الذي علي سامي النشار هذا، طبعًا هو يدَّعي أنه إمام الأشعرية، وما أدري هل الأشاعرة يسلِّمون له بذلك؟ ما أدري هل هو متوفى أو لا؛ لأن كتبه بعضها طبعت قبل أربعين سنة أو خمسين سنة، ما أدري هل هو موجود أو لا، إلا أنه مولع بالردود على شيخ الإسلام.

يعني مع أنه ألَّف كتابًا عن المنطق، وأراد أن يُثبت شيئًا لم يجد ضالته إلا عند شيخ الإسلام، ملأ كتابه بالنقل من شيخ الإسلام، ولا يشيد بها، إذا وجد نقطة يستطيع أن يرد فيها على شيخ الإسلام حتى في هذا الكتاب لا يقصِّر، بالنسبة للمنطق، المنطق التجريبي، المنطق الأرسطي كله نظريات، بعيد عن التجربة،

فلذلك الآن الفلاسفة المعاصرون من الغربيين يرون أن هذا منطق عقيم، ولا يفيد، ولا يُدرَّس أصلًا، نحن الذين إلى الآن نقدسه، هم تركوه من زمان المنطق، لا يُدرَّس الآن؛ لأن فيه إضاعة العمر بدون أي فائدة، ولكن المتكلمين جعلوه جزءًا أصيلًا من العلوم الإسلامية فلابد أن ندرسه.

على كل حال؛ مثل هؤلاء لا عبرة بهم، وهم يمثِّلون؛ يعني رحم الله شيخ الإسلام؛ أقضَّ مضجعهم لما كان معهم، وإلى الآن كل فرقة من فِرَق أهل البدع تجد أن ردودها على شيخ الإسلام؛ هذا أبرز ما عندهم، شوف الرافضة، شوف الأشاعرة، شوف المعتزلة، أيّ فرقة تذهب إليها، وشوف الركن الذي خصَّصوه للردِّ على شيخ الإسلام؛ تجده أبرز.

إذًا، هل هناك تناقض لمَّا تصف المعتزلة بالتجهم في بعض الأسماء، وتبيِّن في باب القدَر؛ هل فيه تناقض؟ ليس فيه أي تناقض، بل هذا عين المنظورية في هذا الموضوع.

إذًا، باب أفعال الله –عز وجل– فيه توسُّط، وسطية أهل السُّنَّة والجماعة أنهم، بينت مثلًا: الجبرية.

الجبرية قلت: هم ينقسمون إلى قسمين:

جبرية الظاهر والباطن، وهم الجهمية، إمامهم الجهم، ويسمّون هنا جبرية، هنا في هذا الباب يسمون جبرية، مع أن إمامهم الجهم.

القسم الثاني: جبرية الباطن، لا الظاهر، وهم: الأشاعرة، هذا على حسب تعبيرهم هم، هم يقولون: نحن جبرية في الباطن، ولسنا جبرية في الظاهر. وقد اعترف متأخروهم أمثال: الرازي أنهم جبرية مثل: الجبرية الآخرين، ليس هناك جبر وسط، لا باطن، ولا ظاهر، وأنهم مثلهم. ولكن هذا التقسيم في عامَّة كتبهم.

من الذي يقابلهم كما قلنا؟ يقابلهم المعتزلة، هنا شيخ الإسلام لم يقل: المعتزلة. بل قال: القدرية.

والقدرية قسمان أيضًا مثل الجبرية:

القدرية الأوائل الغلاة الذين ينكرون المرتبتين الأوليين؛ مرتبة العلم والكتابة، وهؤلاء كما ذكرنا: لا يوجدون الآن.

القدرية؛ القسم الثاني: هم المعتزلة، وهم الموجودون الآن، وهم ينكرون المرتبتين الأخيرتين: المشيئة والخَلْق. طبعًا، هذا سيأتي تفصيله في باب القدَر؛ لأن شيخ الإسلام فصَّل فيه تفصيلًا رائعًا في هذه الرسالة.

فلذلك، نكتفي هنا ببيان وسطية أهل السُّنَّة. الجبرية هنا نسبوا أفعال العباد وخَلْقها؛ الفعل والخَلْق نسبوها إلى من؟ إلى الله –عز وجل–، فليس للعبد فِعْل، كما أن ليس له خَلْق.

المعتزلة نسبوا الفِعْل والخَلْق إلى العباد، يقابلونهم بالضبط في كلا الأمرين، الجبرية نسبوا إلى الله الفعل والخلق، والمعتزلة نسبوا إلى المخلوق؛ إلى العباد، نسبوا إليهم أنهم هم الخالقون لأفعالهم، إذًا، هم الفاعلون، وهم الخالقون.

وسطية أهل السُّنَّة في هذا الباب أنهم ينسبون أفعال العباد إلى الله –عز وجل– خَلْقًا، وإلى العباد فِعلًا، هذه هي أفعالهم، وهم مسئولون عن أفْعالهم، ولهم مشيئة وإرادة، كما سيأتي بيانها في باب القَدَر، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٩] ، إذًا، لهم مشيئة، إلا أن هذه المشيئة تابعة للمشيئة العامَّة لله –عز وجل–، يعني لهم مشيئة وقُدرة، إذًا، أفعالهم تُنسَب إليهم، وخَلقها يُنسب إلى الله –عز وجل–، إذًا، أفعال العباد تُنسب إليهم فعلًا، وتُنسب إلى الله –عز وجل– خَلقًا.

نحن الآن بيَّنَّا مواقف ثلاث فِرق: الجبرية الخالصة، والمعتزلة الذين يقابلونهم، وبيَّنَّا أيضًا مذهب من؟ أهل السُّنَّة والجماعة. بقيت جبرية الباطن لا الظاهر.

شوف التعقيد! كيف أنت جبرية في الباطن، ولست من الجبرية في الظاهر؟! سيبقى الإشكال معهم. نحن قلنا: أفعال الإنسان تُنسَب إلى من؟ تُنسَب إلى الله خَلقًا، وإلى العباد فِعلًا.

عند هؤلاء الأشاعرة: أفعال الإنسان تُنسَب إلى الله خَلقًا، هم مع أهل السُّنَّة في هذا، ويُنسَب إلى العبد الكسب. إذًا، لم نسمع عن شيء اسمه الفِعل، أين الفعل؟! علمنا أن الذي يُنسَب إلى العباد الكسب، والذي يُنسَب إلى الله –عز وجل– هو الفعل، ونحن إلى الآن مع الفِرَق الثلاثة نتحدث عن الفعل، أحيانًا يُنسَب إلى الله –عز وجل– كما عند الجبرية، وأحيانًا يُنسَب إلى المخلوق كما عند.

هنا قالوا، غيروا قليلًا، قالوا: الذي يُنسب إلى العبد الكسب، والذي يُنسب إلى الله –عز وجل– الخَلق. وأين الفعل؟! هنا يأتي الباطن والظاهر، في الحقيقة أنهم يقولون: إن الفعل يُنسَب أيضًا إلى الله –عز وجل–.

إذا نُسِب الفعل إلى الله –عز وجل–، والخَلْق أيضًا إلى الله –عز وجل–؛ ماذا بقي للعبد؟ يقولون: بقي له الكسب. وهذا الكسب هو الفِعل، ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠] ، الكسب موجود أيضًا عند أهل السُّنَّة والجماعة، والكسب هو فِعل الإنسان، وأنت نسبتَ إلى الله –عز وجل– الفعل الذي صدر من مخلوق نسبته إلى الله –عز وجل–، وأبقيت للعبد كسبًا لا حقيقة له.

لذلك، مستحيلات علم الكلام، مستحيلات علم الكلام ثلاثة: كسب الأشعري، وطفرة النظام، وأحوال أبي هاشم، إن شاء الله نشرحها في؛ لأن شيخ الإسلام تحدث عن باب القدر بالتفصيل، هناك نشرح كيف الغموض في هذا المثل؛ مثل الأشاعرة.

بقية المذاهب على بطلانها واضحة، المذهب الأشعري، والمذهب الكُلَّابي عمومًا يتميَّز بالغموض.

«وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ والْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ».

**الشرح:**

هنا اختلف تعبير شيخ الإسلام قليلًا: «**بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ**»؛ لأن الوعيدية هنا طائفتان:

الطائفة الأولى هم: الخوارج الذين سمَّاهم في الفقرة الثانية: الحرورية، هناك سماهم الحرورية. الطائفة الأولى هم: الخوارج.

الطائفة الثانية هم: القدرية المعتزلة، القدرية سُمّوا قدرية لنفيهم للقدر، ليس لإثباتهم القدر، لنفيهم للقدر، ولذلك هم يتذمرون من هذه النسبة. المعتزلة عندما يقال عنهم: إنكم قدرية؛ يتذمرون، هو يقولون: أنتم أحق أن تكونوا قدرية؛ لإثباتكم للقدر، نحن نفيناه، لماذا نُنسب إليه؟! نحن نفيناه.

المهم: هم نُسبوا للقدَر؛ لنفيهم للقدر، يقال عنهم: قدرية؛ لنفيهم للقدر. هنا المرجئة قلنا: إمامهم أيضًا الجهم، لا زال الجهم يصول ويجول هنا أيضًا، إمامهم الجهم، والجهم يرى أنه لا يضر مع الإيمان أي ذنب، والإيمان عنده التصديق فقط، وأحيانًا يكون الإيمان عنده المعرفة فقط. الإيمان عنده المعرفة فقط أو التصديق، أكثر ما يُحكى عنه أن الإيمان عنده المعرفة فقط.

هذه طبعًا قلنا: إن المرجئة أيضًا ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: المرجئة الجهمية الذي يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، ويرون أن الإيمان هو المعرفة.

الطائفة الثانية: مرجئة المتكلمين، وهم يرون أن الإيمان هو التصديق فقط، لماذا؟ يقولون: لأن الإيمان هو التصديق فقط في اللغة، وكذلك هو التصديق فقط في الشرع.

ولذلك، وقف شيخ الإسلام مع هذه النقطة وقفة طويلة جدًّا، وبيَّن وأثبت أن الإيمان ليس هو التصديق حتى في اللغة، يعني الإيمان ليس مرادفًا للتصديق حتى في اللغة، بل هو تصديق وزيادة، هذه الزيادة يعبِّر عنها باليقين، يعبِّر عنها بالإقرار.

المهم: ليس مرادفًا للتصديق؛ لأن هناك فروقًا في اللفظ، وفروقًا في المعنى، ذكرها في التفصيل في كتاب (الإيمان). إذًا، الإيمان عند مرجئة المتكلمين هو التصديق، لماذا؟ لأنهم قالوا: هو التصديق في اللغة.

وعند الطائفة الأولى، وهم المرجئة الجهمية، والطائفة الثانية هم مرجئة المتكلمين، والطائفة الثالثة: مرجئة الفقهاء، وهم أقرب الناس إلى أهل السُّنَّة والجماعة.

مرجئة الفقهاء الإيمان عندهم هو التصديق والقول، ماذا بقي من تعريف الإيمان عند أهل السُّنَّة؟ العمل. في العمل هم لا يخالفون أهل السُّنَّة في وجوب الأعمال، وفي التفاصيل في الأعمال، لا يختلفون معهم في ضرورة الأعمال، إلا أنهم يختلفون معهم في دخول الأعمال في مُسمَّى الإيمان، فيرون أن الأعمال مع أهميتها لا تدخل في مُسمَّى الإيمان، واضح؟ هل يكون الخلاف لفظيًّا؟ لا. ليس الخلاف لفظيًّا؛ لأن الإيمان مصطلح شرعي، والمصطلح الشرعي نأخذه من الشرع، ما دام أن الشرع يعتبر أن الأعمال من الإيمان، لا بد أن تعتبر أن الأعمال من الإيمان، فلذلك إذا خالفت الأصل الشرعي من البداية ستكون هناك خلافات ستضطر أن تأخذ موقفًا آخر بعيدًا عن النصوص في تلك. كما هو حال مرجئة المتكلمين.

**الطالب:...**

**الشيخ:** مرجئة الفقهاء إمامهم الإمام أبو حنيفة –رحمه الله–، وهو إمام أهل السُّنَّة في جميع أبواب الإيمان، ولم يخالفهم –على ما استقر عليه مذهبه– في شيء يُذكر إلا في الإيمان. أما قضية أنه كان يرى السيف على المنبر ففيه تفصيل، بالنسبة للإيمان موقفه معروف أنه إمام مرجئة الفقهاء، وهم يرون أن الإيمان هو التصديق والقول.

نحن قلنا: إن الإيمان اعتقاد بالجَنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان. وهو يرى أن الإيمان هو التصديق والقول، أما العمل فلا يُدخله في مُسمَّى الإيمان، فلذلك يخالف أهل السُّنَّة أيضًا في زيادة الإيمان ونقصانه، ويخالفهم أيضًا في الاستثناء في الإيمان.

يعني أرأيتم أن الخلاف ليس لفظيًّا؛ لأن لو كان الخلاف لفظيًّا لانتفى هنا، لم يتأد إلى المسائل الأخرى، وهذا الخلاف هنا له أثر في الخلاف في زيادة الإيمان، الله –عز وجل– أخبر عن زيادة الإيمان

نصًّا في أربع آيات، والأدلة كثيرة، الأدلة التي فيها زيادة الإيمان ونقصانه كثيرة جدًّا، أربع آيات في القرآن فيها نص، ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٢] ، فلهم تأويلات هنا.

المهم: مرجئة الفقهاء أقرب الفِرَق إلى أهل السُّنَّة والجماعة، يليهم مرجئة المتكلمين، ويليهم الجهم بن صفوان الذي يرى أن الإيمان هو المعرفة.

على قول الجهم يكون الشيطان من أكبر المؤمنين؛ لأن الشيطان لا تنقصه المعرفة، وإنما الكفر هو كفر الإباء والتكبر، وهو ما أدري هل يلتزم أم لا؟ لا أذكر في هذا شيئًا، إذا لم يكن يلتزم فسيكون هذا من جنونه، يعني الإيمان عندك معرفة، حتى فرعون، ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤] ، عنده اليقين، ليست المعرفة فقط، فرعون عنده اليقين، إذًا يكون أيضًا من المؤمنين كما ذهب إليه صراحة ابن عربي وغيره، ابن عربي الصوفي هذا يرى أن الخلاف بين موسى وفرعون، كان يرى أن الكفة مع فرعون؛ لأنه عرف الحقيقة، هو لما يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، لم يقل هذا إلا لأنه قال هذا بعد المشاهدة، هذا الذي قصر عنه ذهن موسى –عليه السلام–؛ لأنه إلى الآن يرى أن هناك اثنينه، وأما فرعون فوصل إلى الحقيقة عند ذلك الزنديق.

فبالنسبة للجهمية؛ ما أدري هل يلتزمون أو لا؟ ولكن الإيمان عندهم المعرفة، والمعرفة موجودة عند الشيطان، والمعرفة يشترك فيها الكفار.

بالنسبة لمرجئة المتكلمين؛ إذا كان الإيمان هو التصديق فقط؛ يلزمهم أيضًا ما يلزم جَهمًا من كون الشيطان وفرعون وأمثاله مؤمنين، ولذلك تجد عندهم دفاع طويل وعريض في هذه النقطة؛ لبيان أنه لا يلزمهم ما يلزم جَهمًا، كل من يكتب منهم إذا كانت الكتب مطوَّلة يتطرقون إلى هذا؛ ليبيِّنوا أنه لا يلزمهم ما يلزم جهمًا.

وقد حصلتْ في هذه المسألة فتنة بين الماتريدية، وقُتل فيها ناس في ما وراء النهر، هذه أشار إليها صدر الشريعة الذي توفي سنة سبعمائة وتسعة وأربعين، قتل فيها ناس، بعضهم قالوا: الإيمان إذا لم تَضمّ إليه انقيادًا وخضوعًا وإذعانًا يبقى تصديقنا مثل معرفة جهم. فلذلك قالوا هم (الماتريدية): من لا يضم إلى التصديق إذعانًا وقبولًا؛ إيمانه مثل إيمان جهم، وهو كافر. فحصل قتال بينهم.

ولكن إلى الآن موقف الماتريدية الرسمي هو موقف مرجئة المتكلمين، وهذا هو موقف الأشاعرة أيضًا، الأشاعرة والماتريدية هم على مذهب مرجئة المتكلمين، مع أن الأشاعرة ينتسبون إلى الإمام الشافعي، والماتريدية ينتسبون إلى الإمام أبي حنيفة، وموقف الإمام أبي حنيفة في هذا واضح أنه يضم إليه القول أيضًا.

ولذلك نجد أن أوائل الماتريدية وأوائل الأشاعرة هم أحسن من المتأخرين في كل باب، هذا بالنسبة لـ بيَّنَّا مذهب المرجئة، وأصناف المرجئة، وأيضًا بيَّنَّا ما يلزمهم، أو ما لا يلزمهم.

يبقى أن نبيِّن الوعيدية، الوعيدية كما قلنا: هم طائفتان:

الطائفة الأولى هم: الخوارج.

الطائفة الثانية هم: المعتزلة.

الخوارج يرون أن مرتكب الكبائر هو كافر في الدنيا، وخالد مخلد في النار في الآخرة، هذا مذهب الخوارج.

أما المعتزلة فيرون أن مرتكب الكبائر يُسلَب منه اسم الإيمان، ولا يُعطى اسم الكفر، بل يُمَحَّض له اسم الفسوق، فهو ليس مؤمنًا، وليس كافرًا، بل هو في منزلة بين المنزلتين، وهذا الأصل هو أول أصولهم، وبه اشتهروا، بعد ذلك دخلوا في خرافات الجهمية. الشيء الذي اشتهر به المعتزلة هو هذا الأصل في باب الوعيد.

إذًا، الخوارج يرون أن مرتكب الكبائر هو كافر، ليس له، وهنا طبعًا الفقرة الثانية أيضًا لها صلة هنا، فنكمِّل الفقرة الثانية أيضًا؛ لأن تلك الفقرتين في موضع واحد: «**وَفِي بَابِ أسماء الْإِيمَانِ وَالدِّين بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ**»، الْحَرُورِيَّة من؟ الخوارج، «**وَالْمُعْتَزِلَةِ وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ**».

الْمُرْجِئَة وَالْجَهْمِيَّة هم في هذا الباب واحد، الْحَرُورِيَّة وَالْمُعْتَزِلَة في البابين واحد؛ يعني كلا البابين فيهما الْحَرُورِيَّة وَالْمُعْتَزِلَة في جانب، والْمُرْجِئَة وَالْجَهْمِيَّة في جانب.

طبعًا الحرورية يَسلُبون، ما دام أنه كافر، يَسلُبون اسم الإيمان عمَّن يستحقه شرعًا، وهم مرتكبو الكبائر، أما المرجئة فيصفون بالإسلام والإيمان من لا يستحقه شرعًا، الفاسق المِلِّي عندهم مؤمن كامل الإيمان، هنا «**فِي بَابِ أَسْماءِ الْإِيمَانِ وَالدِّين**»؛ من هو المؤمن؟ من هو الكافر؟ من هو الفاسق؟

المصطلحات، الاختلاف هنا في «**أسماء الْإِيمَانِ وَالدِّين**»؛ أي الأسماء التي بها يتحدَّد موضع الشخص من الإيمان والكفر، من هو المؤمن؟ من هو الكافر؟ الخلاف هنا مترتِّب على الخلاف في باب وعيد الله، وهذا الخلاف بين المرجئة من جهة، وبين الوعيدية من جهة، قلنا: المرجئة ثلاث طوائف، والوعيدية طائفتان.

إذًا، الحرورية، وهم الخوارج يَسلُبون اسم الإيمان عمن يستحقه شرعًا، وهم مرتكبو الكبائر، وأولئك يصفونهم بالإسلام والإيمان الكامل؛ مرتكب الكبائر مؤمن كامل الإيمان عند من؟ عند المرجئة، وهو كافر عند الحرورية والخوارج، وهو فاسق لا يستحق اسم الإيمان واسم الكافر، بل هو في منزلة بين المنزلتين عند من؟ عند المعتزلة، وفي الآخرة: الخوارج والمعتزلة متفقون على أنه خالد مخلَّد في النار، إلا أن المعتزلة يعاملونه في الدنيا معاملة المسلم مع أنه لا يستحق اسم المسلم، لا يقال: إنه مسلم فاسق، وفي الآخرة يخلدونه النار، أما الحرورية فهم يعاملونه معاملة الكافر في الدنيا، وهو خالد مخلَّد في النار عندهم.

موقف أهل السُّنَّة والجماعة: أن مرتكب الكبائر مؤمن بإيمانه، لا يسلب منه اسم الإيمان، وفاسق بكبيرته، ليس مؤمنًا كامل الإيمان، إذًا، اجتمع فيه الإيمان والفِسْق، مؤمن بإيمانه، وفاسق بكبيرته.

أما عند الطوائف؛ فعند بعضهم كافر، وعند بعضهم مؤمن كامل الإيمان، وعند بعضهم فاسق ليس كافرًا، وليس مؤمنًا.

«وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ الرَّافِضة وَالْخَوَارِجِ».

**الشرح:**

أيضًا هنا وسطية أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب المهم؛ باب صحابة رَسُولِ اللهِ -ﷺ- هم وسط بين الرافضة والخوارج.

الخوارج بما أنهم عرفنا مذهبهم أنهم يكفِّرون بالكبائر، ويرون أن بعض الصحابة قد ارتكبوا الكبائر، هم يكفِّرونهم.

والرافضة أيضًا موقفهم، موقف الرافضة من الصحابة. شيخ الإسلام هنا لم يقل: الشيعة. بل قال: الرافضة. لماذا؟ لأن بعد نشوء هذا المصطلح، من بعده اتَّضَح موقفهم أكثر في الصحابة.

الرافضة، طبعًا الرفض بدأ عندما طلب بعض الشيعة من الإمام زيد بن علي، علي هذا زين العابدين بن الحسين، زيد بن علي بن الحسين، علي هذا زين العابدين، طلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين في الكوفة، فرفض أن يتبرأ من الشيخين، وأثنى على الشيخين، وقال: هذا دين أبي وجدي. فتبرأوا منه، رفضوه، رفضوا إمامته، فسُمّوا الرافضة، وأصل دينهم يقوم على التبرؤ من الشيخين، يعني يتبرأون من الشيخين، وينالون من الشيخين؛ هذا من دينهم.

ولما تبرأوا منه من تبقى من أصحابه سُموا زيدية، هؤلاء الزيدية يُنسبون إلى هذا الزيد؛ زيد بن علي بن الحسين، والزيدية هم أقرب طوائف الشيعة إلى السُّنَّة، وأئمة أهل السُّنَّة الذين اشتهروا في اليمن كانوا من الزيدية؛ لأن الزيدية عندهم في التقليد هم مع المعتزلة، وهذا طرَّدوه حتى في الفروع، لما تلاحظون أن التقليد عندنا في المذاهب الأربعة، التقليد يحرِّمونه في باب العقائد، يحرِّمون التقليد ليسدُّوا باب الكتاب والسُّنَّة، وليجعلوا الناس متبعين لليونان.

إذا اتبعت الكتاب والسُّنَّة، إذا آمنت إيمانًا مبنيًّا على الكتاب والسُّنَّة فأنت مقلِّد عندهم في علم الكلام، فماذا تفعل؟ أول واجب عليك النظر، أو القصْد إلى النظر حتى عن طريق النظر تكون مؤمن.

إذًا، التقليد الذي يجب منعوه، أما في الفروع فأوجبوا التقليد؛ لا بد أن تكون حنفيًّا أو مالكيًّا أو شافعيًّا أو حنبليًّا، الزيدية هم متأثِّرون بالمعتزلة، فالتقليد لا يرتضونه في أصول الدِّين، كذلك جعلوه أيضًا في الفروع، وهذا نفعنا نحن السلفية، خرج منهم أئمة: الشوكاني خرج منهم، المتأخِّرون من أئمة السُّنَّة؛

الصنعاني ومن قبله؛ كلهم خرجوا منهم، يعني عندهم التقليد وضعه عندهم لم يختلف، أما التقليد عندنا نفس الأصولي، مثلًا: الرازي لما يكتب هناك يوجب التقليد، ولما يكتب في أصول الدِّين الذي يجب فيه التقليد هناك يحرِّم التقليد، الزيدية هم هناك يرجع أصلهم إلى زيد بن علي بن الحسين.

الرافضة يتبرأون من الشيخين، فإذا كانوا يتبرأون من الشيخين فمن بعدهم، بعضهم يرى أنه لم يتبق من الصحابة إلا أربعة، البقية كلهم -نعوذ بالله- عندهم ارتدُّوا، والخوارج أيضًا هذا موقفهم، والرافضة فيهم من ناحية غلو في بعض الصحابة؛ يعني هم يؤلِّهون عليًّا -رضي الله عنه-، وهذا التأليه بدأ مع ابن سبأ اليهودي، ابن سبأ هذا أيضًا يمني، وهو جاء من اليمن، وجاء إلى علي -رضي الله عنه-، ونسبه إلى الألوهية. فنفاه إلى المدائن، ولكن أصحابه حرقهم علي -رضي الله عنه-، عندما رأى أنهم ينتشرون حرقهم، وخالفه ابن عباس في هذه ال؛ إلا أنه -رضي الله عنهم- أحرقهم.

فعندهم تأليه لبعض الصحابة، هم يؤلِّهون عليًّا، وإلى الآن كما تعرفون كما ذكر شيخ الإسلام يعطِّرون المساجد، ويبنون القباب (٠١:٠٣:٠١)؛ يعني هذا الجانب من الشرك هم المسئولون عنه.

أهل السُّنَّة والجماعة لا يؤلِّهون أحدًا، موقفهم من الصحابة الترضِّي من الجميع، والاعتراف بالتفاوت بينهم، الأئمة الأربعة، حتى التفاضل بين الأئمة الأربعة؛ الخلفاء الأربعة، بقية الصحابة، أصحاب بدر، أصحاب أُحُد، السابقون الأولون، الأنصار، المهاجرون، هذه المراتب يقولون بها، ولا يغلون في أحد منهم، ولا يجافون أحدًا منهم، وهذه هي الوسطية في باب الصحابة، وسيبين شيخ الإسلام جانبًا من هذا أيضًا في آخر الرسالة.

إذًا، أهل السُّنَّة والجماعة وسط في باب صفات الله -عز وجل- بيْن أهل التعطيل وبيْن المشبِّهة.

ووسط في باب القدَر بيْن الجبرية وبيْن القدرية، هنا شيخ الإسلام قال: «**وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ**»، ولم يقل: في القدر؛ ليؤصِّل للقضية أن أفعال الله -عز وجل- غير أفعال العباد، أفعال الله -عز وجل- هي التي يختصّ بها من ربوبيته، وكل ما يتعلق بالتدبير هي أفعال الله -عز وجل-، أما أفعال العباد فهي ليست أفعال الله -عز وجل-، هي أفعال العباد، تُنسَب إليهم حقيقة، لا تُنسب إلى الله -عز وجل- لا حقيقة، ولا مجازًا، تُنسب إلى العباد حقيقة، إذًا، هذا باب القدَر.

وفي باب الوعيد، أو في باب نواقض الإيمان هم وسَط بين المرجئة الذين هم ثلاث طوائف، وبيْن الوعيدية الذي هم طائفتان: خوارج ومعتزلة.

وفي أصحاب رسول الله ﷺ وسَط أيضًا بين الروافض والخوارج، فلا مغالاة، ولا مجافاة.

«وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ:

الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ مِنْ أَنَّهُ – سُبْحَانَهُ– فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ».

---

**الشرح:**

في هذه الفقرة يبيِّن شيخ الإسلام ثبوت عُلُو الله –عز وجل–، خصَّصها أيضًا للعلو، كلما تقرأون في كتب المبتدعة سترون أن قضية العلو، وقضية الاستواء، وقضية الكلام؛ هاتان المسألتان أبرز مسألتين يتحدث فيهما أهل البدع، وأولها العلو.

ولذلك أفرد له شيخ الإسلام مجلدًا كاملًا في الدرء؛ في (درء تعارض العقل والنقل)، لما تحدَّث شيخ الإسلام في الردِّ على المتكلمين في تقديم العقل على النقل، وردَّ عليهم من أربعة وأربعين وجهًا، خصَّص مجلدًا كاملًا وأكثر، تقريبًا المجلد الثامن أو التاسع، وبعض المجلد الذي بعده؛ خصَّصه لصفة العلو، وطبَّق هناك كلَّ ما ذكره عن الفِرَق، كل ما ذكره عن الفرق طبَّقه في هذه الصفة، ولذلك نرى أنه يركِّز هنا على صفة الكلام، ويركِّز هنا أيضًا على صفة العلو.

يقول رحمه الله: «**وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ**»؛ لاحظ هنا العبارة، لا زلنا مع الإيمان بالله –عز وجل–، ولا زلنا في الركن الأول من أركان الإيمان السِّتَّة.

«**وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ**»؛ أولًا، نكتب رقم واحد.

«**وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ**»؛ رقم اثنين.

«**وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ**»؛ رقم ثلاثة، على ماذا؟ «**مِنْ أَنَّهُ –سُبْحَانَهُ– فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ**».

هنا مع هذه المقدمة يبيِّن –رحمه الله– الجمع بين العلو والمعية؛ لأن هذه المسألة أيضًا من المسائل التي تُشكل على المبتدع: كيف تقولون: إن الله –عز وجل– مستوٍ على عرشه عالٍ على خَلقه بذاته؛ ومع ذلك تؤمنون بأنه مع العباد حقيقة؟ كيف؟ هذه المسألة يوضِّحها الآن.

أولًا: لا بد أن نؤمن بالعلو؛ لأنه كما قال شيخ الإسلام: هذا الذي «**أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ** -ﷺ-، **وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ**»؛ ما الذي بقي؟ لم يبقَ إلا مخالفة المتكلمين، «**مِنْ أَنَّهُ -سُبْحَانَهُ- فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ. وَهُوَ -سُبْحَانَهُ-**».

«وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا؛ يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ.

كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد:٤].

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ، فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ.

بَلْ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ، مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ».

«وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ».

«أَيْنَمَا كَانَ».

«وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ»، إيش قال؟

«وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ».

في الحاشية.

«وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- فَوْقَ الْعَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمْ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الرُبُوبِيَّة.

وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ مَعَنَا حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ.

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ: الْإِيمَانُ».

«وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ»، إيش بعدها؟

«وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ».

شوف الهامش.

**الطالب:** «مثل أن يظن أن ظاهر قوله: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٧] أن السماء تقلُّه، أو تظله، فهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان، فإن الله قد وسع كرسيه السماوات والأرض، وهو الذي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا ﴾ [فاطر:٤١] ، ﴿ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓ ﴾ [الحج:٦٥] ، ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ ﴾ [الروم:٢٥]﴾ ».

---

**الشرح:**

في هذه الفقرات بيَّن شيخ الإسلام الجمع بين العلو والمعية، في البداية ذكَّرنا بثبوت صفة العلو، ثم قال: «وَهُوَ –سُبْحَانَهُ– مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا؛ يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ.

كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد:٤]».

طبعًا تقدَّم الكلام في إثبات معية الله –عز وجل–، وذكرنا هناك أن المعية تنقسم إلى قسمين:

معية عامة.

ومعية خاصة.

وأن حكم معيته العامة ومقتضاها أن الله –عز وجل– مع علوه وفوقيته على عباده يعلم الخَلْق، وما يعملون، وأيضًا محيط بهم بعلمه، هذا الذي يوضحه هنا، «**وَهُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا؛ يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ**»؛ إذًا، كونه معهم معناه أنه«**يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ**».

والله –عز وجل– جمع ذلك في آية واحدة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾؛ يعني جمع بين العلو والمعية في آية واحدة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾؛ هذا هو العلو، ذكرنا أن آيات الاستواء، نصوص الاستواء من أدلة إثبات العلو، ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾، مع أنه على العرش ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾، خَتَم الآية بما يبيِّن أن المعية معناها المعية بالعلم، ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

إذًا، في آية واحدة جمع الله –عز وجل– بين العلو وبين المعية، ولكن هل معنى قوله: ﴿ مَعَكُمۡ ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؟

يقول شيخ الإسلام: «**وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ**»؛ من أين جاء الإشكال؟ الإشكال جاء لفهمهم أن المعية تقتضي المخالطة، ولذلك نفوا المعية، أو أثبتوها ونفوا العلو.

«**وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ، فَإِنَّ هَذَا**»؛ ذكرهنا أربعة أدلة على أن المعية لا تقتضي المخالطة:

الدليل الأول: «**فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ**». هذا الدليل الأول.

الدليل الثاني: «**وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ**»، سلف الأمة أجمعوا على أن الله –عز وجل– بائن من مخلوقاته، وليس مختلطًا بهم.

الدليل الثالث: «**وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ**»؛ إذًا، الدليل الفِطري يُثبت أن الله –عز وجل– فوق العالم.

الدليل الرابع: ذكر مثالًا لبعض مخلوقاته؛ ليبين أن المخلوق مع علوه إذا كان لا يقتضي المخالطة، فكيف بالخالق؟! يقول: «**بَلْ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ، مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ**».

إذًا، هذه أربعة أدلة:

الدليل الأول: أن هذا الوهم وهذا التوهم لا توجبه اللغة؛ لأن كلمة (مع) إذا أُطلقت ليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المُطْلقة من غير وجوب مماسَّة، أو محاذاة عن يمين أو شمال، هذا هو ظاهرها، ظاهر المعية ليس المخالطة، ظاهرها المقارنة المُطْلقة من غير وجوب مماسَّة، أو محاذاة عن يمين أو شمال، هذا هو ظاهرها.

إذًا، لفظة (مع) في اللغة العربية تدل على المصاحبة والموافقة والاقتران، ولا تدل على أن الأول مختلط بالثاني، لا تدل على هذا في عامَّة موارد الاستعمال، كما في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح:٢٩]، ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾؛ هل معنى هذا أنهم دائمًا معه؟!

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:١٤٦] هل توجب المخالطة دائمًا؟!

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، كونوا معهم تأييدًا، كونوا معهم نصرة، ليس معناه أنكم تلازمونهم.

﴿وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ﴾ [الأنفال:٧٥]؛ هذا كثير في النصوص. إذًا، المعية لغة لا توجب المخالطة، الدليل أنه لا توجبه اللغة.

خلاصة هذا الدليل أن جميع استعمالات (مع) في الكتاب والسُّنَّة، وحتى في اللغة لا توجب اتِّصالًا واختلاطًا، وإنما تدل على المخالطة بحسب السياق، أما المعنى العام فلا توجبه المخالطة والالتصاق.

الدليل الثاني: «**وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ**»؛ لأن هذا الوهم على «**خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ**»؛ لأن سلف الأمة أجمعوا على أن الله –عز وجل– بائن من مخلوقاته. وهذا الوهم يستلزم أن يكون مختلطًا مع مخلوقاته.

الدليل الثالث: أن التوهم الفاسد خلاف ما فطر الله عليه الخَلْق. الدليل الفطري الذي يذكره أهل السُّنَّة دائمًا لبيان علو الله –عز وجل– أن الجميع مفطورون أن الله –عز وجل– فوقهم، فلذلك، كل من يدعوا يتوجه إلى العلو؛ لأنهم مفطورون على أن الله –عز وجل– عليٌّ عليهم، حتى الصبيان وحتى الجُهَّال لما يحزبهم أمر إنما يتوجهون إلى، وهذا دليل الفطرة، من أهم الأدلة لإثبات العلو.

الدليل الرابع الذي ذكره: هذا المثال الذي ضربه: القمر لما ننظر إليه ونحن نمشي لا نحس أنه، نقول: هذا القمر معنا. وهل هذا يوجب المخالطة؟ لما نقول: لا زلنا نسير والقمر معنا؛ هل معنى (معنا) أنه كان معنا في الطريق؟! هل كان مختلطًا بنا؟! هل المعية هنا توجب المخالطة والالتصاق؟! لا توجب.

إذا كان هذا في بعض أصغر مخلوقات الله –عز وجل–، فكيف توجب المخالطة لله –عز وجل–؟!

إذًا، النتيجة: «**وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- فَوْقَ الْعَرْشِ**»؛ يعني هنا يبيِّن شيخ الإسلام مقتضى معيته العامة، «**وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- فَوْقَ الْعَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ**»؛ كل ما يذكره هنا هي معاني ومقتضيات معيته العامة، «**وَهُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمْ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الرُّبُوبِيَّةِ**.

«**وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ -سبحانه- مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ مَعَنَا**»؛ يعني إثبات العلو والمعية في آن واحد «**حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ**»، إثبات عُلُوه أيضًا «**حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ**»، وإثبات معيته «**حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ**»، والجمع بينهما أيضًا «**حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ**»، متى يحتاج

إلى تحريف؟ إذا توهمنا أوهامًا باطلة، إذا ظننا أن المعية تقتضي وتوجب المخالطة، هنا تأتي الإشكالات، بيَّن شيخ الإسلام أن هذا لا توجبه اللغة.

يضيف أيضًا بيانًا، يقول: «**وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ**»، نحن لما نقول: الجمع بين علوه ومعيته، ونثبت هذا وهذا «**يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ**» مثل: طبعًا، بيَّن شيئًا من هذا في شرحه لـ ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ**﴾[الحديد:٤]، ويضيف هنا، يقول: «**مثل أن يظن أن ظاهر قوله: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾[الملك:١٦] أن السماء تقلُّه، أو تظلُّه، فهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان**»، (في) هنا بمعنى (على)، ﴿**أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**﴾[الملك:١٦]، (في) هنا بمعنى (على)، وهذا يأتي كثيرًا في اللغة، ﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾[طه:٧١]، هل المعنى هنا: بين الجذوع أو تحت الجذوع؟ المعنى: على.

طبعًا، كلما استخدمت حرفًا بدل حرف يكون هناك معنى آخر يكون مرادًا، هذا شيء، ولكن من حيث العموم (في) تأتي بمعنى (على)، لماذا هنا (في) بدل (على)، و(على) بدل (في)؟ في كل هذا الكلام لما تتدبر تجد نقطة، ولكن من حيث العموم (في) هنا بمعنى (على).

ليس «**ظاهر قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾** [الملك:١٧] **أن السماء تقلُّه، أو تظلُّه**»، كيف تظن؟! سبحان الله! كيف تظن أن السماء تُقِلّ الله -عز وجل-؟! وكما ذكرنا أن السماوات السبع نِسبتها إلى الكرسي نسبة ضئيلة جدًّا، ونسبة الكرسي إلى العرش نسبة ضئيلة جدًّا، ومع ذلك تظن أن السماء تقلُّه أو تظلُّه؟!

«**فهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان، فإن الله قد ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾** [البقرة:٢٥٥] **وَالأَرْضَ﴾ وهو الذي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾** [فاطر:٤١] ﴿**وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ**﴾ [الحج:٦٥]، ﴿**وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ**﴾ [الروم:٢٥] **بِأَمْرِه**»؛ إذًا، لا بد بعد أن تؤمن بهذه الأمور أن الله -عز وجل- هو الذي «﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[البقرة:٢٥٥]، وهو الذي ﴿يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا﴾[فاطر:٤١]**»، إذا كنت مؤمنًا بهذه الأمور لا تعتقد في هذه النصوص ما تعتقده، ثم تحتاج معه إلى تحريف؛ لأنك تظن أو تزعم أنك تَفِرّ من التشبيه.

إذًا، في هذه الفقرات بيَّن شيخ الإسلام الجمع بين العلو والمعية، وبيَّن أيضًا مقتضيات معية الله العامة، وبيَّن أن علو الله –عز وجل– نثبته، وأنه حق على حقيقته، وأيضًا معيته نثبتها، وهي حق أيضًا على حقيقتها.

«ودَخَلَ فِي ذَلِكَ: الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا قالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] ، وَقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ».

وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّة مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِه لَا يُنَافِي مَا ذُكِر مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ».

---

**الشرح:**

رحم الله شيخ الإسلام، سبحان الله، عباراته دقيقة جدًّا، سبحان الله، خاصة في هذه الرسالة؛ العبارات التي استخدمها هي في غاية الدقة.

يقول شيخ الإسلام هنا مبيِّنًا الجمع بين العلو والقُرب، في الفقرة الماضية ما الذي بيَّنه؟ الجمع بين العلو والمعية.

أيضًا مما يُشكل على بعض الناس الجمع بين العلو والقُرب، هذا خصَّصه في هذه الفقرة: «**وقد دَخَلَ فِي ذَلِكَ**»؛ يعني في هذه الفقرة يبين أن عُلُوه لا ينافي قُربه، وأن قُربه لا ينافي عُلُوه وفَوقيته، «**وقد دَخَلَ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ**»، «**دَخَلَ فِي ذَلِكَ**»؛ في ماذا؟ في الإيمان بالله، إذًا، هذه ليست مباحث كلامية، وإنما نحن في صُلْب الإيمان بالله -عز وجل-، «**دَخَلَ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ**»؛ مجيب، «**كَمَا قالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]**»؛ هنا جمع بين أمرين: بيْن القُرب، وبيْن الإجابة؛ ليبيِّن أن القُرب هنا بمعنى الإجابة؛ ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾[**البقرة:١٨٦**]. إذًا، في هذا بيان قُربه من الدَّاعي.

وقوله «ﷺ: «**إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**»»؛ أيضًا فيه قُربه إلى الدَّاعي، والدُّعاء كما قلنا: عبادة عظيمة.

يعني الداعي لما يدعو سواء استجاب له أو لا؛ المهم فهو في عبادة عظيمة، «**وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّة مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِه لَا يُنَافِي مَا ذُكِر مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ**»، لماذا؟ لأنه «**-سُبْحَانَهُ- لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي**

جَمِيعِ نُعُوتِهِ»؛ النعوت هي الأوصاف؛ في جميع أوصافه، «وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ»، ومع ذلك عليٌّ، «قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ».

«عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ»؛ يعني لما نُثبت له العُلو، مع ذلك هو قريب، ونثبت له القرب، ومع ذلك هو عليٌّ على خَلْقه، شوف العبارة هذه: «وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ»؛ يعني عبارة جميلة جدًّا، جمع فيها خلاصة هذه الفقرة، «وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ».

لفظ القُرب المضاف إلى الله –عز وجل–، طبعًا، هذا القُرب أيضًا من الصفات الاختيارية؛ أن الله –عز وجل– يكون قريبًا من بعض عباده كما شاء.

لفظ القُرب المضاف إلى الله –عز وجل– ذُكِر في القرآن والسُّنَّة تارة بصيغة المفرد: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦]، وفي الحديث الذي سبق: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ» إلى قوله: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»، «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ».

وفي قوله سبحانه: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق:١٦]، المراد بـ(نَحْنُ) هنا: الله –عز وجل–.

والقرب الذي وصف الله –سبحانه– به نفسه قُرب خاصّ، يقول شيخ الإسلام: ليس في القرآن وصف الرب –سبحانه– بالقرب من كل شيء أصلًا؛ يعني القرب يختلف عن المعية، المعية العامة هي عامة، المعية الخاصة؛ يعني القرب مرادف للمعية الخاصة.

ليس في القرآن وصف الرب –سبحانه– بالقرب من كل شيء أصلًا، بل قربه الذي في القرآن خاصّ، لا عام.

فقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، فهو –سبحانه– قريب ممن دعاه.

وكذلك ما في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا مع النبي ﷺ في سفر، فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير. هذا الحديث الذي مضى قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا» إلى آخر الحديث، فقال: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ»، ولم يقل: إنه قريب إلى كل موجود.

وكذلك قول صالح عليه السلام: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود:٦١] قريب ممن؟ من المستغفرين، ومن التائبين.

وقول شعيب: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود:٩٠]. ومعلوم أن قوله؛ لا زال الكلام لشيخ الإسلام.

ومعلوم أن قوله: ﴿قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[هود:٦١] مقرون بالتوبة والاستغفار، أراد به ﴿قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾[هود:٦١] لاستغفار المستغفرين التائبين إليه، كما أنه ﴿رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[هود:٩٠] بهم، وقد قرن القريب بالمجيب، ومعلوم أنه لا يقال: إنه مجيب لكل موجود، وإنما الإجابة لمن سأله ودعاه، فكذلك قُربه –سبحانه وتعالى–.

أما قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة:٨٥] ؛ يقول: سياق الآية يدل على أن المراد بـ(نَحْنُ) هنا الملائكة. لماذا؟ لأنه ذكر أنكم لا تبصرون، والله –عز وجل– لا يمكن رؤيته في الدنيا، وأولئك الذين هناك يمكن إبصارهم، ولكنكم لا تستطيعون أن تبصرونهم، أما الله –عز وجل– لا يمكن رؤيته في الدنيا، حتى النبي ﷺ لم يره بعينَي رأسه، وإنما على الراجح رآه بعينَي فؤاده.

إذًا، هذا القيد استدل به أن المراد بـ(نَحْنُ) هنا هم الملائكة. والله أعلم.

المهم أن الذي قرَّره شيخ الإسلام أن القرب لم يأتي في الكتاب والسُّنَّة إلا بمعنى القرب الخاص، ولم يأت بالقرب العام.

«وَمِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ: الْإِيمَان بأنَّ القرآنَ كلام».

نكتفي بهذا القدْر، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لأن مسألة القرآن مسألة فيها شيء من الطول، نرجؤها إلى الغد إن شاء الله.

## الأسئلة

**طالب:** شيخ، أحسن الله إليك، في حديث النبي ﷺ في النهي عن البصق في الصلاة، «فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ»، شيخ، المراد بالمقابلة هنا مقابلة الذات أم مقابلة المعية العامة؟

**الشيخ:** المعية العامة.

**طالب:** يشكل علينا أن المعية العامة موجودة في كل مكان.

**الشيخ:** هذا التخصيص؛ قلنا: كما يليق بذاته، نحن قلنا: المواجهة هنا التي ذُكرت هنا نثبتها كما يليق بذاته -سبحانه-.

**طالب:** يمكن أن نقول: مثل مقابلة القمر.

**الشيخ:** لا، هذا نذكره للتمثيل وللتقريب، نقول: مثل: مقابلة القمر. الذي يستبعد نذكر له هذا المثال، كما ذكرنا في القمر في قضية المخالطة؛ هذا للتمثيل.

**طالب:**... وهو مستو على عرشه.

**الشيخ:** نعم.

**طالب:** أسألك في كتاب في الرد على المرجئة...، الأسماء والصفات، لا أعرف كتابًا في الرد على المرجئة.

**الشيخ:** (كتاب الإيمان).

**طالب:** الكبير؟

**الشيخ:** الكبير والصغير والأوسط، وهناك كتاب رسالة علمية: (ردود شيخ الإسلام على المرجئة)، أيضًا طُبِعت.

**طالب:** يا شيخ، أنا أخاف أن يكون الكتاب كبير عليَّ؛ على مستواي.

**الشيخ:** لا، ليس كبيرًا، (كتاب الإيمان الكبير) هو صغير، بهذا الحجم، بس اسمه الكبير.

**طالب:** جزاكم الله خيرًا.

بارك الله فيكم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ على المبعوث رحمةً للعالمين سيدنا مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

قَالَ شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللهُ:

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، هُوَ كَلَامُ اللهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامُ غَيْرِهِ، وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ: بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ، بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حَقِيقَةً؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

وَهُوَ كَلَامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلَامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلَا الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ.

---

**الشرح:**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونُصلي على رسول الكريم المُبعث، في هذه الفقرات يُبيّن شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللهُ مذهب أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة في القرآن، وبدأه بقوله: وَمِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ لأن الإيمان بكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ داخل في الإيمان برسالة الله عَزَّ وَجَلَّ إلى عباده.

وأصل الإيمان؛ الإيمان بما أنزله، نحن نُؤمن برسله، بأنبيائه ورسله، وما الَّذِي جاءوا به، قد يكون رسالة الإيمان بالرسل أن نُؤمن بهذه الكتب، والكتاب الَّذِي أُنزل على النَّبِيّ ﷺ هو القرآن، إِذًا الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ، والإيمان برسله لا يتم إِلَّا بالإيمان بالقرآن.

وَهذا القرآن الَّذِي نتلوه لَا بُدَّ أن نُؤمن بأنه كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنه منزل، وأنه غير مخلوق، هذه الأمور الثلاثة لَا بُدَّ أن نُؤمن بها، لَا بُدَّ أن نُؤمن أن هذا القرآن، وكما يُعبر عنه الأصوليون: ما بين دفتين المصحف، لَا بُدَّ أن نُؤمن أنه كلام الله تكلم به الله عَزَّ وَجَلَّ كلامًا حقيقي.

وأنه منزل من عند رب العالمين، وأنه غير مخلوق، كل هذه الأمور لَا بُدَّ أن نُؤمن بها، لماذا؟ ليسهل لنا الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ وبرسله، أما إذا كتب أحد أن هذا القرآن إذا حام حوله شك في أنه هل هو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ أو لا كما سيأتي عند الفرق، فَهذا لا يكون مؤمنًا بأصل البشارة، وما كثرة القائلين بهذا القول إِلَّا أن الأئمة لا يُكفرونهم؛ لأن عندهم تأويلات.

**وكما ذكرت مرارًا أن التأويل هذا عذرٌ** من الأعذار الَّتِي يُعذر بها المخالف، وهو عذر وسبب في التكفير، من الأعذار الَّتِي يُعذر فيها التأويل والجهل.

إِذًا الكفر بهذا الأصل يُؤدي إلى الكفر بهذا الركن؛ ركن الإيمان بالرسل والكتب، هذا الَّذِي ذَكَرَه شيخ الإسلام، ومن الإيمان بالله والكتب أن الكتاب الَّذِي جاءنا هو عامل القرآن، لَا بُدَّ أن نُؤمن بأنه كلام الله عَزَّ وَجَلَّ وأنه مُنزل وأنه غير مخلوق.

هٰذِه القيضة أنه غير مخلوق ما كان الصحابة محتاجين إلى أن يقولوا أن القرآن غير مخلوق، بل ما كانوا محتاجين إلى أن يقولوا أو أن يُؤكدوا في كل مصنف من منصفاتهم إن صنفوا أنه منزل: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الزمر:١] ﴾ لا أحد، ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ ﴾ [النحل:١٠٢] لا أحد يشك في هٰذَا.

هٰذِه الأمور صار التكفير بها ضروريًا بعد نشوب البدع، والآن حتى يكون إيماننا كاملًا، لَا بُدَّ أن نُؤمن بهذه الأمور، حتى يكون إيمانك إيمانًا صحيحًا على مذهب أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، وحتى لا تقع في بعض المواقع فيها البدع الَّذِينَ شككوا في هذه الأمور وطولوا فيها وشرقوا وغربوا حتى وصلوا إلى أن هذا القرآن ليس كلام الله عَزَّ وَجَلَّ حقيقةً، وَإِنَّمَا هو كلامه مجازًا كما سيأتي.

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾ [يونس:٢] ، ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾ [الأعراف:٦٣] ، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٩١] ، هذه شبهاتهم، شبهاتهم تختلف، وشبهات أهل البدع على الدوام تختلف.

إِذًا أصل الإيمان، الإيمان بما أنزله: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ١ - ٣] إِذًا اتفق الأئمة كلهم بدون استثناء أن هذا القرآن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنه منزل، وأنه غير مخلوق، وكما تعرفون أن هذه المسألة حدثت فيها الفتنة المعروفة الَّتِي سُميت بفتنة خلق القرآن.

هل الفتنة كانت بين أئمة السُّنَّة وبين؟ بل بين الأُمَّة وبين زمرة المتكلمين، وكان يُمثلهم فيها أئمة المعتزلة والجهمية الَّذِينَ ناظروا الإمام أحمد، يَعْنِي إذا أردت أن تعرف عنهم جهمية أو معتزلة فمن الصعب أن تُفرق بيهم؛ لأن بعض أصولهم أصول الجهم، وبعض أصولهم أصول المعتزلة، فهم خليط.

المهم: فهم في مسألة الكلام جهمية، وكانوا ينفون أصل الكلام، كما تعرفون أن المعتزلة مذهبهم نفي جميع الصفات، الجهمية نفي الأسماء والصفات، والمعتزلة إثبات الأسماء ونفي الصفات، طبعًا هم يذكرون أنهم الجهمية يُثبتون الوجود لله عَزَّ وَجَلَّ، وَالَّذِي لا يُثبت الوجود هم القرامطة.

**القرامطة يقولون**: إذا قلنا أنه موجود، والإنسان أَيْضًا موجود هذا يستلزم تشبيه، ولذلك لَا بُدَّ أن ترتكب هذا الجنون الأذعن حتى تستيقن التشبيه، هؤلاء القرامطة، ولذلك القرامطة يرمون الجهمية بأنهم يشبهون، الجهمية عندهم مشبهون، والجهمية يرمون المعتزلة بأنكم مشبهون، وأشرت إلى هذا مرارًا؛ كل من يُعطل أكثر يتهم من هو دونه في التعطيل يتهمه بالتشبيه.

وعَلَىٰ مذهبهم أسهل الناس بالفرار من التشبيه هم... الَّذِينَ قالوا لا نقول موجودًا فيستلزم التشبيه بالموجودات، ولا نقول غير موجود؛ لأنه يستلزم التشبيه...، شفت هذا من يسترسل مع هواه ومع شبهاته هكذا النتيجة.

إِذًا الجهمية يفيدون الوجوه، هكذا يقولون ونحن لا نُصدقهم؛ لأن ما يدعونه ليس منطقيًا، يقولون: نحن نُثبت أربع صفات؛ الوجود والحياة والقدرة والعلم كم صارت هٰذِه؟ أربع صفات، الوجود هو الَّذِي يُثبته أَيْضًا الجهمية، والحياة والقدرة والعلم، وقالوا أصل هذه الصفات هي القدرة، ولكن عندهم إشكال في هذا المصطلح، في الصفة؛ لأن الصفة إِمَّا أن تُثبتها قليلٌ فيلزم تعدد القدماء والتوحيد عندهم إثبات قديم واحد، أو تُثبتها حادثة فيستلزم منه الحوادث.

فقالوا: نحن نُثبت هذه ولكن لا نُسميها صفة، ماذا تُسمونها؟ أحدهم اخترع نظرية المعاني، قَالَ نُسميها معاني لا نُسميها صفات هذا معمر المعتزلي، قلنا له ماذا تعني المعاني؟ هل هي الأمور الموجودة.

الطالب: ثبوت الحادثة يستلزم ماذا؟

**الشيخ**: حدوث الحوادث.

قلنا له ماذا تقصد بالمعاني؟ هل هي أمور موجود؟ يقول: لا، غير موجودة؟ يقول: لا، طيب إيش هي؟ قام يستخير ليله ونهاره، جاء أبو هاشم فاخترع نظرية الحال، كما قلت لكم... كسب الأشعري نسبة إليهم، حال البهشمي نسبة إلى أبي هاشم، وطفرة النظام، النظام يقول: بإمكان بعض الأشياء أن تنقل من هنا إلى هنا دون أن تمر على هنا، هذه طفرة النظام، طبعًا غريبة جدًا أليس كذلك؟ ولذلك الناس إلى الآن لا يفهمونها.

والنظام لو كان يفهمها جيدًا لكان أفهمنا هذه مهارتهم، ومنها الحال الَّذِي أتحدث عنه، قالوا: نحن نُثبت هذه الأمور الأربعة اللي هي الحياة والقدرة والوجود والعلم، نحن نُثبتها ولكن لا نُسميها صفات؛ لأن بيننا وبين الصفاتية يسمون الكلابية وأهل السُّنَّة كلهم عندهم صفاتية؛ لأنهم يُثبتون...، فبما أن بيننا وبينهم... إذا سميناها صفات نكون مثلهم، طيب ماذا تُسمى؟ نُسيمه معاني لم يتفقوا عليه، ماذا تُسمي؟ يخترعوا نظرية الحال، وهذه النظرية اشتغلوا عليها.

**نظرية الحال**؛ هم قالوا: الله عَزَّ وَجَلَّ عليم هذا يُثبتونه، عليم معناه أنه ذو علم أليس كذلك؟ قالوا: لا؛ لأنك إذا قلت ذو علم هذا معناه أنه متصف بصفة العلم، وأنا...؛ لأن الصفات يرجع إلى المهزلة الأولى؛ لأن الصفات إِمَّا أن تُثبتها قديمًا ويستلزم تعدد القدماء، فماذا تقول؟ أسميها صفات، الله عَزَّ وَجَلَّ على حال هو فيه عليم.

هٰذِه الحال الناصرية أَيْضًا تحيلوا في الموقف من... ماذا نُسميه؟ هذا موقف المعتزل، طيب نحن ماذا يكون موقفنا، ناقشهم الناس منهم الأشاعرة ناقشوهم، وممن ناقشهم الباقلاني، الباقلاني يقول، أنا ذكرت الباقلاني بخصوصهم؛ لأن الباقلاني ظلم في هذا... هو من أئمة...، الباقلاني نُسب إلى أنه من مثبتي الأحوال، وأنه ليس كذلك.

الباقلاني يقول لهم: إذا كانت الحال والأحوال الَّتِي تُثبتونها، إذا كانت شيئًا موجودًا ولها حقيقة ما هي الصفة، ونحن نقول بها، ونحن وَإِيَّاكُمْ متفقون إِذًا على القول بها، أما إذا قيل لكم أنها حقيقة أي حقيقة وهي ليست موجودة، طبعًا إلزامه صحيح، والناس نسبوه إلى أنه من مثبتي الأحوال، لا ليس كذلك، هو يلزمهم بأنه إِمَّا أن تقولوا بشيء له حقيقة، أو تقولوا بأن الحال الَّذِي تقولونه ليس له حقيقة.

وكلام الباقلاني هو الخلاصة في هذه المسألة، نقول للمعتزل: إن كان لقولكم شيء من الحقيقة فهي صفات، وَإِلَّا فقولكم نثبت له كذا كذا حال هذا ليس بدقيق، كل هذا فرارًا من تسمية هذا الشيء الَّذِي يُثبتونه صفات، ولذلك الَّذِي جرى للعلماء أنهم يقولون المعتزلة لا يُثبتون شيئًا أصلًا؛ لأنه هو يقول: هذه ليست صفات وأنه يُثبتها، ما يُثبت الكلام ولا السمع ولا البصر، ولكن يُثبت هذه الأمور الأربعة.

مِمَّا نفاه صفة الكلام، هذه الأمور الأربعة أقل شيء يحوم حولها، ولكن صفة الكلام ينفيها نفيًا قاطعًا، يقول: معنى كونه متكلمًا أنه يخلق الكلام في غيره، هنا نشأ الخلاف في حقيقة الكلام، ما هو الكلام؟ فافترقوا في هذا فرق، المعتزلة يرون أن حقيقة الكلام هي الألفاظ، أما المعنى فإطلاق الكلام على المعاني مجاز، هذا مذهب المعتزلة.

طبعًا نحن نعرف أن الكلام يكون مؤلفًا من لفظ ومعنى، هذا يعرفه الجميع، الكلام عبارة عن اللَّفْظ والمعنى أليس كذلك، إذا كان هناك اللَّفْظ، وليس له معنى، هذا لا أحد يُطلق عليه كلام، وإذا كان هناك معنى لم يُوضع لفظ، فلا أحد يُطلق عليه كلام، فرق بين الكلام اللَّفْظ المجمل، والكلام والمعنى، والكلام يتضمن أمرين لفظًا ومعنى.

المعتزلة قالوا: الكلام حقيقة في اللَّفْظ وإطلاقه على المعاني مجاز، الكلابية عكسوا قالوا: الكلام حقيقة في الألفاظ ومجاز في المعاني، وأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة: أن الكلام حقيقة في الأمرين، وأن الكلام لا يكون كلامًا إِلَّا إذا انتظم الأمرين اللَّفْظ والمعنى.

إِذًا المعتزلة يرون أن الله عَزَّ وَجَلَّ فعلًا متكلم وأن هذا الكلام، ولكنهم استنادًا إلى أصلهم أن هذا مخلوق، وأن كلامه ومعنى قوله متكلمًا أنه يخلق الكلام في غيره، إِذًا ابتداء هذا الكلام ممن يكون؟ الله عَزَّ وَجَلَّ، ليس متصفًا بصفة الكلام، إِنَّمَا يخلق كلامه في غيره، موسى عليه السلام لما نُودي من الشجرة، فمبدأ كلام الله عَزَّ وَجَلَّ الشجرة؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق الكلام في الشجرة.

إِذًاْ هو لا يُثبت أن الله عَزَّ وَجَلَّ متصف بصفة الكلام، وأنه نزل شيئًا وأنه تكلم بشيء كل هذه الأمور عنده أمور مجازية، واستنادًا إلى هذه المسألة صارت مسألة خلق القرآن؛ لأن القرآن عند أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، بل عند الكلابية أَيْضًا الأشاعرة كلام الله، القرآن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، والمعتزلة أَيْضًا يقولون القرآن كلام الله، ولكنهم يقولون هو مخلوق.

أظن إلى الآن نحن فهمنا مذهب المعتزلة، ولكن سنقف وقفة طويلة حتى نفهم ماذا...، يَعْنِي فهو تطلق مذهب دائمًا في غموضه، المعتزلة على بطلانهم الواضح، ثاني شيء مذهبهم واضح، أما الكلابية... معهم، الكلابية معهم طبعًا يمثلون... الأشاعرة والمعتزلة.

يقول شيخ الإسلام هنا: مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ لماذا يقول؟ لأن عند المرتجلة بما أن الله عَزَّ وَجَلَّ ليس متصفًا بصفة الكلام فأين مبتدأه؟ مبتدأه من ذلك المحل المخلوق، ذلك المحل خلق القرآن، ومن هناك يدخل جبريل ويدخله إلى النَّبِيّ ﷺ.

الطالب:...

**الشيخ**: إِذًاْ مبتدأه أن المعتزلة ذلك المحل الَّذِي خلق الله عَزَّ وَجَلَّ فيه كلام الله، ولم يبتدأ من اللوح المحفوظ، ومبتدأه عند الأشاعرة اللوح المحفوظ؛ لأن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ عندهم قديمة، فالقرآن إِذًاْ عندهم قديم مبتدأه اللوح المحفوظ، أو مبتدأه بيت... على قولهم، وعند أهل السُّنَّة: القرآن ممن بدأ؟ بدأ من الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنه تكلم به حقيقةً.

إِذًاْ مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، إليه يعود طبعًا كما ورد في الحديث: «يُسْرَى بِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِن المَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ فَلا يَبْقَى فِي الصُّدُورِ مِنْهُ كَلِمَةٌ وَلا فِي المَصَاحِفِ مِنْهُ حَرْفٌ» المهم هنا: منه بدأ، لماذا يقول منه بدأ؟ لأن غير أهل السُّنَّة يرون أنه بدأ إِمَّا من اللوح المحفوظ، أو بدأ من المحل الَّذِي خلق فيه كلامه.

إِذًاْ مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، بل هنا خلاف في... والغريب أنه الصحيح على ما تقول وعَلَىٰ ما أقول، يَعْنِي الجملة صحيحة على هذا وعَلَىٰ هذا ما عندك... طيب منه مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ بعدها إيش أنت؟

الطالب: وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً.

**الشيخ:** أظن هذا هو الأكثر، في أحد عنده يختلف.

الطالب: وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً.

**الشيخ:** أظن هذا هو، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً هنا سيبدأ خلافنا مع الكلابية، في اَلْأَوَّلُ كان خلافنا مع من؟ من الواضح مع المعتزلة، الثانيين أَيْضًا كان معهم خلاف لكنه لم يكن واضح، هنا سيبدأ الخلاف واضح، وأن الله تكلم به حقيقةً، هذا فيه ردٌ على الكلابية، الكلابية يرون أن هذا القرآن يُطلق عليه بأنه كلام الله عَزَّ وَجَلَّ مجازًا أو باشتراك اللَّفْظ.

لماذا؟ هم يقولون: كلام الله عَزَّ وَجَلَّ كلام نفسي، هم ماذا قالوا: في حقيقة الكلام؟ حقيقة في المعاني مجاز بالألفاظ، عكس مذهب المعتزلة، المعتزلة ماذا قالوا؟ حقيقة في اللَّفْظ ومجاز في المعاني، الكلابية يرون أن القرآن حقيقة في الكلام النفسي، والكلام النفسي هو كلام نفسي لا أحد يطلع عليه، نحن لا يمكن أن نطلع على كلام الله النفسي.

أما كلامه الَّذِي أنزله على رسله ومنه القرآن نقرأه ونطلع عليه، هم يقولون: لا، المنزل ليس كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، ليس كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، ما هو؟ يقول، شيخ الإسلام يُبين: وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ لماذا يُؤكد هنا؟ ترى هنا الخلاف والتركيز كله على الأشاعرة والماتريدية، وأن الله تكلم به حقيقةً، وأن هذا القرآن الَّذِي أنزله على مُحَمَّد هو كلام الله حقيقةً.

مرة أخرى تكرار: لَا كَلَامُ غَيْرِهِ، وَلَا يَجُوزُ إطْلَاقُ الْقَوْلِ: بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ، كل هذا رد على الكلابية؛ لأن الكلابية يقولون: أن القرآن حكاية عن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، أنا قلت لكم هذا القرآن ليس كلام الله عَزَّ وَجَلَّ حقيقة عندهم، وكما قلت لكم هم قد ضلوا في صفة الكلام، وضلالهم أشد فيما يتعلق بالقرآن بخصوصه، وَهذا يتبين أن النتيجة الَّتِي توصلوا هم يتفقون مع المعتزلة في كون هذا القرآن مخلوق.

ومع ذلك دائمًا يكتبون في كتبهم أن القرآن كلام الله غير مخلوق، الأشاعرة دائمًا يكتبون في كتبهم وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، مع أن هذا القرآن عندهم مخلوق، ولا يجوز إطلاقًا القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه، الكلابية يقولون: القرآن حكاية عن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وخالفه الأشهدي أبو الحسن الأشهدي الَّذِي تابع ابن كلاب، خالفه، وقال: القرآن عبارة عن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ: لأن الحكاية، المحكي يكون مثل، الحكاية تكون مثل المحكي، لو كان مثل، لماذا نقول نحن أن هذا حكاية عنه، لماذا لا نقول أنه كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، إِذًا هناك اختلاف، وإذا قلنا حكاية ينتفي هذا

الكلام، ولذلك قَالَ: نحن نقول عبارة عن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ وليست، هذا الخلاف بينهم، خلافي بيني بينهم، الخلاف بيني بين الكلابية.

إِذًا هذا كلام الله عَزَّ وَجَلَّ حقيقةً تكلم به حقيقةً وأنه الَّذِينَ يقولون: أن كلام الله حكاية، كله ضلال، إِذًا الردود هنا كلها على الكلابية وأتباعهم.

إذا قالوا: هذا حكاية كلام الله عَزَّ وَجَلَّ هل هذا يصح؟ لا يصح لماذا؟ لأن الأشهبي هو من اعترض عليه، قَالَ: الحكاية لا يصح؛ لأن بدل الحكاية نقول هذا كلام الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنك إذا تحكي شيئًا، الحكاية تكون مثل المحكي إِذًا لا فرق، قالوا: وعبارة عن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، ولكن هل هذا يصح؟ ليس عبارة عن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ لماذا؟

**هذا القرآن فيه ألفاظ ومعاني أليس كذلك؛** ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [يوسف:٣٣] هذا الَّذِي قرأته ألفاظ ولها معاني أليس كذلك؟ وأنت تُنكر أن الألفاظ من الله عَزَّ وَجَلَّ، كيف يكون... عَزَّ وَجَلَّ؟ إِذًا لا يصح لا هذا ولا هٰذَا.

والأهم من هٰذَا، حتى هذه الأمور حتى ولو لم نفهمها، مواقفها لَا بُدَّ أن نفهم أن هذا القرآن المنزل هو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن مذهب الكلابية والأشاعرة والرافضية فيه موافقٌ لمذهب المعتزلة في كونه مخلوقًا؛ ولهذا يقول أحدهم هنا، طبعًا هذا ليس خاصًا به، هو عنه، ولكن ليس خاصًا به.

يقول أحد أئمة المتكلمين: والقرآن كلام الله تَعَالَىٰ غير مخلوق، هل في شيء؟ سليم أليس كذلك؟ هذا متن، والآن واحد آخر يشتبه كلاهما من أئمة المتكلمين يقول: عقب القرآن عندما القرآن كلام الله لم يقل القرآن غير مخلوق، بل قَالَ القرآن كلام الله غير المخلوق لماذا؟

يقول: وعقب القرآن بكلام الله تَعَالَىٰ لما ذَكَرَ المشايخ من أنه يُقال القرآن كلام الله تَعَالَىٰ غير قَالَ، ولا يُقال: القرآن غير مخلوق؛ لئلا يشبك إلى الفهم أن المُؤَلِّف من الأصوات والحروف قديم كما ذهبت إليه الحنابلة جهلًا قولهم هٰذَا، يقول: الَّذِي يقول أن هذا المُؤَلِّف من الحروف أَيْضًا قديم هذا قول الحنابلة ليس قولنا يتبرأ منا، والحنابلة يقولون به جهلًا.

إِذًا هذا القرآن عندهم مخلوق يتفق مع المعتزلة في أن هذا القرآن مخلوق، وَهذا واضح أَيْضًا لما يبينون محل النزاع بينهم، تحرير محل النزاع بينهم وبين المعتزلة يقولون الأشاعرة والماتريدية يقولون:

أنه لا خلاف بيننا وبينهم في الحقيقة لماذا؟ لأن المعتزلة لا يقولون بحدوث الكلام النفسي، ونحن لا نقول بقبل الكلام اللفظي، هم يقصدون بالقدم أنه ليس كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّمَا الخلاف مع الحنابلة.

إِذًا كل هذا التأكيدات من شيخ الإسلام... وأن الله تكلم به حقيقةً، وأن هذا القرآن الَّذِي أنزله على مُحَمَّد كأنه يُعلم الصبيان، كأنه يُذكر الصبيان؛ لأن هذا القرآن الآن مجرد ما تقول القرآن على...، وأن هذا القرآن الَّذِي أُنزل على كذا، وأن هذا القرآن...، كل هذه التأكيدات للرد عليهم؛ لأنه كما عرفنا الآن القرآن، لما يقولون هم: القرآن كلام الله غير مخلوق، لا يقصدون به، هذا تلبيس منهم.

يقصدون به الكلام النفسي كما استمعنا، يقصدون بالقرآن الكلام النفسي، فلذلك إذا وجدت في كتب الأشاعرة والماتديرين القرآن كلام الله غير مخلوق، فمعناه عندهم الكلام النفسي غير مخلوق، أما هذا عندهم مخلوق، ويذكرون كما ذَكَرَ البيومي، يذكرون أن هذا إِلَّا عند التعليل، حتى لا يستبشر في الناس.

**ويقولون أَيْضًا، طبعًا الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ له كتب جميلة: البرهان في بيان القرآن، رسالة في القرآن وكلام الله، الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم** هنا في البرهان تقريبًا من صفحة (٣٠ إلى ٥٤) أدلة على أن هذا هو القرآن، الآن صرنا نبحث في لو سمعنا العوام سيستغربون سيقولون هؤلاء يبحثون في ماذا؟ أليس كذلك؟ لو سمعنا العوام سيستغربون هؤلاء يبحثون في إيش؟

يَعْنِي أحدهم يقول: هذا القرآن، هل هناك أحد يشك فيه، أدلة على أن هذا هو القرآن؛ لأنهم قالوا: القرآن كلام الله غير مخلوق، المراد بالقرآن هو...؟ يَعْنِي يكون واضح مثل المعتزلة؛ لأن هذه المقولة غدت من المسلمات للأُمَّةِ لما حصلة حولها من الفتنة فَحَتَّىٰ لا يصطدموا بهذه المقالة، قالوا: نحن لا نخالف أن القرآن كلام غير مخلوق، ولكن المقصد كذا وكذا.

الطالب: القرآن الَّذِي بين أديينا ماذا يقولون فيه؟

**الشيخ:** يقولون هذا مخلوق.

الطالب: لكن القرآن هو كلام الله النفسي...؟

**الشيخ:** الكلام النفسي، والكلام النفسي ما نعرف عنه هو في نفس الله عَزَّ وَجَلَّ لماذا؟ لأن أصل الكلام هم لما أثبتوا صفة الكلام لله أثبتوها على أنها الصفة هي الكلام النفسي، وقالوا هذا الَّذِي قاله الأخطل الشاعر النصراني:

**إِنَّ الكلام لفي الفؤاد وَإِنَّمَا جُعل اللسان على الفؤاد دليلًا**

وَهذا الَّذِي كنت خلطت فيه، هذا البيت للأخطل يُنسب للأخطل مع أنه لا يُوجد في ديوانه لا في مخطوط منه ولا مطبوع منه لا يوجد، وبعضهم يحكون عنه بهذا اللَّفْظ:

**إِنَّ البيان لفي الفؤاد وَإِنَّمَا جُعل اللسان على الفؤاد دليلًا**

وَحَتَّىٰ ولو ثبت عن الأخطل، الأخطل نصراني هم أخطئوا في كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، يَعْنِي هم يقولون: أن عيسى كلمة الله ألا تخشى أن يكون ضلاله هناك قد يكون سحبه إلى هنا، رجل نصراني يعتقدون في عيسى عليه السلام أنه كلمة الله، وقد أحسن بعض العلماء قالوا: سُبْحَانَ اللهِ تركوا كتب اللغة كلها، والعالم عمومًا والكتاب وَالسُّنَّة وقالوا الأخطل النصراني.

يَعْنِي في مثل هذه الحقائق الَّتِي يشترك فيها جميع الناس حتى ولو جاء مثل الأخطل ألف لا يُقبل منه؛ لأن شيء الكلام حقيقةً كلام، هذا شيء لا يُؤخذ من شاهد واحد أو اثنين أو ثلاثة، تُترجم فيه؛ لأن الناس ماذا يقصدون...؟ الَّذِي فيه اللَّفْظ القرآن.

المهم: هذا مذهبهم هم يقولون: أن الكلام النفسي هو الكلام الَّذِي يثبتونه، وأول من قَالَ به هو ابن كلاب، وابن كلاب توفي سنة ٢٤٠ يَعْنِي قبل الإمام أحمد بسنتين هو معاصر له للإمام أحمد، الأغرب من هذا لما يقولون: أن الأئمة القدماء لما كانوا يقولون: أن القرآن غير مخلوق كانوا يقصدون الكلام النفسي، يا أخي الكلام النفسي هذا أحدثه ابن كلاب، وفتنة القول بخلق القرآن حدثت قبل ابن كلاب، كيف تُحمل الأُمَّة الَّذِينَ كانوا قبل حدوث هذه الفتنة، تُحملهم بشيء حدث بعدهم.

ثُمَّ قَالَ شيخ الإسلام: بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حَقِيقَةً.

عندهم أَيْضًا بعض الشبهات قالوا: لأن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ لا يحل في المخلوقات، فَقَالَ شيخ الإسلام: إذا قرأه الناس يكون كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، إذا كتبوه في المصاحف يكون كلام الله عَزَّ وَجَلَّ حقيقةً لماذا؟ لأن الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

---

**الشرح:**

هٰذِه الفقرة أشادوا بها حتى المخالفون في مناظرة الواسطية استغربوها من شيخ الإسلام، هذه الفقرة، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا، أنت الآن لما تحكي أبيات في امرؤ القيس وتكتب، هل لما تكتب يُنسب إليك؛ لأنك كتبته؟ ولما تقرأ يُنسب إليك؛ لأنك قرأته؟ يبقى له؛ لأن الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

إِذًا هذا كلام الله عَزَّ وَجَلَّ سواءً كُتب وسواءً قُرأ وسواءً حُفظ في الصدور كيفما تصرف هو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، أيًا من أساليب الكلابية أنهم اخترعوا اللَّفْظ والملفوظ والقراءة والمقروء والقرآن، كله طبعًا هناك ملفوظ أنت لما تقرأ قراءتك هذا عملك، والمقروء كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

وكما قَالَ أئمة السُّنَّة: **الكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ**، هل في مقال؟ أنت تقرأ بصوتك، والمقروء هو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، تتلفظ، إِذًا التَّلَفُّظ منك هذا عملك، والملفوظ، هذه فرقة اللفظية، واللفظية هم أَيْضًا كلابية، الكلابية بما أنهم يرون أن الملفوظ أَيْضًا مخلوق كانوا يلبسون على الناس.

هل أنت تقول لفظي بالقرآن مخلوق؟ وحدثت فتنة مع الإمام البخاري تسببت في إخراج الإمام البخاري من نيسابور، وذهب من هناك إلى بخارى، وفي بخارى حدثت له فتنة أخرى وأخرجوه من بخارى، وذهب إلى سمرقند ومن هناك خرج وذهب إلى قرية اسمها خرتنك وهناك تُوفي مطاردًا رَحِمَهُ اللهُ، وفي كل فتنة كان يُؤلف كاتبًا.

في هذه الفتنة ألف كتابًا عظيمًا جدًا «**خلق أفعال العباد**» ألفه بسبب هذه الفتنة الَّتِي حدثت له بسبب اللَّفْظ والملفوظ، نسبوا إليه بأنه يقول: لفظ بالقرآن مخلوق، مع أنه حلف بالله أنه لم يقل هٰذَا، حتى ولو قاله لم يكن منه خطأً؛ لأن اللَّفْظ بمعنيان:

اللَّفْظ بمعنى الملفوظ.

وَاللَّفْظ بمعنى التَّلَفُّظ.

يأتي بمعنيين، فإذا قاله السني تعرف أنه يقصد بِاللَّفْظِ التَّلَفُّظ، أما إذا قاله الكلابي الَّذِي يتستر دائمًا تعرف أنه يقصد بِاللَّفْظِ الملفوظ، لفظ بالقرآن مخلوق يتستر بهذا اللَّفْظ ليُظهر مذهبه، هو يقصد بأن اللَّفْظ هو الملفوظ؛ لأن هذه عقيدته، أما الإمام البخاري فحاشاه.

الطالب:... القرآن الكلام الله غير مخلوق، وأفعالنا مخلوقة، أفعالنا ألفاظنا مخلوقة.

**الشيخ:** طبعًا هذا شرحنا أفعالنا مخلوقة، وأن هناك فرق بين الخلق والمخلوق، وفرق بين أفعال العباد، لماذا سماه خلق أفعال العباد؟ وأن هناك فرق بين التَّلَفُّظ والملفوظ، والقراءة والمقروء، وأن القراءة فرق بينها وبين الملفوظ إِلَّا أن الكلابية يقولون لفظ بالقرآن مخلوق، فهم يقصدون بِاللَّفْظِ الملفوظ.

**فلذلك الإمام أحمد بدل اللفظية من حيث... قَالَ:** من قَالَ لفظ بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قَالَ لفظ بالقرآن غير مخلوق فهو معتد، حتى يسد الباب ولا أحد يتستر وراء الألفاظ؛ لأن الَّذِي يقول: لفظ بالقرآن مخلوق نسبه إلى التجهم؛ لأن هذا مذهب يرون أن القرآن مخلوق، أما الَّذِي يقول لفظ بالقرآن غير مخلوق، فهو مبتدع لماذا؟ لأن مثل هذه الأمور لم تُكلف أنت، يَعْنِي ضروري يكون لك موقف فيها.

ولكن الموقف الَّذِي كان بالتفصيل هو موقف الإمام البخاري الَّذِي فصل فيها تفصيلًا، الإمام أحمد اكتفى بسد الباب، وَهذا الَّذِي يقوله هذا الكلام الإمام ابن القيم، وقال: أن موقف الإمام البخاري كان أكثر تفصيلًا منه وكان... المسألة؛ لأن الإمام أحمد اكتفى بسد الباب، أما الإمام البخاري فألف فيه كتابًا فصل فيه التفصيل الَّذِي ليس بعده تفصيل.

إِذًا هذا كلام الله حقيقةً سواءً قُرأ وسواءً كُتب وسواءً حُفظ، ونُشير هنا أَيْضًا أن مراتب القرآن، يَعْنِي نُشير إلى مراتب القرآن، مراتب القرآن ذَكَرَ بعض العلماء أن له مراتب:

المرتبة الأولى: مرتبة الكتابة؛ الله عَزَّ وَجَلَّ كتبه قبل أن يُنزله، كتبه وأودعه في بت العزة الَّذِي في السَّماء الدنيا قبل أن يتكلم به.

الطالب:...

**الشيخ:** كتبه في اللوح المحفوظ، اللوح المحفوظ كتب فيه كل شيء، وَهذا القرآن كتبه وأودعه بيت العزة، كتبه أَيْضًا قبل أن يتكلم به، وأودعه في بيت العزة، يقول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «فُصِلَ القُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ، فَوُضِعَ فِي بَيْتِ العِزَّةِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَجَعَلَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ بِهِ على النَّبِيِّ ﷺ، ويُرتلُّهُ تَرْتِيلًا» على أثر ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

إِذًا أول ما ألقي إلى النَّبِيّ ﷺ أُكرم بيت العزة بأن أُودع فيه القرآن، ومن هناك نزل به على مرتبته الكتاب.

ثُمَّ كل ما أوحى به إلى جبريل تكلم به حقيقةً، وسمعه منه جبريل، ومن جبريل سمعه النَّبِيّ ﷺ، هَذِه مرتبة التكلم، أو مرتبة القرآن المتكلم به المسموع.

الطالب:...

**الشيخ:** لا في القرآن: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الزخرف:٤] المراد به اللوح المحفوظ؛ لأن اللوح المحفوظ كُتب فيه كل شيء، إِلَّا أنه على هذا الأثر فُصل القرآن من الذِّكْر، ويقصد من الذِّكْر اللوح المحفوظ، فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل يُنزله على النَّبِيّ ﷺ يُرتله ترتيلًا.

إِذًا القرآن سواءٌ كُتب وسواءً قُرأ وسواءً حُفظ وهو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ كيفما تصرف، أو تُصرف به.

الطالب:...

**الشيخ:** الكتاب، والكتاب لما كُتب مرتبة الكتاب، المرتبة الثانية: مرتبة القرآن المتكلم به المسموع حين أراد الله عَزَّ وَجَلَّ بعثة النَّبِيّ مُحَمَّد ﷺ تكلم بكلام سمعه جبريل، وبلغه النَّبِيّ ﷺ، بعد هذا إيش عندك.

الطالب:...

وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلاَ الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ.

---

**الشرح:**

هذه فقرة مهمة جدًا يَعْنِي ختم بها هذا الفصل هذه الفقرة، يقول شيخ الإسلام: وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ يُؤكد هنا ماذا فعل أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة في حقيقة الكلام.

وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، ومَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي كما هو مذهب المعتزلة، المعتزلة يرون أنه كلام الله عَزَّ وَجَلَّ ولكن حروفه دون المعاني؛ لأن مسمى الكلام عندهم يتناول اللَّفْظ حقيقةً والمعنى مجازًا وَلاَ الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ هنا يرد على من؟ الكلابية؛ لأن الكلام عندهم حقيقة المعنى ومجاز في الحروف.

❑ **ملخص ما خالف فيه الكلابية أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة هَذِه المسائل:**

أولًا: هم يقولون: أن الكلام صفة أزلية، وينفون القدر المتعلق بمشيئته وقدرته أولًا.

ثانيًا: الكلام إذا جعلته كلامًا نفسيًا هل هو...؟ فكر في نفسك ما الفرق بين العلم والكلام النفسي؟ الكلام قبل أن تتلفظ به، أليس هو العلم؟ لما تتكلم به يصير كلام، أما قبل هذا فهو علم، لذلك ألزمه شيخ الإسلام بأن، وهم يستشعرون بهذا اللزام، فلذلك تبعوا في دفع هذه التهمة عنهم.

يذكرون في كتبهم أنَّ ما نُثبته من الكلام النفسي يختلف عن العلم بكذا، وهو لا يختلف، إِذًا خالفوا أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة بقولهم الكلام النفسي، وحقيقة أنهم يثبتونه ولا يثبت، وليس بينه وبين الكلام النفسي فرق.

هذا الَّذِي يقوله... رقم اثنين.

ورقم ثلاثة: الكلام النفسي مرادف للعلم والإرادة.

المراد بصفة الكلام عندهم الكلام النفسي كما بَيَّنَّا، هم يرون أن الكلام الَّذِي نُثبته لله عَزَّ وَجَلَّ هي الكلام النفسي، وعَلَىٰ هذا نقول لهم: الَّذِي أثبتموه علمه لماذا تقولون من صفات الله الَّتِي نُثبته العلم والكلام؟ لا هو العلم، الكلام لم تُثبته.

يقولون أَيْضًا: كلام الله عَزَّ وَجَلَّ ليس من جنس الحروف والأصوات، وقد سبق أن فصلنا في النصوص الَّتِي ذكرها شيخ الإسلام في إثبات الصوت، نصوص النداء، والصوت ولم يذكر ما يتعلق

بالحروف، «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ» حرفًا من ماذا؟ من كتاب الله أليس فيه إثبات الحرف؟

وابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ ألف كتابًا مستقلًا: **الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم** طبعًا لا نُوافقه؛ لأن القرآن قديم، هذا مِمَّا دخل الحنابلة بشيء من الكلاميات، القرآن ليس قديم، مذهب أهل السُّنَّة أن القرآن ليس قديمًا؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ تكلم به حينما أراد أن يُوحيه للنبي ﷺ فكيف يكون قديمًا؟

أصل الصفة قديمة أزلية، ولذلك قلنا أن صفة الكلام ذاتية بالاعتبار وفعلية بالاعتبار، أما القرآن الَّذِي أوحاه للنبي ﷺ وَهٰذِه التوراة والإنجيل و و كيف يكون قديمًا؟ ليس قديمًا، إِلَّا أن الحرف نفي الحرف عن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ هذا خطأ، «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» كم صارت؟

الطالب:...

**الشيخ:** إِذًا نفي الحرف من كلام الله عَزَّ وَجَلَّ هذا مذهب من؟ مذهب الكلابية فَقَطْ، أما المعتزلة، فالكلام عندهم أصلًا هو اللَّفْظ، ولا نسيناه؟ الكلام عند المعتزلة هو اللَّفْظ، وعند الكلابية المعنى.

إِذًا نفي الصوت والحرف من كلام الله عَزَّ وَجَلَّ هذا أَيْضًا من المسائل الَّتِي خالفوا فيها مذهب أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

خامسًا: ما ذكرناه أن الكلام حقيقة في المعنى والمجاز في اللَّفْظ هذا أَيْضًا من المسائل الَّتِي خالفوا فيها مذهب أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

سادسًا: عدة الكلام النفسي، هم يرون أن الكلام الَّذِي يُثبتونه لله عَزَّ وَجَلَّ واحد لا يتعدد، فكيف تُفسر كثرة كُتب الله عَزَّ وَجَلَّ، هذا الإنجيل وَهذا التوراة وَهذا القرآن وصحف إبراهيم وصحف موسى كيف؟ قالوا: إذا عُبر عنه بالعربية فهو القرآن، وإذا عُبر عنه بالعبرية فهو التوراة، وإذا عُبر عنه بالسريانية فهو إنجيل.

وما تفعلون ما فيه من اختلاف؟ قالوا: هو واحد ولكن هذه الاختلافات اختلافات اعتبارية، هل التوراة الآن لو ترجمناها، وترجمنا القرآن، هل الأمور الَّتِي ذُكرت في القرآن هي الَّتِي ذُكرت في التوراة أليس هناك اختلاف؟ هل آية الكرسي هي سورة الإخلاص أليس هناك اختلاف؟ يَعْنِي مذهب ما أدري،

المهم لا يستلزم حلول الحوادث بذات الله عَزَّ وَجَلَّ، التزم كل خرافة حتى لا يستلزم حلول الحوادث بذات الله عَزَّ وَجَلَّ.

وإن لم يُحدث الكلام النفسي علام تفهم هذه الجزئية سيأخذ وقت، ستأخذ أيام حتى تفهم؛ لأنك ستستغرب هل هذا الَّذِي يقصدونه، هذا لا يمكن يا أخي، وستُفاجئ في الأخير أنهم يقصدون هذا الشيء الَّذِي كنت تستنكره.

الأمر الأخير: قولهم: أن القرآن حكاية من كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

هٰذِه أبرز المسائل الَّتِي فارقوا فيها أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فيما يتعلق بالكلام.

الأمر الأخير خطير جدًا الَّذِي نراه من الكلابية أنهم متفقون من المعتزلة في كون هذا القرآن مخلوقًا قولًا واحدًا لا يختلفون فيه؛ لأنهم يقولون هذا منزل، والكلام النفسي لا يتصور فيه التنزيل، وَهذا حروف وسور مرتب هذا الترتيب من أمارات الحدوث، وَهذا من حرف وصوت وَهذا من أمارات الحدوث، إِذًا هذا القرآن عنده مخلوق.

ما يُدندنون حوله تستغرب أنه في مقدمة...، وَهٰذِه كتبهم سيذكرون أن من بوارق تألف هذه الكتب الرد على المعتزلة؛ لأنهم لما قالوا: القرآن مخلوق... أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، يا أخي أنت معهم كيف أنت...؟ هذه الأمور الَّتِي تُوافقهم فيها حرفيًا.

إِذًا هذه بعض النقاط الَّتِي يُفارقون فيها مذهب أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فيما يتعلق بالقرآن.

وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلَائِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ:

الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ، كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

**الشرح:**

طَبْعًا هنا اختلف منهج شيخ الإسلام بعدما بدأ بالشرح؛ ذَكَرَ النصوص المُتَعَلِّقَة بأسمائه وصفاته ذكرها بالتفصيل، ثُمَّ ذَكَرَ يُفرد بعض المسائل الَّتِي فيها إشكال يُفردها بشيء من الشرح، وَأَيْضًا ما يتعلق بالقرآن هذا التفصيل الَّذِي ذكره هو الترخيص لما سبقت من النصوص، والآن سيذكر ما يتعلق بالرؤية، وبعدها سيذكر ما يتعلق بالبعثة.

وسُنلاحظ أنه يكتفي هنا بتلخيص الأدلة، ولا يذكرها إِلَّا ما أتى منها، لماذا؟ لأن المخالفين سيبدأون يقلون، في الرؤية سنظل مع القوم عراك، أَمَّا بَعْدُ الرؤية المتعلق بالمعاد سنجد أن الخلاف سيتقلص إلى...

هنا يقول شيخ الإسلام: وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلَائِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ ذَكَرَ هذه الأركان الأربعة في مسألة الرؤية؛ لأن الرؤية رؤية من؟ رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: أن الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ أن نُؤمن بأنه يراه المؤمنون يوم القيامة، وَأَيْضًا فَهذا مقتبل الإيمان بكتبه؛ لأنه ورد في القرآن، من يُؤمن بالقرآن لَا بُدَّ أن يُؤمن به، هنا شيخ الإسلام يرد على من؟ يرد على المعتزلة وعَلَىٰ الكلابية؛ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القيامة:٢٢] إِذًا لَا بُدَّ أن نُؤمن بالكتاب.

وَبِمَلَائِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ لأن الملائكة هم الَّذِينَ... والرسل هم الَّذِينَ تلقينا منهم هذا القرآن، كل ما أخذناه أخذناه منهم، الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلى هنا لا خلاف بين أهل السُّنَّة والكلابية الخلاف مع المعتزلة، المعتزلة يقولون: الله عَزَّ وَجَلَّ لا يُرى، لماذا يا معتزلة؟ يقولون: لأن الَّذِي يُرى لَا بُدَّ أن يُرى في جهة، وإذا أثبت له جهة، فَهذا يكون مثل الأجسام؛ لأن المكنونات لا تُرى والأشياء الَّتِي تُرى هي أجسامنا، هذا مذهب المعتزلة.

أما الكلابية، والأشاعرة والماتريدية كلهم يُؤمنون بأن الله عَزَّ وَجَلَّ يُرى، في ذلك الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة، إلى هنا الخلاف فَقَطْ مع من؟ مع المعتزلة.

عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ هنا يبدأ الخلاف مع الكلابية، عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ الله عَزَّ وَجَلَّ يُرى عيانًا، ويُرى بأبصارهم كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا إذا لم يكن هناك غيم لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ الرؤية إذا سألت الشيخ الكريم ما هي الرؤية؟ ماذا سيكون جوابه؟ أول شيء ستستغرب، الرؤية لا أحد يُسأل في تعريفها، أليس كذلك؟

إذا قلت ما هو تَعْرِيْف الرؤية ستستغرب، ستقول أكيد في شيء، المفروض الرؤية ما تحتاج إلى تَعْرِيْف، مع ذلك سنرى أن المتكلمين يتعبون في تَعْرِيْف الرؤية لماذا؟ لأن التَّعْرِيْف الواضح أن الرؤية تكون بالبصر، تكون بالأبصار، وَهذا لا يمكن يثبتونه، مع أنهم يُثبتون الرؤية، هؤلاء الكلابية.

ليسوا مثل المعتزلة، المعتزلة يقولون: لا يُرى وانتهى الأمر، ... مذهبهم أبعد، طيب مذهب من يُثبت الرؤية على ما فيه...، كل من أثبت شيئًا من السُّنَّة، ولو افترض في اثباته موقفه... وَهٰذِه المشكلة عند الكلابية، أنهم يَعْنِي عندهم غموض.

طيب أنت أثبت الرؤية ثُمَّ يدعي يتفلسف واحد الرؤية تحتاج إلى تَعْرِيْف، السمع يحتاج إلى تَعْرِيْف، البصر وهكذا، نستمع إلى أحدهم، طَبْعًا هذا أنا قلت لكم متن وشرح، يقول: ورؤية الله تَعَالَىٰ بالبصر رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ بالبصر المتن مختصر جدًا.

يقول الشارح: ورؤية الله تَعَالَىٰ بمعنى الانكشاف التام، وهو معنى إدراك الشيء كما هو بحاسة البصر، وذلك أن إذا نظرنا إلى البدر ثُمَّ غمضنا العين فلا خفاءه عنده وإن كان منكشفًا لنا في الحالين، لكن انكشاف الحال نظر إليه أتم وأكمل، ولنا بالنسبة إليه حِيْنَئِذٍ حالة مخصوص هي المسماة بالرؤية.

يقول: أنت إذا نظرت إلى البدر يحصل لك الانكشاف التام، ثُمَّ غمضت العين هل ستنسى شكله تتذكر شكله، ولكن هل سيكون الانكشاف مثل ما تنظر إليه بالبصر؟ سيختلف، يقول: المراد بالرؤية هذا الانكشاف الَّذِي نسبته أعلى من الانكشاف الَّذِي لو أغمضت عينك.

طيب على هذا التَّعْرِيْف هل يُخالف المعتزلة في إثبات الرؤية؟ نعم الرؤية عند المعتزلة العلم والانكشاف التام، إِذًا يرجع إلى المعتزلة، ماذا نقول له؟ إثباتك للرؤية مع كل هذا التفلسف أنت أقرب

إلى السُّنَّة من المعتزل الَّذِي لم يحترم النصوص من البداية وقال: لا أُثبتها، ولكن عليك أن تستسلم ولا تعبث بشبه المعتزلة الَّذِينَ يقولون.

لماذا هم يقولون؟ وَهذا التفلسف كله لماذا؟ لأنه لا يُثبت العلو، الَّذِي يُثبت العلو؛ يرى الله عَزَّ وَجَلَّ، هل يراه من يمينه أو شماله؟ يراه من فوقه: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل:٥٠] واضح يُثبت العلو، أليس كذلك؟ هذا لا يُثبت، فلذلك وقع في أمور شهيرة جدًا؛ لأجلها كان موضع السخرية من الجانبين: من أهل السُّنَّة ومن المعتزلة.

المعتزلة أنكروا الرؤية، وأهل السُّنَّة أثبتوا الرؤية بكل متطلباتها، هم يقولون: نحن نُثبت رؤيةً بلا جهة، رؤيةً تُثبتها بالعين؟ قالوا: لا، نحن نُثبت رؤية بمعنى الانكشاف العام والانكشاف التام، ونُثبتها بلا جهة.

كلهم أمور يَعْنِي لا يُفهم، ونحن نُثبتها رؤية بصرية، والمؤمنون يرون الله عَزَّ وَجَلَّ من فوقهم، ولا يرونه من أسفلهم ولا عن يمينهم ولا عن شمالهم؛ لأنه هو فوقهم، وهو عليٌّ عليهم طائل من خلقه، ليس مختلطًا بهم.

الأصول كلها مرتبطة بعضها ببعض، فإذا أخطأ شخص في أصل هذه جله إلى الخطأ في أصل آخر، وَهذا هو حال المبتدعة، إذا اتخذوا موقفًا في مسألة، هذه المسألة تُكلبشهم وتجعلهم ينحرفون في مسائل أخرى أَيْضًا، وَإِلَّا يُقال طيب وماذا تقول في كذا؟ هنا لو أثبتوا الرؤية يُقال لهم: أنتم أثبتم الرؤية الصحيحة، أثبتوا العلو! لا نُثبت العلو.

ماذا يقول شيخ الإسلام هنا؟

**الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** لو اكتفى بهذه الجملة... مثل ما يراه في كتب الأشاعرة في كتبهم، لا قَالَ: **عَيَانًا** فإذا لم يكتفي به **بِأَبْصَارِهِمْ** لم يكتفي به **كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ** وكما ذكرنا سابقًا أن تشبيه الرؤية هنا؛ تشبيه الرؤية بالرؤية وليست تشبيه المرئي بالمرئي.

**يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ** العرصات هو الميدان الَّذِي يجتمع فيه الخلائق للحساب، **ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ** ذَكَرَ هنا شيخ الإسلام ذَكَرَ رؤيتين:

- الناس يرون الله عَزَّ وَجَلَّ في عرصات القيامة، هذه الأولى.
- ثُمَّ يرون بعد دخول الجَنَّة.

فمن بعد دخول الجَنَّة من يراه؟ المؤمنون فَقَطْ، وَهذا لا إشكال فيه، أما من يرونه في عرصات القيامة، هذه من المسائل الَّتِي فيها خلاف بين أهل السُّنَّة، من الَّذِي يراه في عرصات القيامة؟ هل يراه المنافقون والكفار أَيْضًا؟ طيب المؤمنون يرونه؛ لأن رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ هي أعلى نعيم الجَنَّة، وفي عرصات القيامة وغيره يرونه، ولكن هل يراه المنافقون والكفار أَيْضًا هذه المسألة فيها خلاف بين أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة؟

وَهذا من الخلافات الَّتِي لا يسترسل تبادل الخلاف بين أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة لأجل خلاف في مذاهب:

مذهب الأكثرين: أن الكفار لا يرون ربهم؛ ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين:١٥] لا يرونه بحال، لا المظهر للكفر، ولا المسر له الَّذِي هو منافق، وَهذا قول أكثر العلماء المتأخرين، وعليه يدل عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد بن حنبل.

المذهب الْثَّانِي: أنه يراه أذهل التوحيد سواءً من المؤمنين أو من المنافقين، كل من أذهل التوحيد من هذه الأُمَّة فإنه يرونه، أَيْضًا غبرات من أهل الكتاب، أهل الكتاب الَّذِينَ أظهروا التوحيد في الفترة هم أَيْضًا يرونه في عرصات القيامة، ثُمَّ يحتجب الله عَزَّ وَجَلَّ عنهم فلا يرونه، وَهذا مذهب الإمام ابن خزيمة الَّذِي لُقب بإمام الأئمة مذهبه، وَأَيْضًا ذكره القاضي أبو يعلى متبنيًا له في شرحه لبعض الأحاديث.

الموقف الْثَّالِث: أن الكفار يرونه، ولكنهم يرونه رؤية التعنيف والتعذيب، وَهذا كاللص إذا رأى السلطان ثُمَّ يحتجب عليه ليعظم عذابه، وَهٰذِه الرؤية فيها تعذيب؛ ليشتد عذابه ولتزيد حسرته، وَهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه وهم كلهم منتسبون إلى الإمام أحمد، ومن المعرفين أَيْضًا الَّذِي قالوا بهذا القول أبو سهل التستري من أحد المعروفين، وأصحابه كلهم منتسبون إلى الإمام أحمد.

عَلَىٰ ذَكَرَ ابن سالم هناك فرقة اسمها السالمية، ولهم مذهب خاص بصفة الكلام، لهم مذهب خاص بين الكلابية وبين مذهب المعتزلة، فرقة اسمها السالمية، وهم أغلبهم محدثة، محدثون متأثرون.

الطالب: التستري.

**الشيخ:** لا هذا أبو الحسن بن سالم، وأبو سهل التستري غير، هم كلهم قالوا: بأن الكفار أَيْضًا يرونه رؤية تعنيف وتعذيب؛ لتزيد حسرتهم، على كل حال: ليست هذه المسألة مِمَّا تُوجب المخاطأة والمواجهة، وَهذا الخلاف كما قلت بين أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

ولكن لَا بُدَّ أن نتنبه إلى مسألة؛ إذا كنا نتحدث عن الرؤية ونحن نتحدث عن النيابة، بل نتحدث عن أعظم محنة ينالها المؤمنون يوم القيامة، فلذلك هذه الرؤية لا يدخل فيها هؤلاء، هذه المسألة نذكرها لما نُفصل رؤية العرصات، ورؤية بعد دخول المؤمنين الجَنَّة، عمومًا لما نتحدث عن الكفار ما يدخل هؤلاء الكفار والمنافقون فيها؛ لأن الرؤية الَّتِي نتحدث عنها هي الرؤية الَّتِي هي نعيم، ولكن في التفصيل كَمَا ذَكَرْت هناك خلاف بين أهل السُّنَّة.

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ: فَيُؤْمِنُونَ: بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ.

---

**الشرح:**

بدأ شيخ الإسلام الآن في الركن الأخير أو الركن قبل الأخير الَّذِي هو الإيمان بالبعث بعد الموت، الإيمان باليوم الآخر، وَهذا الركن مع أن ترتيبه هو الخَامِس في حديث جبريل، إِلَّا أنه في أغلب الآية يُذكر مع الركن اَلْأَوَّلُ: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٦٢]] هذا الركن في أغلب الآيات يُذكر مع الركن اَلْأَوَّلُ الَّذِي هو بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن الإيمان بهذين الركنين فيهما إيمان بالمبدأ هو الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ والمآل وهو النهاية.

أَيْضًا الإيمان ثوابه وجزائه والعصيان ثوابه وجزائه هذا كله يتبين في اليوم الآخر، ولذلك هذا الركن في أغلب الآيات يُذكر ما ذُكر هنا، ولكن نحن كما ذكرنا وكل من يُصنف الآخرة من أهل السُّنَّة يمشون على تقديم الحديث.

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ لم يقل هنا ومن الإيمان بالقيامة؛ لأن هناك فرق بين المصطلحين اليوم الآخر والقيامة بينهما؛ اليوم الآخر يدخل فيه الحياة البرزخية... ولذلك ما يتعلق بآداب القبر وفتنة القبر الآن سنبدأ يَعْنِي نقرأ فيه في الإيمان باليوم الآخر؛ لأنه يدخل فيه، أَيْضًا يقول علماء القيامة في نقاش القيامة الصغرى والموت والقيامة الكبرى وهي كما في الحديث: «مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ».

إِذًا إذا سُئلت هل الحياة البرزخية تدخل في الإيمان باليوم الآخر؟ الجواب نعم، الإيمان باليوم الآخر يشمل الموت ومقدمات الموت، وكل ما بعد الموت من الحياة البرزخية إلى قيام الساعة.

فَيُؤْمِنُونَ: بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ طَبْعًا من هنا كما قلت الخلاف... لن يكون خلاف، يؤمنون بهذا الأمر إيمانًا كما نُؤمن به إِلَّا أنهم يُخطئون في الله، طَبْعًا هذه الأمور هم يُسمونه السمعيات، وَهذا على التقسيم الَّذِي يُقسمون أصول العقيدة؛ أصول العقيدة يُقسمونها إلى ثلاث أقسام، الإلهيات، وهي أصول الإلهيات، أصول العقيدة يقولون تترب:

- قسم يُؤخذ من العقل فَقَطْ.
- وقسم يُؤخذ من النقل فَقَطْ.
- وقسم لك الخيار أن تأخذه من العقل والنقل.

أما القسم الَّذِي يُؤخذ من العقل فَقَطْ؛ فهي أصول الإلهيات؛ إثبات وجود الله عَزَّ وَجَلَّ إلى أن تُثبت له صفة الكلام، وأنه حي قادرٌ عليم إلى أن تُثبت له صفة الكلام إلى هنا يقولون: لا يجوز أن نأخذه من الكتاب وَالسُّنَّة هذا نأخذه من العقل، أنا لا أتحدث عن... أنا أتحدث عن الأشاعرة والماتريدية وهم على مذهبهم المتأخرون، إلى صفة الكلام نأخذه هم يقولون نأخذه من غير الكتاب وَالسُّنَّة.

السمعيات الَّتِي بدأت الآن الإيمان باليوم الآخر المآل الحشر كله يقولون: هذا نأخذه من السمع فَقَطْ من النصوص فَقَطْ.

وقسم نأخذه من السمع والنقل؛ وهو الرؤية ما بعد الرؤية نستدل فيه من الكتاب وَالسُّنَّة، ونستدل فيه من أَيْضًا بالعقل، هذا التقسيم الثلاثي عندهم.

التقسيم الثلاثي شو فيه؟ كيف أن القسم بينهم؟ شوف القسمة؟ يَعْنِي أصول العقائد ينفرد بها نقل أرسطو، أليس هذا جناية على المسلم؟

الطالب: في الأزهر يحفظون العقيدة كما تقول الآن إلهيات سمعيات، وَحَتَّىٰ أنهم عرفوا لنا الآن الإلهيات وعرفوا السمعيات وَحَتَّىٰ لازالت حتى الآن معلقة في آذننا، درسناه في أولى متوسط وأولى إعدادي، ولا زالت تُدرس.

**الشيخ:** أعوذ بالله، هذه لا زالت تُدرس الشيخ عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللهُ يَعْنِي هذا الرجل ما شاء الله كتبه تتميز بالصراحة رَحِمَهُ اللهُ دائمًا أدعوا له.

الطالب: لا يحبونه.

**الشيخ:** هو يحبه أهل السُّنَّة يكفيه حب أهل السُّنَّة، يقول في بعض كتبه، يقول: كنا في الأزهر نجلس على عبارةً عن النسفي، النسفي حتى أنا قرأت عليكم من النسفي عقائد النسفي، وَهٰذِه مقررة على الأزهر.

الطالب:...

**الشيخ:** هو يقول: النسفي بدأت بشارته، وهي...، **وحقائق الأشياء ثابتة، والعلم بها متحقق خلافًا للسُّوفسطائيَّة** هذه أول جملة للنسفي، النسفي تُوفي سنة خمسمائة وسبعة وثلاثين، وهو ماتريدي ومن أفاضل الماتريدين؛ لأنه رجل محب للحديث، وله كتب في الحديث من أبرزها: «**القند في ذكر علماء سمرقند**» هذا الكتاب طُبع منه جزء وهو كتاب جيد.

يذكر فيه الراوي وما روى من الأحاديث يذكرها بأسانيدها وهو كان مخطوط من القدماء، تُوفي سنة ٥٣٧ وهناك نسفي أشهد منه أبو المعين النسفي، وهناك نسفي متأخر أبو البركات النسفي تُوفي سنة ٧١٠ هذا صاحب مدارك التفسير، صاحب المدارك وصاحب الكتب في أصول الفقه، هذا النسفي المتأخر.

المهم هذا النسفي الَّذِي أتحدث عنه هذا من أفاضل الماتريدية، ولكن مؤلفه في علم الكلام ألفه أين... ورؤية الله هو ذَكَرَ البصر، والأشياء الفلسفية أليس ذلك.

النسفي يقول: **وحقائق الأشياء ثابتة، والعلم بها متحقق خلافًا للسُّوفسطائيَّة** يَعْنِي أول ما تبدأ العقيلة لَا بُدَّ أن تعقد أن كل ما تراه حقيقي، طيب من يُخالفك فيه؟ يقول: تُخالفني الطائف اسمه السوفط، يقول الشيخ عبد الرحمن: على ما نفهم هذه كنا نجلس على يقول على... على هذه الجملة؛ لأن هذه الجملة ليست هينة ترى.

حقائق الأشياء ما هي الحقائق؟ الأشياء، ما هي الأشياء؟ وهل المعدوم شيء أو لا؟ شيئية المعدوم ثابتة ماذا تعني بالثبوت، والعلم فيها متحقق ما هو العلم وأقسام العلم وَتَعْرِيُف العلم دقيق جدًا، أنا لما سألتك عن تَعْرِيْف الرؤية أليس هذا صعب؟ لأن توضيح الواضح من أصعب الأمور.

العلم إذا سألتك عن تَعْرِيْف العلم ستستغرب؛ لأن هذا واضح، إذا طلبت منك أنت تُؤلف لي العلم ستستغرب؛ لأن هذا من أوضح الواضحات، لا لَا بُدَّ أن تُعرف العلم، والعلم بها متحقق ماذا تعني بالتحقيق هنا؟ خلافًا للسُّوفسطائيَّة؛ السُّوفسطائيَّة ثلاث فرق، وهم قوم قبل أرسطو وقبل شيخه أفلاطون وقبل شيخه سقراط، السُّوفسطائيَّة كانوا في ذلك الوقت، وكانوا يرون أن الأمور نسبية.

أنا أدعي أن هذا حجر، وأنت تدعي أن هذا من الورق، الفيصل المناظرة، الحكم سينظر إليَّ...، الحكم أَيْضًا سيكون فاقدًا، هو لن ينظر إليه ويقول: يا جماعة لماذا تختلفون هذا...؟ لا لا، ينظر إليَّ

وإليك وَإِلَىٰ المناظرة سيحكم حسب المناظرة، وسيربح من كان لسنًا بينهما، هذه الصورة النسبية، هكذا يقولون.

عندنا شيخ الإسلام يقول: إثبات هذه الفرقة في بني آدم يكون هٰذَا... يَعْنِي فرقة من بني آدم ترى أن الأمور نسبية يكون هذا شيء معضل، على كل حال هذا متواترًا السُّوفسطائيَّة، نحن الآن في الأخير وذهبنا إلى القرن الرَّابع قبل الميلاد، شوف يا أخي؟

يا أخي أنتم في نعمة، بالذات أنا أتحدث عن الإخوة، عن أهلنا في... يَعْنِي نحن في بلادنا وفي البلاد كثير من المسلمين إلى الآن يعانون يَعْنِي المعاناة الشديدة، وَإِلَىٰ الآن مخلفات وثني اليونان، ومخلفات الروم والفرس ومخلفات الرومان واليونان إلى الآن تُدرس على أنها عقيدة.

وَإِلَّا بالله عليك أنت تدرس عقيدة، والعقيدة ما تتعلق بإثبات الله عَزَّ وَجَلَّ من أين بدأت؟ كما سمعت هذه الَّتِي تُدرس إلى من؟ نحن عندنا العقيدة النسفية هي المصحف، ولاحظ من الشروح والشروح منها الشروح، وهي عليها حواشي وما تنتهي، لو تُقارن بين تفاصيل القرآن من حيث الكثرة ومن حيث الحواشي والشروح على النسفية ستستغرب، هكذا العقيدة عند الماتريدية.

هنا في السمعيات هم يقولون:... الخطأ الَّذِي عند الكلابية في السمعيات خطأ في البداية بعد ذلك لا يُخالفوننا في شيء، الَّذِي يُخالف هم المعتزلة، هم يقولون: ستجدون في بداية السمعيات في كتبهم أن كل ما ورد في السمعيات يجب الإيمان به **لدليلين**:

- أولًا: لأن العقل يُقره ولا يستبعده.
- ثانيًا: لورود السمع به.

هذان الدليلين صحيحان، ولكن نحن نعتمد عليهم في الترتيب، نقول: لهم أنتم قلتم مقاصد العقيدة، وَهٰذِه ثلاثة أقسام، قلتم في السمعيات العقل لا دخل له، هنا قلتم لما بدأنا في السمعيات قلتم: نُؤمن بها؛ لأن العقل لا يُحيله، طيب إيش دخل العقل هنا؟ مِمَّا يدل على أن العقل لا زال يصول ويجول هنا أَيْضًا نستأذنه قبل أن ندخل الباب، ولأن السمع ورد به.

نحن نقول: لأن السمع ورد به أولًا، ولأن العقل لا يُحيله، لا يُحيله هنا ولا يُحيل هناك، الحرب مع العقل مصطنع، إِذًاْ بعد هذا الخطأ لن نجد عندهم شيء من الاعتراض في كل ما يذكره هنا شيخ الإسلام، والخلاف سيكون مع المعتزلة.

فَيُؤْمِنُونَ: بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَبِنَعِيمِهِ: فَأَمَّا الْفِتْنَةُ: فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّك؟ وَمَا دِينُك؟ وَمَنْ نَبِيُّك؟ فَـ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٢٧]، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: اللهُ رَبِّي، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي، وَأَمَّا الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: آه آه! لَا أَدْرِي؛ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَّةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانُ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ؛ لَصُعِقَ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ: إِمَّا نَعِيمٌ، وَإِمَّا عَذَابٌ، إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى.

---

**الشرح:**

هنا كما قلت بدأ شيخ الإسلام يُلخص الأحاديث وموارد الآيات، ولم يعد بحاجة إلى سرده في النصوص بكثرة؛ لأن المخالفين هنا قلة.

هنا ما ذكره: فَيُؤْمِنُونَ: بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ المراد بفتنة القبر هو الامتحان الَّذِي شرحه شيخ الإسلام هنا، أما الفتنة، فإن الناس يُفتنون في قبورهم، إِذًا الاختبار الَّذِي سيكون في القبر هذا يُسمى فتنة القبر حين يسأله الملكان، وقد تواترت الأحاديث عن النَّبِيّ ﷺ في هذه الفتنة.

---

والأحاديث في هذا كثيرة أطولها حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَيْضًا حديث أنس بن مالك وأبي هريرة، وهي عامة إِلَّا النبيين فيهم خلاف، وَأَيْضًا إِلَّا الأطفال فيهم أَيْضًا خلاف، يَعْنِي الَّذِينَ لا يكنون مكلفين، الَّذِينَ يموتون قبل التكليف كالصغير، وَأَيْضًا منهم المجنون اختلفوا فيهم على قولين:

☜ **القول الْأَوَّلُ**: أنهم يُمتحنون، وَهذا قول أكثر أهل السُّنَّة، وقليل منهم قول من يقول: إنهم من يُكلفون يوم القيامة.

☜ **القول الْثَّانِي**: أنهم لا يُمتحنون في قبورهم؛ لأنهم أصلًا ليسوا مكلفين.

وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَبِنَعِيمِهِ عذاب القبر ونعيمه أَيْضًا ورد التفصيل فيه في هذه الأحاديث الَّتِي أشرت إليها حديث البراء بن عازب وحديث أنس وحديث أبي هريرة وغيرهم، والعذاب والنعيم الَّذِي يكون هناك يكون على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السُّنَّة، يكون على النفس الروح والبدن جميعًا باتفاق أهل السُّنَّة، والأحاديث في هذا كثيرة وهي طويلة.

فَأَمَّا الْفِتْنَةُ: فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّك؟ وَمَا دِينُك؟ وَمَنْ نَبِيُّك؟ فَـ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] نسأل الله أن نكون منهم، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: اللهُ رَبِّي، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي، وَأَمَّا الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: آه آه! لَا أَدْرِي؛ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمَرْزَبَّةٍ -وهي المطرقة الكبيرة- مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانُ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ؛ لَصُعِقَ. نسأل الله أن يُنجينا من هذه الفتن كلها، وَالنَّبِيّ ﷺ وصف حال الميت في قبره، وسؤال المنكر والنكير له، والأحاديث في هذه كثيرة كَمَا ذَكَرْت.

وفي هذه الأحاديث فيها بيان أن الروح يُعرج بها إلى السماء الدنيا، ثُمَّ تُعاد إلى البدن فتُسأل وهي البدن، وَهٰذِه الأمور ليست فيها خلاف بين أهل السُّنَّة وبين الكلابية، والروح ورد عنه أَيْضًا أن روح الميت في قبره تأخذ وتجلس وتسأل وتُنعم وتُعذب وتصيح، وذلك كله وهي متصلة بالبدن.

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ: إِمَّا نَعِيمٌ، وَإِمَّا عَذَابٌ -عذاب القبر- إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى وَهذا العذاب طَبْعًا النعيم دائم، وَأَمَّا العذاب فهو دائم بالنسبة للبعض، ومؤقت بالنسبة للبعض كما ورد في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر:٤٦] إِذًا هذا عذاب دائم، ولكن بعض العصاة الَّذِي يُعذبون فترة ثُمَّ لا يُعذبون، يعذبون حسب ذنوبهم، فَقَطْ يُعذبون فترة ثُمَّ لا يُعذبون.

إِذًا لا يلزم أن يكون الجميع من بُدأ بعذابه يستمر عذابه إلى يوم القيامة،... الَّذِينَ خفت جرائمه إن يُحسب بحسب جرمه وعصيانه ثُمَّ يُخفف عنه.

فَتُعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَى الْأَجْسَادِ، فَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى بِهَا فِي كِتَابِهِ، عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ، فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ.

---

**الشرح:**

عود الأرواح إلى الأجساد يكون بعد نفخة القيامة، والقرآن ذَكَرَ وأخبر عن ثلاث نفخات:

- نفخة الفزع؛ ذكرها في سورة النمل في قوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [النمل:٨٧] هذه نفخة الفزع.
- ونفخة الصعق.
- ونفخة القيامة؛ كلتاهما ذُكرت في قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وهذِه نفخة الصعق ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر:٦٨] بعد نفخة القيام يقومون، وتعود الأرواح إلى الأجساد ويقومون، فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا حفاةً عراةً يَعْنِي معروف، غُرلًا جمع أغرل وهو الأقلف الَّذِي لم يُختن.

يُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ يَعْنِي يصل إلى أفواههم، يُلجمهم أي أنه يصل إلى أفواههم.

وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَيُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ؛ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣] وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ.

---

**الشرح:**

هٰذِه نصب الموازين ذَكَرَ طَبْعًا اختلف فيها العلماء، أو حصل خلاف بين أهل السُّنَّة أو عن هل هناك... أخرى أَيْضًا؟ الموازين يذكرون أن كل عمل، وكل صنف من العمل له ميزان خاص؛ لذلك جُمعت هنا: تُنْصَبُ الْمَوَازِينُ مثلًا: الصلاة له ميزان، الزَّكَاة له ميزان، وهكذا.

وأهل البدع وخاصة المعتزلة لا يُثبتون الموازين، هم يقولون: الأعمال لا تُوزن لماذا؟ لأنها أعراض، والأعراض لا تُوزن، هكذا يقولون، شوف الآن الصوت يُوزن، الصوت لما يُسجل يُوزن بأنه كذا، وكل شيء من الأعراض الآن تُوزن، يَعْنِي ما استبعده المعتزلة عقلًا كله نراه الآن عيانًا، الأعراض هذه الَّتِي هم أنكروا مع إخبار رب العالمين بها، نراها تُوزن، يقولون: الأعراض لا تُوزن، كلها تُوزن الآن.

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ صحائف الأعمال عُبر عنها هنا بأنها تُنشر؛ لأنها تُطوى مع الموت، كل شخص ديوانه مستقل وعند الموت يُطوى ثُمَّ ينشر في ذلك الوقت.

فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ [الإسراء: ١٣].

---

**الشرح:**

طائره عُبر عنه بطائر؛ لأنها تطير، يَعْنِي الطائر هو ما طار من علمه من خير أو شر، في عنقه؛ لأنه يُلازم صاحبه لزوم القلادة للعنق، ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ لأنه يُلازم صاحبه لزوم القلادة للعنق.

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

---

في مثل هذا الموقف ونحن هناك في مثل هذا الموقف العسير، أن إذا تدبرنا كثيرًا من الأحاديث، واستهانتنا بها شيء عجيب، يَعْنِي يقول النَّبِيّ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» شوف الفرق، وَهذا الَّذِي نُقصر فيه، هناك ناس يبحثون عن مثقال ذرة؛ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

يَعْنِي لَا بُدَّ نهتم أَيْضًا بهذا الجانب؛ لأن كل ما تُقدمه ستحتاج إليه هناك في تلك الموازين، تصور أن الميزان بدأ يترجح، ولأجل شيءٍ بسيط صارت كفة المعاصي هي، تصور كم ستكون حسرتك؛ لذلك لا تستهين بأي عمل ولو كان.

أنت الآن ماشي في الطريق تجد شخص ينتظر السيارة، يا أخي إيش يُكلف؟ خذه ووصله إلى أقل شيء في الطريق الَّذِي... كثير من الناس ما يدري بهذا النعمة الَّتِي عنده، قد يدعوا هذا الشخص لك، ويكون تأتيك الحسنات وأنت نائم.

وَيُحَاسِبُ اللهُ الْخَلْقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

**الشرح:**

هنا شيخ الإسلام ذَكَرَ قسمين من المحاسبة، أو قسمين من الحساب:

**حساب خاص بالمؤمن**، وَهذا سيكون فيه تقرير المؤمن بذنوبه، يطلب منه يعرض عليه حسناته، وذنوبه ويقول له: أليس قد فعلت في كذا وكذا هذا الفعل، وسيقرن يُقررن بذنوبه.

ثُمَّ يلطف به ويستر عليه ويغفره ويقول له: غفرته لك كما سترته في الدنيا، هذا هو معنى فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ هذا بالنسبة إلى المؤمن.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ فَإِنَّهُمْ لَا حَسَنَات لَهُمْ.

---

**الشرح:**

هم سيُحاسبون، ولكن ما الفرق بين محاسبتهم وبين محاسبة المؤمنين؟ أن لا يُحاسبون محاسبة مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ فَإِنَّهُمْ لَا حَسَنَات لا حسناتَ ولا حسناتِ؟

الطالب: بالكسر.

**الشيخ:** وعندكم؟

الطالب: بالفتح.

**الشيخ:** نعم.

الطالب:...

**الشيخ:** بالكسر، وَهذا هو الأفضل أظن؛ لأن علامة هذا في جمع العلامة المؤنث السالم الفتح.

فَإِنَّهُمْ لَا حَسَنَات لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، وَتُحْصَى فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا، وَيُجْزَوْنَ بِهَا.

---

**الشرح:**

فمن الحساب، الحساب أَيْضًا على قسمين:

- منه العرض.
- ومنه المناقشة.

العرض؛ هو الحساب اليسير، والمناقشة؛ هو الحساب العسير .

في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ».

إِذًا عرفنا من الحديث الحساب عَلَى قسمين:

- حساب يسير؛ الَّذِي نُسميه العرض.

➢ وحساب عسير؛ الَّذِي نُسميه المناقشة.

وَفِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ: الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ؛ مَاؤُهُ: أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، طُولُهُ: شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ: شَهْرٌ، وآنِيَتُهُ: عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

---

**الشرح:**

هذا ما يتعلق بالحوض، وَهذا مأخوذ أَيْضًا من قوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر:١] ، والكوثر المراد به: الخير الكثير الَّذِي أتاه الله عَزَّ وَجَلَّ في الدنيا مِمَّا أعطاه في الدنيا الهدى والنصر والتعييد وقرة العين وشرح الصدر إلى آخره، هذا كله يدخل في الكوثر، ومنه أَيْضًا ما أعطاه في الآخرة من الوسيلة والمقام المحمود، وَأَيْضًا الحوض العظيم في موقف القيامة، هذا كله يدخل في الكوثر.

والأوصاف الَّتِي ذكرها شيخ الإسلام هنا للحوض طَبْعًا هذا ملخص لما ورد في الأحاديث يقول النَّبِيّ ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا» أخرجه الشيخان.

وفي صحيح مسلم من حديث ثوبان وأبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في وصف الحوض: قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»، وفي رواية أبي ذره: «عَرْضُه مِثْلُ طُولِهِ»، إِذًا ما ذكره شيخ الإسلام هنا تلخيص لما ورد في هذه الأحاديث.

نكتفي بهذا القدر، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ على نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

## الأسئلة:

الطالب: يقول الله تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[القلم: ٤٢]، هل لله ساق؟

**الشيخ:** هذه الآية ليست من آيات السَّمٰوات أَيْضًا.

الطالب: ماذا يُقصد بالساقين؟

**الشيخ:** الشدة، طَبْعًا هذا ليس من التأويل، وَهذا يلغي ما هو التأويل؟ هم يقولون: أنتم أولتم، لا نحن ما أولنا، التأويل إذا كان كَمَا قُلْنَا إذا كان بيانًا للنفس حسب السياق والسباق هذا يكون بيانًا وتفسيرًا للبلاغة، أما إذا كان صرف المعنى عن ظاهره، هذا تأويل.

مثلًا: أنا الآن لو ورد كلمة الساق لو وردت سأثبتها، يَعْنِي ما عندي إشكال في إثباتها، فلا أحتاج إلى تأويل؛ حتى لا يقول لي أنت أولت، أنا ما أحتاج إلى تأويل؛ لأنه لو ورد كنت أثبته، ولكن أصلًا معنى الكلام عن الشدة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصلاة والسلام على خير البشر وخاتم الأنبياء والمرسلين.

اللهم اغفر لشيخنا ولوالديه وللحاضرين.

قال شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى رحمة واسعة في العقيدة الواسطية:

**وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ؛ وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الْإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وُقِفُوا .**

---

**الشرح:**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

ثم بعد؛ فإن خير الهدي في كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثُمَّ أما بعد.

ما زلنا مع الشيخ ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في بيان باب ما يكون في يوم القيامة بعد البعث مما يكون في ذلك اليوم العظيم، ومما يجب أن نكمل به الصراط وما جاء من الصراط، قال: **وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ؛ وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ**، هذا هو الصراط الحسي يتفاوت الناس في المرور عليه بقدر تفاوتهم في الالتزام بصراط الله عَزَّ وَجَلَّ المعنوي.

فمن ثبت على الصراط المستقيم وهو الإسلام ثبت على الصراط الحسي المنصوب على متن جهنم، ومن زل على الصراط زل هناك أيضًا عن الصراط الحسي، ثم بين مقتبس من الأحاديث الواردة فيه «**فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ**» في سرعته، «**وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ**

يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ»، الفرس المراد به الجيد، «وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الْإِبِلِ» المراد به الركوض، «وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا» أي يركض ركضًا، «وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا»، أي يمشي على مقامته بدل الرجلين، «وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ» الأولون كلهم أصناف المؤمنون الذين يتجاوزون ويمرون إلى الجنة، إلا أنهم يتفاوتون في سرعتهم حسب تفاوتهم في الأعمال.

أما هؤلاء: «وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ» هؤلاء الذين لا يدخلون الجنة في البداية أو ذلك الوقت، فإن الجسر ملقى عليه كلاليب جمع كَلوب وهي حديدة معطوفة الرأس «تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ»، هذا كلمة كلاب الذي تردد اسمه كثيرًا، هذا سمي ابن كلاب لفصاحته كأنَّه يجذب الناس بالكلاليب سُمِّي بفصاحته «فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وَهٰذِه المسألة كما ذكرت سابقًا في المسائل المتعلقة بالسمعيات لم يخالف فيه أحد من الكلابية والماتريدية الذين خالفوا فيها بعض المعتزلة، وأشهر من خالف فيها القاضي ابن الجبار وبعض أصحابه قالوا: المراد بالصراط طريق الجنة المشار إليه في قوله: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ ﴾ [محمد:٥] ، أو طريق النار المشار إليه في قوله سبحانه: ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣ ﴾ [الصافات:٢٣]، هذا كله من ضلالهم في هذا الباب.

والمرور على الصراط؛ فهو الورود الذي يشير إليه في قوله سبحانه: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ﴾ [مريم:٧١] وهذا المرور لا يطلق عليه اسم الدخول الذي يسلب به الصراط وينفى المستقيم هذا المرور؛ لأن المرور على الصراط كما ذكرنا المؤمنون بأصنافهم يمرونه يتجاوزونه إلا من كُتب عليه أن يدخل النار من أول وهلة أو مؤقتًا، أما الكفار فيخطفون فيلقون فيها.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؛ فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

---

**الشرح:**

هذه القنطرة التي ذكرها شيخ الإسلام هنا، هذه قيل أنها طرف الصراط المذكور سابقًا مما يلي الجنة، طرفه مما يلي الجنة، وقيل أن هي صراط آخر خاص بالمؤمنين والله أعلم، إذًا هذا ورد في الصحيح، أنه إذا عبر أهل الجنة الجسر وقف على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، وكما الواضح كما قيل في التهذيب يقال لهم طبيتم فادخلوها خالدين.

وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ: مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأُمَمِ: أُمَّتُهُ ﷺ.

**الشرح:**

هذا كما ورد في الحديث، أن النبي ﷺ قال: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ»، رواه مسلم.

وهذا من فضائله ﷺ غنيمة خص به دون الجميع دون الأنبياء ودون أمته؛ لأن خصائصه ﷺ على قسمين:

⇦ خصائص خص بها دون أمته.

⇦ وخصائص خص بها دون الجميع الأنبياء وأمته وغيرهم، هذا من خصائصه اختص بها دون الجميع.

إذًا بعدما يصلون إلى باب الجنة لا يدخلونها هكذا مباشرة، بل يستفتح النبي ﷺ ويفتح له، هذا أيضًا كما قلنا من المقامات التي اختص بها النبي ﷺ.

وَلَهُ ﷺ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ: أَمَّا الشَّفَاعَةُ الْأُولَى: فَيُشَفَّعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الْأَنْبِيَاءُ - آدَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ - الشَّفَاعَةَ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ ﷺ .

---

**الشرح:**

وهذا هو المقام المحمود التي اختص به نبينا محمد ﷺ، وتأخر الأنبياء عن الشفاعة لم يكن لنقص في درجاتهم عما كانوا عليه، بل لما علموه من عظمة المقام المحمود الذي يستدعي مغفر الله للعبد وكمال عبودية العبد لله، وما اختص الله به من غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولهذا قال آخرهم وهو المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: اذهب إلى محمد عبدًا، المفروض يكون عَبدٍ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ذكر هذه الجملة.

هذه هي الشفاعة الأولى، وشفاعات النبي ﷺ المذكورة هنا في هذا الكتاب خمسة، وأكثر من فسّر فيها ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ في شرح العقيدة الطحاوية، هذه هي الشفاعة الأولى، وهي المقام المحمود.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

---

**الشرح:**

وهذه الشفاعة هي التي ذكرها في قوله: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ: مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأُمَمِ: أُمَّتُهُ ﷺ، الذي ذُكر هناك هو هذه الشفاعة، يذهب إلى هناك فيشفع بعد أنَ يشفع لأهل الموقف، وينصرف الناس أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار يذهب ويشفع لأهل الجنة شفاعة خاصة، أن يدخلوها، هذه هي الشفاعة الثانية، وهاتان الشفاعتان خاصتان بالنبي ﷺ.

ومن الشفاعات الخاصة به ﷺ شفاعته في عمه أبي طالب أيضًا هذه الشافعة خاصة به يشفع له بسبب نصرته ومعاونته، وشفاعته تنفعه في تخفيف العذاب عنه لا في إسقاط العذاب بالكلية.

في صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اَللهُ عَنْه أنه قَالَ، قلت يا رسول الله: هل نفعت أبا طالب بشيء؟ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «نعم، هو في ضَحضاحٍ، ولولا أنا لكان في الدَّرْكِ الأسفَلِ منَ النارِ» هذه الشفاعات الثلاث خاصة بالنبي ﷺ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، يَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعَ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا.

---

**الشرح:**

هذه الشفاعة ليست خاصة به فهي كما ذكر شيخ الإسلام: لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، يَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعَ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا، وهذه هي الشفاعة التي خالف فيها الخوارج والمعتزلة؛ لأن الخوارج والمعتزلة كما صدق من مذهبهم يرون أنَّ مُرتكب الكبيرة صاحب الكبيرة خالد مخلد في النار لا تنفعه شفاعة الشافعين، يعدَّونهم قاطبة.

وهذه الشفاعة يثبتها عن السنة وَالْجَمَاعَة، وهم متفقون على إثباتها، والأدلة فيها كثيرة جدًا، ولكن لا يستفيد منها إلا أهل التوحيد، حتى أهل المعاصي لا يستفيدوا منها إلا أهل التوحيد، والخوارج والمعتزلة ينكرون هذه الشفاعة، أمَّا الشفاعة الأولى فيثبتونها، وسبق تخلص لنا مما تقدم خمس شفاعات:

- **الشفاعة الأولى**: المقام المحمود، لما يطلب منه الخلق في أن يقضي الله بينهم.
- **الشفاعة الثانية**: لما يطلبون منه أن يشفع لهم لدخول الجنة.
- **الشفاعة الثالثة**: شفاعته في أهل الكبائر من أمته.
- **الرابعة**: شفاعته في بعض من يستحق النار ألا يدخلها.
- **الخامسة**: شفاعته في بعض من دخل النار أن يخرج منها.
- **والشفاعة السادسة** التي لم تذكر هنا: شفاعته لأهل الطاعة المستحقين للثواب في رفع درجاتهم، وكما ذكرت فصَّل فيها ابن أبي العز رَحِمَهُ اللهُ في شرح العقيدة الطحاوية.

وَيُخْرِجُ اللهُ تَعَالَى مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ، بَلْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا، فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.

---

**الشرح:**

بعد أن يشفع الشافعين وتنتهي شفاعتهم، وينتهي من يشفعون كلهم هنا وَيُخْرِجُ اللهُ تَعَالَى مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ، بَلْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، كما في الحديث النبي ﷺ فيه: «فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبقِ إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممٍ فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة».

هؤلاء هم المؤمنون الذين لم يعملوا خيرًا قط، وإيمانهم هذا من أعمال، المراد بالعمل هن بعض الإيمان، والإيمان كما عرفنا في مذهب أهل السنة والجماعة أيضًا يتضمن نفس الأعمال أقلها أعمال القلوب، إذًا لا يبقى في النار من في قلبه ذرة من إيمان، الأخير لا يبقى في النار من في قلبه ذرة من إيمان، بعضهم يخرجون بشفاعة النبي ﷺ، وبعضهم يخرجون بشفاعة الصديقين والشهداء، بعضهم يخرجون بشفاعة أخرى، من بقي منهم يخرجهم الله عَزَّ وَجَلَّ بفضله ورحمته ولم يبق في النار من في قلبه ذرة من إيمان.

وَأَصْنَافُ مَا تَتَضَمَّنُهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ مِنَ: الْحِسَابِ، وَالْعِقَابِ وَالثَّوَابِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي: الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالْآثَارَةِ مِنَ الْعِلْمِ؛ الْمَأْثُورَةِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ؛ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ.

---

**الشرح:**

في الأخير أشار إلى من المؤمنون باليوم الآخر، الإيمانُ بكل ما أخبر به النَّبي ﷺ مما يكون بعد الموت، ثم عطف عليه فيؤمنون بفتنة القبر وعذاب القبر، وعطف عليه ما ذكر، في الأخير قال: وَأَصْنَافُ، معطوف على هذه.

وَأَصْنَافُ، كأنَّه يقول الإيمان باليوم الآخر الإيمان بهذه الأصناف، وأصنافُ وإذا كانت وأصنافِ أفضل؛ لأن الإيمانُ بأصنافِ يكون أحسن، والتشكيل أظنُّ هذا يرجع إلى المُشَّكل يعني لا شك.

هذه ليست نصوص، يعني حتى نقلد فيها، وأظن لو قيل أصنافِ أفضل؛ لأن هكذا يكون، هنا لإيمان باليوم الآخر الإيمانُ بأصنافِ مَا تَتَضَمَّنُهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ مِنَ: الْحِسَابِ، وَالْعِقَابِ وَالثَّوَابِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي: الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، التوراة والإنجيل والقرآن كلها.

وَالْآثَارَةِ مِنَ الْعِلْمِ؛ الْمَأْثُورَةِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ؛ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، نحن ما نحتاج إلى كتب الأنبياء السابقة، لأن عندنا في الكتاب والسنة ما يكفي ويشفي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ، أمَّا من لم يطلبه منهما، فلن يجد فيهما ما يشفيه؛ لأن شفاء هؤلاء لا يكون إلا في أقوال فلان أو عِلّان.

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، إلى هنا كان الحديث عن الإيمان باليوم الآخر، وَهذا هو الركن الخامس، الآن بدأ في الركن الأخير الذي هو الإيمان بالقدر.

وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ: «بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ، كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

فَالدَّرَجَةُ الْأُولَى: الْإِيمَانُ: بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ: جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ، مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ.

ثُمَّ كَتَبَ اللهُ تَعَالَى فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ، فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ؛ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ! قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتْ الْأَقْلَامُ وَطُوِيَتْ الصُّحُفُ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج:٧٠]، وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد:٢٢].

وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ، فَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ: اكْتُبْ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَهَذَا الْقَدَرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ «الْقَدَرِيَّةِ» قَدِيمًا، وَمُنْكِرُوهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ.

---

**الشرح:**

هذا هو اللوح المحفوظ من أركان الإيمان وهو، الإيمان بالقدر خيره وشره، بما أنَّه بدأ استأنف الحديث عن ركن مستقل، فبدأه بقوله: وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ، هذا موجود في جميع نسخ عن السُّنَّة وَالْجَمَاعَة بالقدر خيره وشره، شيخ الإسلام يذّكرنا بهذه الأوصاف مع كل القول، وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ، ليذكرنا بأننا لا زلنا في عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة وهم الفرقة الناجية، يؤمنون أيضًا بالقدر خيره وشره، القدر، القضاء والقدر الآن في مصطلح العقيدة هذا الركن يسمى الإيمان بالقضاء والقدر، وقد اختلفوا في التفريق بينهما على أقوال كلها متقاربة، الذي ورد في الكتاب وَالسُّنَّة للإشارة إلى هذا الركن هو القدر، هذا الَّذِي ورد في الكتاب، وَالسُّنَّة أكثر.

لكن كمصطلح الآن يُقال القضاء والقدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩]، وكما في الحديث: «وأن تؤمن بالقدرِ خيره وشره»، حديث عمر رَضِيَ اَللهُ عَنْه، وحديث أبي هريرة حديث جليل، والقدر يُراد به التكليف، وتعريفه إذا عَرفنا الإيمان بالقضاء والقدر، يعني إحنا نكون قد عرّفناه، مثلًا الإيمان بعلم الله القديم وكتابته، مشيئته النافذة الكاملة وخلقه هذا هو التقدير.

وممكن أن يُقال أيضًا كما ذكر شيخ الإسلام، أنَّ القدر، أو قدر الله عَزَّ وَجَلَّ هو حُكمه القويم، أيضًا يمكن أن يُقال كما قَالَ الإمام أحمد، القدر قدرة الله.

وهذا الركن ذكر شيخ الإسلام أنَّ له مرتبتين في كل مرتبة ركنان، هو على درجتين في كل درجة شيئان:

**الدرجة الأولى**: الإيمان بالعلم والكتابة، الدرجة الأولى الإيمان بالله تعالى بأنه عَلم من الخلق، علم هذا بعلمه القديم الذي هو مُوصوفٌ به أزلًا وأبدًا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، هذا هو الركن اَلْأَوَّلُ من أركان الإيمان بالقضاء والقدر، ونلخصه بالقول، الإيمان بعلم الله الشامل المحيط هذا الركن الأول.

الركن الْثَّانِي: الكتابة وأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، ثُمَّ ذكر هذا الحديث، أول ما خلق الله القلم، الصحيح والله أعلم أولَ؛ لأن إذا قلت أولُ فهذا يكون نصًا في أنَّ القلم أول المخلوقات، أول ما خلق الله القلم يكون نصًا أن القلم أول المخلوقات.

وهناك خلاف في أول المخلوقات، هل هو القلم؟ أو هل هو العرش؟ فالصحيح والله أعلم أنه أولَ، أولَ ما خلق الله القلم إذا قلنا أولَ فليس فيه تعرض لبيان أوليته من حيث الخلق، فيه بيان فقط أن «أولَ ما خلق الله القلم قال له اكتب»، فيه بيان أولية الكتابة، وليس فيه بيان أولية خلق القلم.

«أولَ ما خلق الله القلم قال له اكتب، قال ما اكتب، قال اكتب ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة»، إذًا الكتابة نعني بها كتابة الله لكل شيئًا في اللوح المحفوظ، هذه الدرجة الثانية، فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، كل ما أصاب الإنسان هذا مكتوب عليه، لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتْ الْأَقْلَامُ وَطُوِيَتْ الصُّحُفُ.

كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج:٧٠]، وَقَالَ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد:٢٢].

إذًا المرتبة الأولى، أو الدرجة الأولى تتضمن مرتبتين:

**المرتبة الأولى**: العلم، الإيمان بعلم الله الشامل المحيط.

**المرتبة الثانية**: الإيمان بكتابة الله لمقادير الأشياء قبل كونها، وَهذا التقدير وَهٰذِه الدرجة التي تتضمن درجتين، العلم والكتابة، هذا التقدير يكون في مواضع جملة وتفصيلًا، جملة هذه الكتابة القديمة التي هي قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما في الحديث، الحديث في صحيح مسلم.

عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «**قدرَّ الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»، والكتابة جملة هذا في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، أما التفصيل فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، هذا غير الإجمال.

أما التفصيل؛ **فَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ**، كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْه الذي قال فيه، أخبرنا الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثُمَّ يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلماتٍ: بكَتْبِ رزقه وأجله وعمله، وشقي أو سعيدٌ**»، إذًا هذا مضمون الحديث وليس لفظ الحديث.

فهذا القدر الذي فيه العلم والكتابة **كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ «الْقَدَرِيَّةِ» قَدِيمًا، وَمُنْكِرُوهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ**، الذين نشأوا في أواخر عهد الصحابة، وإمامهم الجهني، معبد الجهني كما في أول الحديث في صحيح مسلم، قَالَ: فإذا لَقِيتَ أُولَئِكَ فأَخْبِرْهُمْ أنِّي بَرِيءٌ منهمْ، وأنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، طبعًا قبل أن يذكر التفسير قَالَ: لا ألوم عليكم، وَهذا هو المنهج الصحيح، فيه التحذير من البدع، إذا سمعت عن بدع واضحة، يعني لابد أن تنصح الجميع.

يعني لا توحي بأنك معها، كن واضحًا في رد البدع، فلذلك بدأ ابن عمر رَضِيَ اَللهُ عَنْه بالتحذير بقوله: فإذا لَقِيتَ أُولَئِكَ فأخْبِرْهُمْ أنِّي بَرِيءٌ منهمْ، وأنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، ثم قال: والذي يَحْلِفُ به عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ لو أنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، وذكر حديث أبيه الذي هو حديث جبريل الذي فيه الإيمان بالقدر خيره وشره، هذا الحديث الطويل جاء فيه به في هذه المناسبة.

القصد هنا؛ أن يكون تحذيرك واضح حتى لا يظن المبُتدع أنك في خلال نصيحته، في خلال كلمة توجيهه أنك تحمل له شيئًا، لا، كن واضحًا في رد البدعة، كما قال ابن عمر رَضِيَ اَللهُ عَنْه، واضحًا في رد البدع والتبريء منها، إذًا هذا الذين ينكرون الكتابة والعلم كما ذكر شيخ الإسلام هم اليوم قليل، وفي عصرنا الحاضر ما أظن أنَّ أحدًا ممن ينتسب إلى الإسلام ينكر العِلم والكتابة واللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَهُيَ: مَشِيئَةُ اللهِ تَعَالَى النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ.

وَهُوَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ.

فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، وَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ.

وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ، وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي وَالصَّائِمُ، وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَإِرَادَةٌ، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ، يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ «الْقَدَرِيَّةِ»، الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النبي ﷺ: «مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ»، وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ، حَتَّى يَسْلُبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ؛ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

---

**الشرح:**

يقول: في الحاشية في جميع النسخ المخطوطة والمطبوعة هل في اختلاف في النسخ، إشارة إلى اختلاف؟ لا، يقول في جميع النسخ المخطوطة والمطبوعة أن النبي ﷺ، لكن في الأصل شدد عليها شيخ الإسلام ووضع مكانها كلمة، الغالب أنها السلف؛ لأن الكلمة ليست واضحة، وقد تكون الشافعي.

لكن الأرجح أنها السلف لسببين:

اَلْأَوَّلُ: لأنها عقلت في نفسها على السلف فيما ظهر لي.

وَالثَّانِي: أن شيخ الإسلام نسب هذا القول إلى السلف، فَقَالَ فيه: الرد على المنطقيين، ولهذا قَالَ السلف القدرية مجوس هذه الأمة، كما أنه رَحِمَهُ اللهُ قد ذَكَرَ في مجموع الفتاوى أنَّ طائفةً من أئمة الحديث.

الطالب: نوع الحديث الوارد؟

**الشيخ:** الحديث ضعيف وهذا له وجه، قد يكون شيخ الإسلام شطبه لضعف الحديث، والحديث ضعيف.

ولكن السلف يعني كلهم على مدلول هذا الحديث، وأنهم مجوس هذه الأمة؛ لأنهم يشبهون المجوس في إنكارهم شيء من القدر كما أشار إليه، على كل حال يُرجع إلى الأصل الذي نسميه الأصل، كيف في الحديث هٰذَا؟ قد يكون شيخ الإسلام يرّجح ضعّف هذا الحديث، في هاتين الدرجتين، أو في الدرجة الثانية التي تتضمن الدرجة الثالثة والرابعة فيها الإيمان بمشيئة الله النافذة الشاملة، وقدرته الشاملة، والإيمان بعموم الخلق.

في المشيئة لَا بُدَّ أن نؤمن أن مشيئة الله نافذة وقدرته شاملة: وأنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ، إرادة كونية وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ.

**فمن المعدومات أي معدوم إذا أراد الله عَزَّ وَجَلَّ أن يوجده، فإنه على كل شيء قدير، إذًا هذه المعدومات لماذا ذكرها؟ ليعَّم الكلام؛ لأن بعضهم يقولون بشيئية المعدوم، يقولون: أنَّ المعدوم شيء، على القول بأن المعدوم ليس بشيء، المعدوم ليس بالمعدوم على القول بشيئيته فالله عَزَّ وَجَلَّ على كل شيء قدير لا استثناء في هذا.**

**المرتبة الرابعة:** الخلق، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، هو الذي خلقه لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، إلى هنا بيان المراتب الأربعة.

المرتبة الأولى: العلم، الإيمان بعلم الله الشامل المحيط.

المرتبة الثانية: الإيمان بكتابته كل شيء في اللوح المحفوظ.

المرتبة الثالثة: مشيئة الله الشاملة والنافذة.

والمرتبة الرابعة: أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ خلق كل شيء، ما من شيء إلا وهو خالقه.

ثُمَّ أراد شيخ الإسلام أن يشير إلى قسمي الإرادة، وأن الإرادة على قسمين:

- إرادة كونية.

وإرادة شرعية.

وأيضًا أراد أن يُبيِّن أنَّه لا يلزم من عموم مشيئته، المرتبة الثالثة ما فيها لَا بُدَّ أن نؤمن بعموم مشيئته، أراد أن يبيِّن أن عموم مشيئته لا يستلزم أن كل ما حدث كونًا هو مأمورٌ به، الله عَزَّ وَجَلَّ أمره، وأنه يرضاه، وأنه يحبه، لا يستلزم عموم مشيئته الكونية لا يستلزم أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يحب كل ما حدث كونًا، وأنه أمر به، أو أنه يرضاه.

وأراد أن يُوّضح الفرق بين المشيئة الكونية، والفرق بين المحبة والرضا، وأراد أن يبيَّن الفرق بين الإرادة الكونية الَّتِي لا تتخلف، والإرادة الشرعية التي قد تتخلف، فقال: **ومع ذلك**، أي ومع عموم المشيئة **فقد أمر العباد بطاعته**، العاصي لا يجوز أن يستدل بالقدر في معصيته، لا يجوز له أن يقول هذا مما شاء الله، **ومع ذلك قد أمر العباد بطاعته**.

من الذي يستدل؟ من الذي يجوز له أن يستدل بمشيئته؟ العاجز، الشخص الذي لا يستطيع أن يصلي، إذا قلت له لماذا لم تصلي؟ طبعًا يجب عليه أن يصلي كيفما استطاع قائمًا أو قاعدًا أو مستلقيًا أو مشيرًا، إذا قلت له لماذا ما قمت وصليت؟ وهو لا يستطيع القيام له أن يستدل بالقدر، له أن يقول هذا الذي كتب عليَّ، أنا ما أستطيع أن أقوم؛ لأنه: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

له أن يستدل بمشيئته به، ويقول ان هذا الذي كتب عليَّ أنا ضعيف ما أستطيع أن أقوم، اما بالنسبة لعصيانه فليس معذورًا؛ لأنه يستطيع أن يصلي قاعدًا، أما المستطيع فليس له عذر؛ لأنه مستطيع وله المشيئة، له إرادة والمشيئة وله استطاعة، وكل مُكلفٍ يُكلّف حسب طاقته واستطاعته.

ومع ذلك **وَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**، مع أن الكفر هو أعظم كونًا، إلا أن الله عَزَّ وَجَلَّ **وَلَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**.

هنا يريد يرد على التصوف وغيرهم، الذين يخلطون بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية، ويرونَّ أن كل ما حدث كونًا هو مراد لله عَزَّ وَجَلَّ ومرضيًا له هو محظور لهم، وهذا خطأ، إذًا لَا بُدَّ أن نفرّق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية.

الطالب: كيف لا يحبه ولا يأمر به ولا يرضاه.

**الشيخ:** أولًا: باب القدر، كما يقول العلماء القدر الشيء من أسرار الله عَزَّ وَجَلَّ، يعني لا ينبغي الحديث فيه إلا بالقدر الذي أمامك من النصوص، الله عَزَّ وَجَلَّ له حكم ما نعرفها، أحيانًا يكون الشيء مما يكرههُ، وفيه حكم له ما نعرفها، كفر هذا القاصر، قد تكون فيه حكم من إظهار إسلام المؤمنين، ومن إظهار كلمته، ومن إظهار نفاق المنافقين، قد تكون له حِكم ما نعرفها.

فلذلك القدر الذي عرفناه أنك مستطيع ومأمورٌ به، القدر الذي يجب علينا أن نؤمن به، أنني إذا كنت مستطيعًا يجب عليَّ أن أمتثل للأوامر، وأن أنزجر من النواهي، هذا الذي يجب عليه، والذي يجب عليَّ أيضًا أن أعرف أن أحكام القادر تختلف عن أحكام العاجز، الغير واضح من الأسرار ما نكتفي.

إذا دخلنا فيها سنكون مثل لجبرية والقدرية لماذا انزلقوا؟ لأنهم دخلوا في أسرار الله عَزَّ وَجَلَّ، نحن مُكلّفون بما علمناه من النصوص ولا نتجاوزه، إذًا لَا بُدَّ أنَ نفرّق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية، الجبرية هم بالغوا في إثبات قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ، وقالوا: لا يكون في الكون إلا ما يشاء، وليس هناك من هو يقدر إلا هو فنفوا قدرة العبد كما سيأتي.

والقدرية قالوا: لا، التكليف هذا مقتضاه أن يكون قادرًا مستقلًا في قدرته ومشيئته وكلاهما خطأ.

إذًا الركن الْثَّالِث: الإيمان بمشيئة الله الشاملة وقدرته النافذة.

الرَّابِع: الإيمان بعموم الخلق، ثُمَّ أشار إلى قضية تتعلق، مسألة تتعلق بالقضاء والقدر، وهي قضية أعمال العباد، وَهذا المسألة مسار خلافٍ بين أهل السنة وغيرهم أفعال العباد أعمال العباد، هي الفعل يُنسب إلى من؟ والخلق يُنسب إلى من؟ قال شيخ الإسلام: وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، إذًا الفعل ينسب إلى من؟ إلى العباد، وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ، الخلق ينسب إلى من؟ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وسبق أن بيَّنا طرفي نقيض في هٰذَا.

الجبرية ينسبون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ الفعل والخلق كليهما ينسبونه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، والقدرية ينسبون الفعل والخلق إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.، وأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة: ينسبون الخلق إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن نحن قلنا الركن الأخير من أركان الإيمان بالقضاء والقدر أن نؤمن بعموم الخلق، إذًا لا خالق إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، لا

نستثني شيئًا من المخلوقات ولا ننسبها إلى غير الله عَزَّ وَجَلَّ، ونؤمن بعموم الخلق، إذًا كلُ شيء بما في ذلك أفعال العباد وأعمالهم مخلوقة لله عَزَّ وَجَلَّ.

اما الفعل هو منسوبٌ؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ مكّنه من الفعل بالإرادة وبالمشيئة، أمَّا الخلق فالله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي خلقه، إذًا وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وعند الجبرية هم فاعلون مجازًا، فالله خالق افعالهم، وعند القدرية العباد هم خالقون لأفعالهم، وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ.

بمقتضى نسبة الأفعال للعباد، العباد وهم المؤمنون، وهم الكافرون، وهم الأبرار، هم الفجار، وهم المصلون، وهم الصائمون، لماذا يُنسبُ الفعل إلى العباد حقيقة؟ لأن لهم قدرة على أعمالهم فلهم إرادة، فالله خالقهم وخالق قدرتهم وعبادتهم، الله عَزَّ وَجَلَّ أثبت للعِباد القدرة والمشيئة، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [المدثر:٥٦] ، ويقول: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ [المزمل:١٩] ، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان:٣٠].

إذًا الله عَزَّ وَجَلَّ أثبت لهم قدرةً وأثبت لهم مشيئة وإرادة، وهم يحاسبون بحسب القدرة والمشيئة، من لا يستطيع هو مظلوم غير مكلف مرفوع عنه القلم؛ لأنه ما يستطيع أن يريد، من يستطيع أن يريد لكن ما يستطيع أن يقوم بالعمل فهو أيضًا مرفوعًا عنه القلم؛ لأنه عاجز: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]﴾، إذًا على إرادته وعلى استطاعته بقدر ذلك يُحاسب.

أيضًا قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣]، أثبت لهم إتيانًا بقدرتهم ومشيئتهم، وأثبت لهم مشيئة، لماذا؟ لأنهم يستطيعون ذلك، الله عَزَّ وَجَلَّ مكانهم من ذلك، مكّنهم من الجهتين جهة الإرادة والمشيئة التي بها يكون تخصيص العمل، وجهة الاستطاعة التي بها يكون الإتيان.

الشخص الذي جالس مثلًا في الديوانية يستطيع أن يتوجه إلى السنيما أو الخمّارة يستطيع أن يشرب هناك خمر، ويستطيع أن يذهب إلى المسجد، فإذا اتجه إلى أحد المكانين بمحض إرادته ومشيئته هذا بإرادته ما أحد يجبره، إذا قال هذا الذي كان مكتوبٌ عليَّ، يُقال له كيف علمت أن هذا مكتوب عليك؟ توجه إلى المسجد وقدَّر أن هذا هو المكتوب عليك؛ لأن المكتوب للعبد لا يُعرف إلا بعد وقوعه.

فالمحتج بالقضاء والقدر دائمًا يحتج بالقضاء والقدر للفرار من المسئوليات، أيضًا إذا لطمه أحد حسب الأركان الأربعة، هل هذا يخرج من قدرة الله ومشيئته، هذا وقع عليه بقدرة الله ومشيئته لو لم يُسلّط الله عَزَّ وَجَلَّ هذا الظالم عليه ما كان بإمكانه أن، هنا ننظر إلى هذا الذي يستدل بالقضاء والقدر.

هل يسكت؟ لأنه كان مكتوب عليه وإذا سبه ولعنه، هل يسكت؟ لا يمكن أن يسكت، وإذا سكت يكون مجنون، وإذا سكت يكون إما عاجز عجزًا كليًا أو يكون مجنونًا، لأن بهذا السكوت يعني ليس هناك أي دفاع عن نفسه، إذًا لا يُستدل بالقضاء والقدر في مثل هذه الأمور، وبالتتبع والاستقراء تعرف أن من يستدل بالقضاء والقدر على المعاصي دائمًا يستدل بهذا إذا كان في مصلحته، وإلا جِربه يوم من الأيام أعطه وجرب، هل هذا مؤمن بالقضاء والقدر صحيحًا؟ لن يكون مؤمنًا بالقضاء والقدر سيثأر لنفسه إن كان بالضرب، أو إن كان باللعن أو إن كان بالشتم.

وهذه الدرجة من القدر، يعني كما أشرت أن الاستدلال بالقضاء والقدر على المعاصي، ولكن الاستدلال بالقضاء والقدر على المصائب يجوز، بل هذا من تمام الإيمان بالقضاء والقدر، ومن هذا الباب ما كان من المنُاظرة بين موسى وآدم أبينا عليهما السلام، فحجّ آدم موسى؛ لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لأمهُ على ما نال ذريته على الخروج من الجَنَّة لم يلَمه على الذنب؛ لأنه يعرف أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد تاب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

وهو أعرف بالله أن يَلَوم الشخص قد تاب من ذنبه فلا يجوز شخص وقع في الذنب وتاب لا يجوز أن تلومه بهذا الذنب، إِنَّمَا لامه بما نال ذريته من المصيبة من جراء خروجه من الجنة؛ لأنه لو لم يخرج كنا في الجنة، فاحتجّ عليه بالقضاء والقدر، لأن الخروج من الجنة مصيبة أكبر أليس كذلك؟

احتجَ هو بالقضاء والقدر؛ لأنه يجوز أن تحتج بالقضاء والقدر على المصائب، شخص أخطأ وقتل شخصًا، قتله خطأ كان يريد أن يصيد فأصاب شخصًا ما كان رآه المهم أخطأ فقتله، فمن هنا حق الله عَزَّ وَجَلَّ وحقه على العبد، هذان حقان، لَا بُدَّ أن يُقتص منه، لَا بُدَّ أن يُعطي الدية، وَلَا بُدَّ من الأحكام المعروفة.

المهم إذا قلت له، إذا لمته على هذا العمل واحتج بالقضاء والقدر هذا احتجاجٌ صحيح؛ لأنه لم يكن منه عمدًا، وَإِنَّمَا هكذا وُجب عليه، مع ذلك الأحكام تلاحقه، إلا أن استدلاله بالقضاء والقدر

صحيح، شخص مريض ويستفيد من القضاء والقدر، هذا من تمام إيمانه بالقضاء والقدر، إذًا فرق بين الاستدلال بالقضاء والقدر على المعاصي والمعايب والمصائب.

ثم قال: وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ، يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ «الْقَدَرِيَّةِ»، الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النبي ﷺ: «مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ»، لماذا؟ لأن المجوس ما هي عقيدتهم؟ المجوس يرون أن الخير والشر كل واحد له إله مستقل، فيؤمنون بإلهين بربين، يقولون: الشر خالقه الله، والخير خالقه الله عَزَّ وَجَلَّ، ذكّروني بمذهبهم (النور والظلام) خالق الخير النور، وخالق الشر الظلام، هكذا يقولون.

والذين يستثنون شيئًا من المخلوقات من عموم الخلق وينسبونها إلى غير الله عَزَّ وَجَلَّ ففيه شوبة من المجوسية؛ لأن المجوس يعني ينسبون إلى غير الله عَزَّ وَجَلَّ الخلق، فالذين يصبغون شيئًا من المخلوقات ويستثنونها من عموم الخلق وينسبونها إلى غير الله عَزَّ وَجَلَّ ففيه شوبة من المجوسية، لذلك يسمون (**مجوس هذه الأُمَّة**).

يعني الفرق التي يخرجون شيئًا من المخلوقات من عموم الخلق وينسبونها إلى غير الله عَزَّ وَجَلَّ، وهؤلاء هم المجوسية، الطائفة الثانية طبعًا هذه المسألة كما أشار إليها شيخ الإسلام ضلَّ فيها طائفتان، الطائفة الأولى هم القدرية المجوسية، والطائفة الثانية القدرية الجهمية، هم يسمَّون قدرية أيضًا، ولكن هم يسمون قدرية لغلوهم في إثبات القدر، والمعتزلة يسمون قدرية لنفيهم للقدر، وهم أشهر بهذا الاسم المعتزلة.

ولكن في التقسيم تكون القدرية مجوسية، وقدرية مشركة، هؤلاء يثبتون عموم الخلق، يثبتون عموم المشيئة، ويغلون في ذلك إلى حد ينكرون قدرة العبد ومشيئته، وينسبون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ أفعال العباد ينسبونها أيضًا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

**لأنهم يجعلون العبد كالريش في مهب الريح**، وتلك الفرقتين يعني هم على طرفي نقيض، ومذهب أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة الوسط في هذا الباب، بقيت طائفة وهي الأشاعرة، نحن قلنا: المعتزلة ينسبون الخلق والفعل إلى من؟ إلى العَبد المعتزلة ينسبون الخلق والفعل إلى العبد، والجبرية ينسبون الخلق والفعل إلى الله، والصحيح أنَّ الخلق لله عَزَّ وَجَلَّ، وأفعال العباد تنسب خلقًا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وفعلً

العباد؛ لأن العبد هو الفاعل وهو بقيت فرقة وهي الأشاعرة، الأشاعرة قالوا يُنسب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ الخلق والفعل، ويُنسب إلى العبد الكسب، ما هو الكسب؟

﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠] ، الكسب يثبته أيضًا السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، ولكن معناه في العمل، العمل هو الكسب، يعني قام زيد، ما الذي حصل منه؟ القيام وهذا كسب، صلّى زيد، ما الذي حصل منه؟ الصلاة هذا كسب، سرق زيد، ما الذي حصل منه؟ السرقة وهذا كسب، إذا نسبت إلى الله عَزَّ وَجَلَّ الفعل، ماذا بقي له؟ ما بقي له شيء، أليس كذلك؟

لأن الكسب والفعل كلاهما مترادفان، إذا نسبت لله عَزَّ وَجَلَّ الفعل والخلق لن يبقى هناك شيءٌ لتنسبه للعبد، لذلك هذا المذهب غامض جدًا، ذكرنا سالفًا أن الجبرية على قسمين:

جبرية في الظاهر والباطن، وهم الجبرية الجهمية الأولون.

وجبرية الباطن لا الظاهر، وهم من؟ الأشاعرة.

طبعًا هم ينسبونه ويسمونه الجبر المتوسط، اعترف متأخروهم أنهم جبرية خالصة؛ لأنك بعد أن تنسب الخلق والفعل إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لا يبقى شيئًا له حقيقة تنسبه إلى الخلق، وإن الكليات إذا نسبتها الفعل إلى الله عَزَّ وَجَلَّ والخلق من الذي بقي لنا؟ ولذلك لما تنظر إلى تعريف الكسب يعني ما تخرج بنتيجة واضحة لأنه ليس هناك شيء، لا يبقى شيء، لذلك عدَّوهم من خواص الإنكار.

وَمِنْ أُصُولِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ: قَوْلٌ، وَعَمَلٌ، قَوْلُ: الْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ: الْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالْجَوَارِحِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ: يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ، لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ، كَمَا تَفْعَلُهُ «الْخَوَارِجُ»، بَلْ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي.

---

**الشرح:**

وَمِنْ أُصُولِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ: قَوْلٌ، وَعَمَلٌ، أهل السنة يختلفون في التعبير، بعضهم يقولون أن الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان، وبعضهم يعدلون، كما عدل شيخ الإسلام، يقولون الإيمان قولٌ وعمل، ولكن بهذا التفصيل الذي فصله شيخ الإسلام يرجع الحديث إلى التقسيم الثلاثي،

- قول القلب؛ وهو التصديق والإقرار، وهو الَّذِي يُعبر أصحاب التقسيم الثلاثي بقولهم: **اعتقاد للجماعة**، وَهذا هو: قول القلب؛ هو التصديق والإقرار والإيقان، وَهذا قول القلب.
- قول اللسان؛ هذا خاص بالإقرار بالشهادتين.

بقول القلب يكون أصل الإيمان، بإيقانه، بتصديقه، وبإقراره يكون أصل الإيمان، وبقول اللسان يُظهر به؛ لأنه يجب أن يتلفظ بالشهادتين إذا لم يكن أخرص، إذا كان يستطيع أن يتلفظ، ومع ذلك لا يتلفظ لا يُظهر بلسانه، فَهذا لا يُعد من المؤمنين، إِذَاً لَا بُدَّ أن يُظهر إيمانه وإيقانه باللسان.

إِذَاً قول القلب هو الإيقان والإقرار والتصديق، وقول اللسان هو الإقرار بالشهادتين يَعْنِي خُص به قول اللسان، هذا يَعْنِي الشيء يرجع إلى الاصطلاح، وَإِلَّا قول اللسان، أعمال اللسان أَيْضًا كلها قول اللسان، ولكن حسب الاصطلاح خصصنا الإخبار بالشهادتين بقول اللسان؛ لأنه يترتب عليه، على هذا العمل بخصوصه إظهار الإيمان.

وعمل القلب؛ عمل القلب كل ما يكون بعد قول القلب، بعد الإقرار والإيقان والتصديق، بقية الأعمال كلها نُسميها عمل القلب، إِذَاً التصديق والإيقان سميناها قول القلب، بقية الأعمال كلها هي عمل القلب، وَأَيْضًا عمل اللسان؛ عمل اللسان جميع أعمال اللسان الَّتِي لا تُؤدى إِلَّا باللسان باستثناء التَّلَفُّظ بالشهادتين؛ لأن التَّلَفُّظ بالشهادتين يتوقف عليه إظهار الإيمان.

عمل اللسان من الذِّكْر والقراءة وجميع أعمال اللسان مِمَّا لا يكون إِلَّا باللسان هو عمل اللسان، عمل الجوارح من القيام والقعود والمشي للطاعات والجهاد كلها عمل الجوارح.

إِذَاْ الخلاصة: أن الإيمان إذا جعلنا تعريفه ثنائي، فهو قول وعمل بهذا التفصيل، وَإِمَّا التَّعْرِيْف العام، التَّعْرِيْف الَّذِي يذكره الجميع هو أضبط، وهو أنه: اعتقاد من الجنان وقول باللسان وعمل بالأركان.

وَأَنَّ الْإِيمَانَ: يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ هذه أَيْضًا من المسائل المهمة المُتَعَلِّقَة بالإيمان، أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والمخالفون في هذا الباب هم المرجئة بأصنافهم، المرجئة ذكرنا أنهم ثلاثة أصناف:

المرجئة الجهمية: الَّذِي يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، هؤلاء المرجئة مخالفة؛ الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص.

مرجئة المتكلمين: الَّذِي يرون أن الإيمان هو التصديق، مرجة مخالفة الإيمان عندهم...

أَيْضًا مرجئة الفقهاء: الَّذِينَ يرون أن الإيمان تصديق، ويُضيفون إليه قول اللسان.

جميعهم الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص؛ لأن الإيمان هم يرتكزون على تَعْرِيْف الإيمان لغة يقولون: بما أن الإيمان في اللغة هو التصديق، يبقى تصديقًا أَيْضًا في المصطلح، ومن هذا خطأ؛ لأن التَّعْرِيْف اللغوي، أنت لما تكتب: الإيمان لغة وكذا وكذا، ترجع إلى ماذا؟ هل ترجع إلى الكتاب وَالسُّنَّة؟ لا تعرف، ترجع إلى كتب اليوم، إلى القاموس، إلى التهديف الأزهري، إلى العلم؛ لأن التَّعْرِيْف اللغوي يُؤخذ منه.

انتقلت إلى التَّعْرِيْف الشرعي: ترجع إلى القواميس اللغوية مرة أخرى؟ لا، ترجع إلى الشرع، إِذَاْ من الخطأ أن تقول: بما أن الإيمان لغةً التصديق، كذلك يبقى في الشرع أَيْضًا، أنت لا زلت مع القواميس اللغوية، إِذَاْ ما زلت في التَّعْرِيْف اللغوي لم تنتقل إلى التَّعْرِيْف الشرعي؛ لأن القواميس اللغوية أصلًا لم تُعطيك التَّعْرِيْف الشرعي إِلَّا القواميس المتأخرة مثل الكليات... وغيرها الَّتِي تدخل التعريفات كلها.

وَإِلَّا التَّعْرِيْف اللغوي تعقبه من قواميس اللغة، أما التَّعْرِيْف الشرعي تأخذه من الكتاب وَالسُّنَّة، التَّعْرِيْف الشرعي، شوف تعريفه لغةً وشرعًا.

إِذًا الْإِيمَانَ: يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وقد وردت الأدلة عليه بِالنَّصِّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ أي لم يشكوا في إيمانهم ﴿وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات:١٥]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢] ... إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]، وقوله: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] ، ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤] ، ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة:١٢٤] ، ولكنهم يُؤولن؛ لأن باب التأويل مفتوح، يقولون: هنا زيادة، هنا زيادة، وزيادة كذا.

فقد نقل أئمة السُّنَّة منهم البخاري وأبو حاتم الرازي أَيْضًا أبو زرعة الرازي، وَأَيْضًا أبو عُبيد القاسم بن سلام، وغيره من أئمة السُّنَّة نقلوا: الإجماع على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

بما أن الآيات والأحاديث أن يُصرح به، الإيمان...، فأعلاها قول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قول، إِذًا القول يدخل في مسمى الإيمان، وأدناه إماطة الأذى عن الطريق، إِذًا الإيمان له أعلى وأدنى، وَهذا يدل على الزيادة والنقصان، وغيره من الأدلة.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ، لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ، كَمَا تَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ، بَلْ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي.

كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ١٠﴾ [الحجرات: ٩].

وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ، كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ، بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ.

بل الفاسق.

الطالب:...

الشيخ: هو كيف عندك...،

الطالب:...

الشيخ: شو فيها، شوف عندك: بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقْ هل في إشارة إلى اختلاف النسخ؟

الطالب: موجودة.

الشيخ: كلمة **اَلْمُطْلَق**.

الطالب:... زيادة **اَلْمُطْلَق**.

الشيخ: بس؛ لأن وجودها يُشكل؛ لأن الاسم الإيمان اَلْمُطْلَق هو كمال الإيمان كما سيأتي، والمراد دون اَلْمُطْلَق الإيمان، بل هو أدنى درجات الإيمان، فوجودها.

الطالب:...

الشيخ: لا، عدم وجودها أحسن، وسأبين، يَعْنِي عدم وجودها أحسن، علم عندك أنه يُبحث في النسخ؛ لأنه إذا لم يُوجد في النسخ المعتمدة كيف عندك؟

الطالب: هنا موجودة.

الشيخ: كيف موجودة.

الطالب:...

الشيخ: كما في قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

الطالب: موجودة كلمة مطلق.

الشيخ: لا، لا قبله.

الطالب:...

الشيخ: كلمة اَلْمُطْلَق غير موجودة.

الطالب:...

الشيخ: في اَلْأَوَّلُ غير موجودة.

الطالب: لا اَلْأَوَّلُ لا،...

الطالب: هل هناك فرق يا شيخ بين هؤلاء الَّذِينَ اتصف الإسلام بالكلية...

الشيخ: لا فرق، سأبين، ما عندك إشارة إلى نسخة أخرى: بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ، فِي مِثْلِ قَوْله تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] ليس عندك أي إشارة إلى نسخ.

الطالب: وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ.

الشيخ: إي هناك صحيح، هناك صحيح لا إشكال، وهنا نحتاج إِلَىٰ... على وجوده، لا يُناسب الموضع هنا.

وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ، كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ، بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ، فِي مِثْلِ قَوْله تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢].

وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢]، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ؛ فَلَا يُعْطَى الِاسْمُ الْمُطْلَقُ، وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقُ الِاسْمِ.

الطالب:...

الشيخ: لا بعده، شوف الكلمة بعده.

الطالب:...

الشيخ: لا، فَلَا يُعْطَى الِاسْمُ الْمُطْلَقُ، وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقُ الِاسْمِ.

الطالب:...

الشيخ: بكبيرته، طيب اكتبها عندك.

---

**الشرح:**

هٰذِه المسائل الَّتِي بينها شيخ الإسلام هي في غاية الأهمية من مسائل الإيمان، وفيها بيان وتوضيح لمنهج أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، ومعتقدهم في الإيمان، وفيها تفصيل لمنهجهم في نواقض الإيمان، وسبق أن أشار إلى وسطية أهل السُّنَّة في هذه المسائل إلَّا أنه فصل فيها هنا.

وَأَنَّ الْإِيمَانَ: يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَعْنِي مع في اعتراض فيهم بأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن إيمان العاصي ينقص مع كل هٰذَا، لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ، كَمَا تَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ هنا يُشير شيخ الإسلام إلى مذهبين متنافرين في هذا الباب:

- مذهب الخوارج والمعتزلة.
- ومذهب المرجئة.

لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ، طَبْعًا هذا المصطلح أهل القبلة؛ هذا المصطلح معناه المسلمون، لماذا قيل لهم أهل القبلة؟ لأن المسلم يتميز بالصلاة، أفضل ما يتميز من أركان الإسلام من الأعمال الظاهرة هو الإسلام، فمن لم يكن يُصلي فلا حظ له في الإسلام، إذا كان يتركه عملًا، فلا حظ له في الإسلام على الصحيح من أقوال العلماء، وَهذا من نواقض الإيمان؛ لأن بين العبد وبين الكفر أو الشِّرْك ترك الصلاة، والصحابة لم يكونوا يعدون شيئًا من نواقض الإيمان من الأعمال إلَّا الصلاة.

هنا الخلاف الَّذِي ذكره شيخ الإسلام هو المعاصي، ولم يتحدث عمن يترك الأركان؛ لأن هناك خلاف في أركان الإسلام: الصلاة وَالزَّكَاة والحج من يتركها ما حكمه؟ بالنسبة للصلاة؛ الراجح أنه يَعْنِي كافر.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ أهل القبل يَعْنِي كَمَا ذَكَرْت هذا المصطلح ذُكر؛ لأن المسلم يمتاز بتوجه إلى القبلة بصلاته؛ لذلك هذا المصطلح كتاب أبو الحسن الأشعري مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين يقصد المصلين، لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ كما قلت ذُكروا بأهل القبلة؛ لأن هذا شعار المسلمين.

بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ كما هو مذهب الخوارج، الخوارج عندهم بليتين:

البلية الأولى: تحكمهم في تحديد الكبيرة، قد لا تكون أصلًا كبيرة الَّتِي يُكفر بها.

الثانية: يتحكم في تحديد الكبيرة، ثُمَّ يُخرج المسلم بها من الإيمان، يحكم عليه بالكفر، من زنا عنده طَبْعًا هذه من فعل الكبيرة، ولكن عندهم كبائر يَعْنِي قد تختلف معهم في أنها هل هي من الصغائر؟ يجعلها كبيرة ويُخرج المسلم من الإيمان.

حَتَّىٰ الكبائر ما خلا الشِّرْك، يَعْنِي الكبائر ما يخرج المؤمن بها من أصل الإيمان، يَعْنِي هي ليست من نواقض الإيمان ونواقض الإسلام، وعندهم هي من نواقض الإيمان، مطلق المعاصي والكبائر عندهم من نواقض الإيمان تُناقض أصل الإيمان، أما أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي.

بَلْ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ﴾ [البقرة:١٧٨] . من هو هذا أخوه؟ القاتل ﴿شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:١٧٨]، وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ وقتال المسلم كبيرة من الكبائر ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠] مع تقاتلهم ومع بغيهم وعدوانهم إِلَّا أن اسم الإخوة الإسلامية باقية، وَهذا عند الخوارج كافر.

إِذًا الله عَزَّ وَجَلَّ وصف الطائفتين المقتتلتين بالإيمان مع الاقتتال والبغي وأخبر أنهم إخوة، وأخبر أن الإخوة لا تكون إِلَّا بين المؤمنين، لا بين مؤمن وكافر، لو كانوا كفار لم يُثبت الإخوة بينهما، هذا جانب وأنهم يُكفرون..، الخوارج يُكفرون أهل الكبائر ويُخرجونهم منه.

أَيْضًا مِمَّا يتصل بهذا الموضوع أن أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة: وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ أو الإسلام بالكلية، أنا عندي الإيمان بالكلية، من الَّذِي عنده الإسلام بالكلية؟

الطالب:...

**الشيخ:** وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ، كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ الفاسق الملي هذا المصطلح يُطلق على الفاسق من أهل الملة، يَعْنِي الفاسق من أهل المسلمين، الفاسق من المسلمين يُطلق عليه الفاسق الملي، أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة لا يسلبونه الإيمان بالكلية، ولا يحكمون عليه أنه خالدٌ مخلد في النَّار كما تقوله المعتزلة.

المعتزلة يقولون: أن الفاسق الملي خرج من الإيمان، خرج من دائرة الإيمان، ولكنه لم يدخل الكفر، طيب في الآخر بما أنه خرج من الإيمان، فهو خالد مخلد في النَّار، إِذًا هم يتفقون مع الخوارج في المثيل في الآخرة،... وأنه خالد مخلد في النَّار لماذا؟ لأنه خرج من الإيمان، مادام خرج من الإيمان، فهو ليس مؤمنًا حتى يكون نصيبه نصيب المؤمنين.

إِذًا أصحاب الكبائر عند الخوارج كفار، الفاسق الملي عندهم أَيْضًا كافر، والفاسق الملي عند المعتزلة خالد مخلد في النَّار، ويسلبونه اسم الإيمان، يتفقون على هذا معتزلةً وخوارج، كلهم يتفقون على أن الفاسق لا يُطلق عليه اسم الإيمان، ثُمَّ يختلفون في حكمه في الدنيا:

**الخوارج يقولون:** بعد أن سُلب منه اسم الإيمان يُطلق عليه اسم الكافر، هو كافر.

**المرجئة يقولون:** يُسلب عنه اسم الإيمان ولا يُدخل في زمرة الكفار، فهو في منزلة البرزخ، أما في الآخرة فحكمه حكم الكفار؛ لأنه خرج من الإيمان.

والصحيح: بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ، فِي مِثْلِ قَوْلِه تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢] أنت لما تُحرر الرقبة المؤمنة، هل تبحث عن المؤمنة الإيمان الكامل التقي النقي، مُطلق

المؤمنة تُجزء في تحرير الرقبة، إِذًا فالمراد بالإيمان هنا مطلق الإيمان، ومطلق الإيمان هو أدنى درجات الإيمان.

لذلك أقول؛ لأن عندي هنا: بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ اَلْمُطْلَق، الإيمان اَلْمُطْلَق هو كمال الإيمان كما سيأتي، فلذلك وجوده هنا لا يُناسب، والصحيح عدم وجوده، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان، لا يُسلب اسم الإيمان، كما هو مذهب المعتزلة والخوارج، الجميع يسلبونه اسم الإيمان؛ الخوارج يُدخلونه في الكفار، والمعتزلة يُبقونه في البرزخ في منزلة بين المنزلتين.

إِذًا الإيمان الَّذِي عُلقت به أحكام الدنيا هو الإيمان الظاهر؛ وهو الإسلام والاستسلام الظاهر، وقد عرفنا أن أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة لا يسلبونه اسم الإيمان، واستدل بهذه الآية والأدلة كثيرة.

وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ الإيمان اَلْمُطْلَق المراد به الإيمان الكامل؛ لأن هناك فرق بين مطلق الشيء والشيء اَلْمُطْلَق، إذا قلت: الرجل يُقصد به الرجل كامل الرجولية أليس كذلك؟ ولذلك هذا الإطلاق حتى في القرآن يَعْنِي لم يأتي إلى في مواضع الَّتِي فيها: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ [القصص:٢٠]، يقصد الرجولة.

إِذًا الرجل إذا قيل الرجل، إذا قيل الإيمان، إذا قيل الخلاف، فَهذا يُقصد به كامل الشيء، إِذًا الإيمان اَلْمُطْلَق هو الإيمان الكامل، أما مطلق شيء فَهذا أدنى درجات الشيء، الَّذِي عنده أدنى درجات الرجولية، الَّذِي عنده أدنى درجات الإيمان، هذا يُطلق عليه؛ يُقال: مطلق الشيء.

**إِذًا هناك فرق بين الشيء اَلْمُطْلَق الَّذِي هو الفرد الكامل من هذا الشيء، ومطلق الشيء الَّذِي هو أدنى درجات الشيء.**

الإيمان اَلْمُطْلَق: هو الإيمان الكامل، قد لا يدخل في اسم الإيمان اَلْمُطْلَق كما في قوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ لا حظ صيغة الحصر إِنَّمَا، هذه من صيغ الحصر لماذا؟ هنا بيان درجةٍ في ماهية عالية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

الإيمان الشخص الَّذِي إذا ذَكَرَ الله عنده قلبه لا يخاف ولا تحصل له الخشية، تلاوة القرآن لا تُورثه مقاربه الله عَزَّ وَجَلَّ وخشيته وخوفه، هذا لَا بُدَّ أن يُراجع إيمانه، إِذَاْ من كانت تلاوة القرآن لا تزيده إيمانًا هذا لَا بُدَّ أن يُراجع إيمانه، إِذَاْ المؤمن الكامل هو الَّذِي إذا ذُكر الله عنده وجل قلبه، وإذا تُليت عليه آيات الرحمن تزيده إيمان.

الإيمان المراد به هنا هو الإيمان اَلْمُطْلَق، ليس مُطْلَق الإيمان، يقول شيخ الإسلام: وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ هنا صاحب المعصية والفاسق ليس داخل هنا، لماذا كان فاسقًا؛ لأن درجته في الإيمان نازلة، إِذَاْ لا يدخل فيه، وهنا الحصر المراد به حصر المؤمنين الكاملين، ليس المراد بها إخراج غيره من الإيمان.

مادام أننا عرفنا أن المراد بالإيمان هنا الإيمان الكامل، عرفنا أنه ليس المراد إخراج غيره من الإيمان؛ لأن المراد بالإيمان هنا هو الإيمان الكامل، فَإِذَاْ في قوله ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ» المراد بالإيمان هنا الإيمان الكامل.

إِذَاْ المنفي هنا الإيمان الكامل، أو المنفي هنا كمال الإيمان، لا جميع الإيمان لماذا؟ لأن الزاني إذا توفي أجمعت الأُمَّة على توريثه الزاني والصادق وغيرهم ممن ذُكروا هنا، التوارث يَعْنِي أجمعت الأُمَّة على التوارث على توريثهم أو أنهم يُورثون وأنهم يرثون إِذَاْ ليس كافر، فَالَّذِي نُفي هنا هو كامل الإيمان؛ لأن المؤمن كامل الإيمان لا يزني إيمانه يردعه حتى ولو وقع في الزنا فباب التوبة مفتوح، إِلَّا أن المنفي هنا هو كمال الإيمان، وليس اَلْمُطْلَق الإيمان.

«وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً»

إيش عندك نُهبةً ولا نَهبةً.

الطالب:...

**الشيخ:** أنا عندي نَهبةً، والصحيح نُهبة، النُهبة بضم النون هو المنهوب الشيء المنهوب.

«وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً» أي لا ينتهب شيئًا «ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ» يَعْنِي لا ينتهب له قدر عند الناس، الشخص الَّذِي ينتهب مثلًا يَعْنِي خمسين فلس، لا أحد قد...، والشخص الَّذِي مثلًا ينتهب شيئًا له قيمة عند الناس هذا هو المراد به.

«وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» السارق الَّذِي يتحمل في سرقته كل هذا الشيء هذا ليس مؤمنًا كامل الإيمان، ويتحمل نظر الناس إليه، ويتحمل كل هذا الأمر في سبيل سرقةً هذا ليس مؤمنًا كامل الإيمان.

الشاهد هنا: أن المنفي هنا كما الإيمان وليس مطلق الإيمان.

ما هي الخلاصة؟ الخلاصة أننا نقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، هل سلبنا عنه إيمانه؟ لا، وهل أتيناه الإيمان الكامل؟ لا، إِذًا: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ؛ لأن أصل الإيمان موجود فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ؛ فَلَا يُعْطَى الِاسْمُ الْمُطْلَقُ الاسم اَلْمُطْلَق هو الإيمان الكامل وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقُ الِاسْمِ أي مطلق الشيء.

قلت لكم هناك فرق بين الشيء اَلْمُطْلَق، ومطلق الشيء، مطلق الشيء هو أدنى مسمى الشيء، والشيء اَلْمُطْلَق هو الفرد الكامل في هذا الشيء، إِذًا لا يُعطي الاسم اَلْمُطْلَق كما هو مذهب من؟ المرجئة.

هذا الفاسق عن المرجئة هو كامل الإيمان، إيمانه مثل إيمان جبريل عند المرجئة، وهم ضلال في تَعْرِيْف الإيمان، وهم ضلال في تفريعات الإيمان، إِذًا لا يُعطى الاسم الكامل؛ لأنه لا يدخل في المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال:٢] لا يدخل في هذا المعنى.

إِذًا لا يُعطى الاسم المُطلق، كما لا يُسلب مطلق الاسم بكبيرته، لا يُسلب منه اسم الإيمان، أو مطلق الإيمان بكبيرته كما هو مذهب من؟ الخوارج والمعتزلة.

نُلاحظ أن: وَهذا قلته مرارًا وتكرارًا أن ما ذكره شيخ الإسلام في هذه العقيدة يَعْنِي سُبْحَانَ اللهِ عبارات موجزة، وفيها تلخيص للمسائل بشكلها العام، ولذلك أنا أنصح بحفظ هذه العقيدة؛ العقيدة الواسطية، يَعْنِي من يحفظها يكون حفظ يَعْنِي متنًا يَعْنِي كل جملة فيها تُوزن بجمل، فرحم الله شيخ الإسلام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصلاة والسلام على خير خلق الله، خاتم الأنبياء والمرسلين، اللهم اغفر لشيخنا ولوالديه وللحاضرين آمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في العقيدة الواسطية:

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ اللهِ ﷺ كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠] وَطَاعَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ».

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ أَوِ الْإِجْمَاعُ، مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ، فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ -وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ- وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ، وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ.

---

**الشرح:**

إن الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد: فإن خير الحديث، كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار، ثُمَّ أما بعد:

ما زلنا مع العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وذكرنا شيخ الإسلام قد بدأَ في ذكر بعض الأصول التي يتميزُ بها أهل السُنة والجماعة على غيرهم، بعد ذكرهِ لأركان الإيمان الستة إجمالًا ثم تفصيلًا، ذكر من ذلك مبحث الإيمان، ما هو الإيمان الذي نستعملهُ في قولنا الإيمان بكذا، سبق التفصيل في كذا، هنا ذكرَ موقف أهل السُنة والجماعة والصحابة.

الصحابي: هو كل مَن لقيَ النبي ﷺ يقظةً ومؤمنًا بهِ ومات إشهادهِ، ولو كان في لحظةٍ واحدة، فَمَن الصحابي، يُطلَق عمومًا على مَن طالت صُحبتهُ بهذا الذي يُنسَب إليه، أصحاب الكهف مثلًا، قيل لهم هذا؛ لأنهم ماكثون هناك، وهكذا أصحاب النار، وأصحاب الجنة، إلا أن هنا في الصحابة، هذا المعنى اللغوي ليس مُراعًا بهِ، والصحابي: كل مَن التقى بالنبي ﷺ وهو مسلم ومعتمد إسلامهِ، حتى ولو تخللَت رِدةً، الصحيح من أقوال العلماء، المهم يكون قد مات على إشكالهِ.

وقد أدخلَ أهل السُنة والجماعة مدخل الصحابة في كُتب العقيدة، لما ظهرَ الخلافُ فيهم، وأظهرهُ المُبتدِع، وأصبح شعارهم: سبُّ الصحابة وشتمُهُم، وتشييع سُماتهم، والنيلُ منهم، لما أظهروا ذلك بدأَ أهل السُنة والجماعة يذكرون هذه المسألة في كُتبِ العقيدة، لبيان أهميتها؛ لأن الصحابة صحابة النبي ﷺ هم الذين اختارهم الله عَزَّ وَجَلَّ من بين أُمتهِ اختارهم لِصُحبةِ نبيهِ ﷺ لما تميزوا بهِ في العلمِ والعمل والسلوك، فَنسبةُ غيرهم إليهم نسبة عظيمة جدًا، وقد فُضلُّوا أمور على غيرهم بأمورٍ كثيرة، وهذا في الكتاب والسُنة.

أهل السُنة والجماعة يتميزون بحبُهم: كما أنهم يتميزون أيضًا بحب آل البيت، وحب آل البيت عندهُم مُستلزِمٌ لحُبِ الصحابة، وحب الصحابة مُستلزِم لحُب آل البيت، ولا مُنافاة بينهم، وللأسف الذين يسبون الصحابة ما صاروا يكتفون بالسبِ والشتم، إنَّمَا أدخلوه في صميم عقيدتهم، فَمَن صميم عقيدتهم: أن يُسبَ الشيخان: أبي بكر وعُمر، بل جميع الصحابة ما خلا حتى أبقوا عشرة منهم.

هذا أصبح من صميم عقيدتهم، وبعضُ... وهم كُثر، ما يحبون لفظ: العشرة، عندهم ينفرون من لفظ: العشرة، لماذا؟ لأنهُ وردَ في العشرة المبشَّرين بالجنة، وعندهم أشياء يعني يتلقى عنها الصبيان، إلا أنهم قد أضلهم الله على عيونهم، ومن الأصول، المُراد بالأصول هنا: القواعد، طبعًا الأصول تأتي بمعنى: الأصل المقابل للفرق، وهذه أول الإيمان.

وهنا المُراد بالأصول: القواعد، من القواعد المُقررة عند أهل السُنة والجماعة: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رسول اللهِ ﷺ كمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾ [الحشر:١٠] هذا من سلامة أَلْسِنَتِهِمْ، الذين جاءوا من بعد الصحابة، من سلامة أَلْسِنَتِهِمْ، أنهم يقولون عن الصحابة: أنهم إخوانهم، ليس هذا فقط، بل دائمًا يدعُونَ لهم.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠] ، هذا من سلامة أَلْسِنَتِهِمْ، ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر:١٠] هذا من سلامة قلوبهم، وطبعًا سلامة قلوبهم من الغِلِ والحقدِ والبُغض، وكل ما يكون في القلب من المعاني المُعاداة، فَقلوبهم سالمة كما أن أَلْسِنَتِهِمْ سالمة، سلامة أَلْسِنَتِهِمْ من الطعنِ واللعن والسب والشَتم، لماذا؟ لفضلِ الصحابة وسبقهم واختصاصهم، بصحبة النبي ﷺ.

ولما لهُم من الفضل على جميع الأمور، ما من خيرٍ أصابنا ونالهُ، إلا ولهم في ذلك الخير؛ لأنهم هم الذين تَحمَلوا الشريعة عنه ﷺ وبلغوها للبالغ، ولجهادهم أيضًا مع النبي ﷺ ومُناصرتهم لهُ.

إذًا من أصول أهل السُنة والجماعة: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَسَلَامَةُ أَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رسول اللهِ ﷺ.

أيضًا من أصولهم: طاعة النبي ﷺ في قولِه: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**» المُد: هو ملء الكفين المُعتدلين، أن تُقارن بالمُد، تُقارنهُ بجبل أُحد، والمُخاطَب في هذا الحديث: **خالد بن الوليد**، سيف الله، وهو الذي خُوطبَ بهذا الحديث، لما حصلَ منهُ شيء من المعاداة تِجاهًا عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اَللهُ عَنْه وهو من العشرة المُبشرين بالجنة، فإذا كان الصحابة بينهم من التفاضُل بهذا الشكل! فالعشرة المُبشرون نسبتهُم إلى أمثال خالد هذا الفَضل!

فَكيف بغيرهم نسبةً إلى الصحابة! ولذلك أهل السُنة والجماعة دائمًا يستدلون بإحياء الحديث على فضل الصحابة، «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»، ويُفضلون أيضًا من ما يُميزهم في التعامل مع الصحابة.

أولًا: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ، هذا أولًا.

الثانية: مراعاة حقوقهم.

ثالثًا: الإقرار بمراتبهم.

هذا الذي يُبينهُ لنا شيخ الإسلام، نحنُ أولًا للصحابة منا كل الولاء، الولاية، وكل الحُب إلا أنهم يتفاوتون في هذا، هذا الذي يُبينهُ الآن شيخ الإسلام، وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ أَوِ الْإِجْمَاعُ، مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ، مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ، القُرْآن، والسُّنَّةُ والْإِجْمَاعُ، مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ.

إذا أردنا أن نذكُر بعض فضائلهم من القُرْآن والسُنة! لطال بنا المقال، وهنا كُتب الحقيقة جيدة في موقف أهل السُنة والجماعة من الصحابة، وموقف أهل السُنة والجماعة من أهل بيت النبي ﷺ، كُتِب جديرة وخاصةً في مثلِ هذه الاعصار التي كثرت فيها الفِتن، نعم.

فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ - وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ.

**الشيخ:** لا، الأحسن هو ما عندنا: فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ، ثم الجملة الاعتراضية بعدها، وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ، نعم.

عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ، وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الْأَنْصَارِ، وَيُؤْمِنُونَ: بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ -: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»، وَبِأَنَّهُ: لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، بَلْ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ.

**الشيخ:** هكذا، بل كَذَبوا كما أخبرَ بهِ النبي ﷺ، هذا هو المعنى.

بَلْ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

---

**الشرح:**

نعم، ويُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ، وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ؛ لأن صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ: هو الفتح الذي في: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح:١]، المُراد بهِ أن هذا الفتح: صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ، وبعد حصول صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ، دخل الناس إلى الإسلام أفواجًا، ولذلك مَن كانوا مسلمين قبل هذه المرحلة، فلهم ميزة خاصة، لما أسهموا في الدين في الظروف الآسية، نعم.

وهذا هو الحَد على الراجح من أقوال العلماء وبين السابقين الأولين، ومَن بعدها صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ، مَن أسلمَ قبل صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ، فهم السابقون الأولون، طبعًا الأقوال فيها كثيرة، هذا أرجح الأقوال، ويُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ، عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ، طبعًا هذا مُقتبَس من قولهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ الذين أنفقوا قبل الفتح ﴿أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠﴾ [الحديد:١٠].

يُؤمنون أيضًا، فَمَن يُقدمون المهاجرين على الأنصار، أيضًا تقديمُهُم عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ، هذا التقديم، تقديم النوع على النوع، ليس المُراد بهِ تفضيل كل فردٍ من هذه الفئة على كل فردٍ من هذه الفئة، ليس هذا المُراد، مثلًا: أهل بدر، أهل أُحُد، وكذلك مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ، ومَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ، الأنصار والمهاجرون، المهاجرون أفضل من الأنصار.

المُراد بهذا التفضيل: هو تفضيل النوع، ليس تفضيل فردٍ على كُلِ فرد، وَيُؤْمِنُونَ: بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ -: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ».

هذا وردَ في قصة حاطب بن أبي بلتعة، اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، هذا من باب التكريم، كما تعرفون أن الأمر يأتي بمعانٍ كثيرة منها: التكريم، ومنه: الاستهزاء والتهُكم، ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الدخان: ٤٩]، فهنا من باب التكريم.

اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ: ليس معناه أن كل ما سَتعملونهُ لستم مُؤاخذينَ عليه، ليس هذا المعنى، معناه: بدليل أن ما أُخذتهم في الدنيا، معناه: أنهم سَيُقبلون في الآخرة، ومعناه أيضًا: أنهم مُكرَمون، وهذا بخلاف الأمر لما يأتي للإهانة قولهِ مثلًا في قولهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [فصلت:٤٠]، هنا يُراد الإهانة.

و اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ هنا في الحديث: هذا من باب التكريم، فَقَدْ غَفَرْت لَكُمْ، ويؤمنون أيضًا بأنهم لا يدخل النار أحدٌ بايعَ تحت الشجرة، هذا كُلهُ استطراد وذكر لمراتبهم، ومنهم من أهل الشجرة، ومنهم من أهل بدر، ومنهم من أهل أُحد، بَلْ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ «كَالْعَشَرَةِ»، «وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ»، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.

---

**الشرح:**

العشرة المبشرين بالجنة سُموا بهذا؛ لأن النبي ﷺ أخبر بأنهم من أهل الجنة، أخبر بذلك في مجلسٍ واحد، وأنهم مُبشرين بالجنة كلهم، في مجلس واحد قال فيما رويَ عن سعيد بن زيد: «**عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص**».

فَعدَ إلى التسعة وسَكَت، فقال القوم: نُنشدكَ الله يا أبا الأعور، كُنيةُ الراوي، الذي هو سعيد بن زيد، مَن العاشر؟ قال: نَشدموني بالله أبو الأعور في الجنة، الذي هو سعيد بن زيد.

أما شهادة النبي ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس، في القصة المعروفة عند قولهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات:٢].

فَظنَ أنهُ هو المقصود بها، فاحتَبس، وحزنَ بذلكَ حُزنًا عظيمًا، قال النبي ﷺ لما أُخبرَ عنهُ، قال: «**هو من أهل الجنة**»، وأخبر النبي ﷺ لأخرين أيضًا مثل: عبد الله بن سَلام وغيرهِ من الصحابة، وأيضًا وأخبر عن عائشة رَضِيَ اَللَّهُ عَنْها أنها من أهل الجنة وغيرها.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ؛ مِنْ أَنَّ: خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ.

---

**الشرح:**

نعم، تقديمُ أبي بكرٍ رَضِيَ اَللهُ عَنْه، ثم عُمر، ثم عثمان، ثم علي في الفضل مُتفقٌ عليه بينَ الأئمَة، أما الترتيب بين عثمان وعلي رَضِيَ اَللهُ عَنْهما في التفضيل فيه خلاف بين أهل السُنة كشيخ الإسلام أبا حاتم، أما تقديم الشيخين فَلأن لهما كما يقول شيخ الإسلام: من التقدم والفضائل ما لم يُشاركهما فيها أحدٌ من الصحابة، لا عثمان، ولا علي ولا غيرهما رَضِيَ اَللهُ عَنْهما، وهذا كان مُتفقًا عليه في الصَدر الأول إلا أن يكون خلافٌ شام، لا يُعبق بهِ، حتى أن الشيعة الأولى، أصحاب عليٍ لك يكونوا يغتابون في تقديم أبي بكرٍ وعُمر عليه.

وبهذا جاء النقل ثابتًا جميلًا...،من أهل البيت من أبي هاشم من التابعين، والتابعين من ولد الحسين بن علي وولد الحَسن وغيرهما أنهم كانوا يَتولون أبا بكر وعُمر، وكانوا يفضلونهما على علي، والنقول عنهم ثابتة متواترة، كما قال شيخ الإسلام في منهاج السُنة، وكما أشرت سابقًا وقد يأتي ذكرهُ أيضًا عند ذكر الروافض، أن الروافض نشأتهم ترجع إلى رفضِ زيد بن علي بن الحسين، رفضهِ سبَ الشيخين، نعم.

وَكَمَا أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ، مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اَللهُ عَنْهما، بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؛ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟

- فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ، وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ.

- وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا.

- وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا.

---

**الشرح:**

إذًا هذا الأمر كان مُختلفًا فيه، الترتيب بينَ علي رَضِيَ اَللهُ عَنْه وبين عثمان رَضِيَ اَللهُ عَنْه في التفضيل، قال: مُختلفًا فيه، ثم استقر أن أهل السُنةِ على تقديم عثمان، ثم علي، نعم.

وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ: بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ.

---

**الشرح:**

إذًا مسألة الخلافة كان فيها خلاف؛ ولكن استقر أمر أهل السُنة والجماعة على أن عثمان رَضِيَ اَللهُ عَنْه مُقدمٌ على عَلي، حتى في التفضيل استقروا عليه، ومع ذلك لا يُضلَل المُخالف فيها، أما المُخالف في الخلافة، نعم.

لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ، وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ: بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

---

**الشرح:**

نعم، هذا النَص للإمام أحمد، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ، هذا النَص للإمام أحمد، وأيضًا أمر بإجرامهِ ونهى عن مُناقشته، لا شك أنهُ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ، لماذا؟ لمخالفتهِ النَص الجماعي من غير حُجةٍ ولا بُرهان، فهو بلغَ في الضلالةِ مبلغًا، ألحقهُ الإمام أحمد وغيرُه

بأبلد الحيوانات وهو الحمار؛ لأن مسألة الخلافة ظاهرةٌ بَينة، أجمع عليها الصحابة، وهذا يأتي فَيطعَن في الصحابة، لا يكتفي بالخلاف، بل يطعن في الصحابة، فهو فعلًا كما وصفهُ الأئمة، **أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ**، نعم.

**وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.**

---

**الشرح:**

هذه المسألة أيضًا يذكُرها أهل السُنة والجماعة دائمًا، عند حديثهم عن الصحابة، إذا كانوا يتحدثون عن آل البيت، فلا بُدَ أن يذكروا مسألة الصحابة، وإذا كانوا يتحدثون عن الصحابة، فلا بُدَ أن يذكروا مسألة آل البيت، لبيان أن تولي أحدهما يستلزمُ تولي الآخر، وليس مُعاداتهُ كما يزعُم الرافضة، نعم.

**وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ**، طبعًا أهل بيت النبي ﷺ هم بنو هاشم كلهم، ولدُ العباس، وأولاد علي، والحارث بن عبد المُطلب، وسائر بني أبو طالب وغيرهم، هم أهل البيت، نعم، التولي من الولاية، وهو الحب والنُصرة، والولاية بكسر الواو، من الإمارة، نعم.

**وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»، وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ؛ وَقَدْ شَكَا إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ؛ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي».**

---

**الشرح:**

من حُبِ أهل السنة لآل البيت، وتنافسهُم في تروية هذه الروايات الخاصة بحب أهل البيت بإحسان ونقية، وليس مثلَ الرافضة رواياتهم كلها عن فُلان، عن فُلان، هذا من حُبِ أهل السُنة لآل البيت، وآل البيت لهم حقان، فلا بد أن نعترف لهم به:

- حق النَسَب: فهم يعني من نسبٍ هو أفضل نَسَب كما في هذا الحديث الذي شيخ الإسلام، فلهم حقُ القربِ من النبي ﷺ.

كما أن لهم حق الولاية: لأنهم مسلمون، طبعًا هذا الحق لا يكون إلا للمسلمين، خِلافًا لِمَن زعمَ أن أبا طالب مُسلم، وأن فُلانًا مُسلم، وأن فُلانًا مُسلم، بل واختلا أصولًا ليُبرر لنا هذا الانحراف، نحن ذكرنا أن أصول الروافض كم؟ مَن يُذكرني بها؟

الطالب:...

**الشيخ**: الإمامة والولاية واحدة، أصولهم أربعة: التوحيد، والعدل، والولاية، والإمامة، طبعًا أنا كُنت اشتغل باهتمامهم بالنبوة؛ فَسبحان الله اهتمامهم بالنبوة، من الذي يعود منها أن من عقائدهم: أن نَسَب النبي أصلًا وفرعًا، لا يكون فيه إلا مُذنِب، هذا من أصول الإيمان بالنبوة، وإلا كيف تُثبت إيمان اعتقادك، مع تصريح النبي ﷺ بأنهم في... من نار، وأنهُ في جهنم.

إذًا من الأصول عندهم: أن نسبَ النبي، مؤمن كُلُ مَن في نسب النبي، مؤمن أصلًا وفرعًا؛ لأجل هذه المسألة يهتمون بالنبوة، إذًا ليست القضية قضية الايصال، بينما كُل مَن في هذه السلسلة، كلهم مؤمنون، المهم أن مَن يستحِق هذه الولاية منهم: هم المسلمون، وإلا أبو لهب! ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد:١] ، خُصَ بنزولِ سورةٍ مُستقلة وهو مَن؟ نعم، وقال: إذًا لهم حقان:

* حق القرب من النبي ﷺ.

*وحقُ الإسلام.

فإذا وجدنا مثلًا عالمين أحدهم ثبتَ نسبهُ إلى ذُرية عليٍ رَضِيَ اَللهُ عَنْه فلا بُدَ أن نقدمهُ، إقرارًا لحقهِ؛ لأن لهُ منا الحب، يعني حُبَّان:

*حُب لأجل نسبهِ

*وحُب لأجل؟

وكذلك العوام، إذا قالوا مجلس العوام، هذا ذكرهُ الشيخ صادق، وأحدهم وهم يستوون، لا يتميز أحدٌ في العلم، وكان أحدهم أن نسبهُ من ذلك البيت الطاهر، يكون لهُ مكانة خاصة، نعم.

وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»، وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ.

---

**الشرح:**

إذًا هذا الحديث صريح في تفضيل نسبِ النبي ﷺ، بل استدَلَ بِهِ بعض العلماء، ومنهم شيخ الإسلام على تفضيلِ العرب عمومًا على غيرهم، وهذا الاستدلال قد لا يُوَافق عليه، إلا أن هذا الحديث ذكرهُ شيخ الإسلام وكفارة فيه في اقتضاء الصراط المستقيم، استدلَ بِهِ على تفضيل العرب عن غيرهم، وهو نصٌ في تفضيلِ نسب النبي ﷺ، وأهل السُنة والجماعة يؤمنون بِهِ.

ويؤمنون أن أفضل نسبٍ: هو نسب النبي ﷺ، نعم، ومن هنا يبدأ شيخ الإسلام ليذكُر اعتقاد أهل السُنة والجماعة في أزواج النبي ﷺ، هذه أيضًا مسألة مُتصلة بالمسألتين الأوليين، هم من جهة: صحابيات، ومن جهة: لهم صلة بأل بيت النبي ﷺ، نعم.

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُقِرُّونَ: بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ، خُصُوصًا «خَدِيجَةَ» أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَلِيَّةُ، «وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ» الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

---

**الشرح:**

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، من فضلهنَ أنهن: أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، يُؤمِنُنَ أنهُنَ أزواجهُ في الآخرة، هذا يعني خِلافًا للروافض الذين يرون أن رأيهم فيهن كَرأيهم في باقي الصحابة، ولا شك أن أزوج النبي ﷺ داخلة في آلِهِ، هذا لا يختلف فيهِ أحدٌ من أهل السُنة والجماعة؛ لأن هذا ورادٌ في خطاب الله سُبْحَانَهُ للنبي: ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب:٣٣].

أما ما وردَ في ما رواهُ مسلم عن عائشة رَضِيَ اَللهُ عَنْها أنها قالت: خرج رسول الله ﷺ غداةً وعليه مرطٌ مُرحَل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عَلي فأدخلهُ، ثم جاء الحُسين فأدخلهُ معَه، ثم جاءت

فاطمة، فأدخلها معَه، ثم جاء عَلي فأدخلهُ ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣]، هذا الحديث ليس معناهُ أن غيرهم ليس من أهل البيت؛ ولكن معناه أن مَن ذُكروا هنا هم يستحقون هذا أكثر من غيرهم.

مثل ما وردَ في قولهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة:١٠٨]، هذا وردَفي مسجد قُباء، ومع ذلك سُئلَ النبي ﷺ عن المسجد الذي أُسس على التقوى، فقال: «**هو مسجدي هذا**»، فيما رواهُ الإمام مسلم، أي مسجد النبي ﷺ معناه: أن المسجد الذي وَردَت فيه هذه الآية إذا كان مسجدًا أُسسَ على التقوى، فهذا المسجد أولى من هذا الباب، وإلا الآية نزلت في أهل قُباء.

إذًا معنى هذا الحديث: الخاص بأهل الكساب والكنوز، معناه: أنهم من أخص مَن يُطلَق عليهم هذا اللقب أنهم أهل البيت، أما الدخول لأزواج النبي ﷺ في آل البيت، هذا ما شكَ فيهِ وهكذا لما جاءت الملائكة إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود: ٧٢، ٧٣].

هي من أهل البيت، فهذا مذهب أهل السُنة والجماعة، ولا شكَ في أن أزواج النبي ﷺ من جِهاتِ شرفهِن أنهن من أهل البيت، وأنهن صحابيات، وأنهن أُمهات المؤمنين، وأنهن أيضًا أزواج النبي ﷺ، نعم.

وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ:

- طَرِيقَةِ «الرَّوَافِضِ» الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ.
- وَطَرِيقَةِ «النَّوَاصِبِ»، الَّذِينَ يُؤْذُونَ «أَهْلَ الْبَيْتِ»، بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

---

**الشرح:**

طبعًا الروافض كما ذكرت بدايتهم كانت لما طلبوا من زيد بن عَلي بن الحسين، طلبوا منهُ أن يتبرأ من الشيخين، فَرفضَ أن يتبرأ من الشيخين وأبناء الشيخين، وقال هذا ديني ودين آبائي، قالوا: إذًا نرفُضك، نرفض إمارتك، هو قال: أنا أرفضكم يعني عبارة قليل مثل هذه، ومن هنا سُموا روافض، والرَّوَافِضِ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ ويرمونهم وَيَسُبُّونَهُمْ ويشتمونهم، بل هذا من أصلهم.

أما النَّوَاصِبِ: فليست هناك فرقة خاصة، تُسمى: النَّوَاصِبِ، ليست هناك فرقة مُستقلة تُسمى النواصب، إلا أن أهل السنة لما يأتون إلى ذكر الروافض يذكرون أيضًا النواصب، النواصب هم الخوارج؛ لأن الذين كَفروا الصحابة ومنهم آل البيت، هم الخوارج، فهم نفس الخوارج إلا أنهم يُسمون في هذا الباب نواصب، لمناسبتهم المعاداة لأهل البيت، وليس هناك فرقة تحمل هذه العقيدة، فرقة خاصة تحمل هذه العقيدة وهي مُعادة أهل البيت.

وكما تعرفون أن الروافض إلى الآن يرمون أهل السُنة؛ لأنهم نواصب، كلُ مَن يُخالفهم، يرمونهُ بأنهُ ناصب، وكما قُلت ليست هناك فرقة مُستقلة غير الخوارج يحملون هذه العقيدة، على كل حال كل مَن يأذي أهل البيت بقولٍ أو عملٍ فليس لهُ من النسبة لأهل شيء، لس من أهل السنة في شيء، هذا ليس من أهل السنة.

إلا أن أهل السُنة والجماعة يَدعون: أن تولي أهل البيت لا يُنافي تولي الصحابة، وأن تولي أحدهم يستلزم تولي الآخر، أما الروافض فعندهم أصل من أصولهم: **لا ولاء إلا ببراء**، لا يمكن أن تتولى آل البيت إلا بعد أن تتبرأ من الصحابة، هذا أصلهُم، أما عند أهل السُنة والجماعة فَحُب آل البيت يستلزم حُب الصحابة ولاءً، نعم.

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ:

مِنْهَا: مَا هُوَ كَذِبٌ.

وَمِنْهَا: مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ، وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ.

وَالصَّحِيحُ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ:

- إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ.

- وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ، بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ، حَتَّى إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ»، وَأَنَّ «الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ؛ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ»، ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِينَ هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ. أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

الطالب:...

**الشيخ**: لا، إذا كان من أهل السنة لا، أي زيادة من النُسخ الأُخرى فلا، إذا كانت نُسَخٍ أُخرى، أما من كتاب آخر نعم.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ بِالْأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَأُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ، ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ، مِنْ: الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

---

**الشرح:**

هذا الأصل أيضًا يتعلق بالصحابة، وهذا أصلٌ مهمٌ جدًا انحرف فيه حتى بعض أهل السُنة، بعضٌ مَن يمتسَ إلى السُنة، لم يُصِب في تعاملهُ في هذا الأصل، هذا الأصل يتضمن ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الإمساك عما شجرَ بينهم.

الأمر الثاني: الاعتذار في الآثار المروية في مساوييهم، أو توجيه المرويات المروية في مساوييهم.

الأمر الثالث: ما يقعُ منهم من ذلك فلهُ كالصراط يُناديهم.

أما الأصل الأول: فأهل السُنة والجماعة يمسكون عما شجرَ بين الصحابة، عما شجرَ: أي ما حصلَ، وطبعًا الشِجار سُميَ شِجارًا؛ لأنهُ يحصلُ فيهِ اشتباكٌ واختلاف، وأصل التشاجر هو التَداخل، ولذلك سُميت الشجرة بهذا الاسم لتداخل فروعها، أهل السُنة يمسكون عما حصلَ بين الصحابة من الاختلاف والشجار، ما يُهم الإمساك، هذا مهم جدًا.

ما لم يعُم الإمساك، الإمساك اللفظي والإمساك القولي وهو واحد، وما يدورُ في القلب، ويعم أيضًا على العمل والكتابة والحكاية والاسماء والإكراه، يعُم ذلك كُلَه، فَكلُ ما كان من قبيل القولِ أو العملِ في جميع التصرفات، كلامًا كان، أو كتابةً كان، أو تعنيفًا كان، أو عملًا كان فهو يمسكون هذا، ولذلك لن تجد إلا أهل السُنة والجماعة قديمًا أنهم أَلفوا كتابًا مُستقلًا فيما شجرَ بين الصحابة، مع أهمية الموضوع، أليس كذلك؟ موضوع مهم جدًا.

ومع ذلك إيمانًا بهذا الأصل: لن تجد عندهم تفصيلًا لهذه الأمور، وأنهم أَلفوا كتابًا في هذه المسائل الخاصة، إلا ما كُتبَ في التاريخ، هذا بابٌ آخر، في التاريخ العام، لما يأتي إلى ذكر هذه المرحلة يذكرون تفاصيلها، هذا ليس من أهل السنة؛ ولكن أن تجد أن أحدًا منهم أَلفَ كتابًا مُستقلًا فيما شجرَ بينهم، هذا لا تجدهُ والله أعلم، ولذلك بعض المُنتسبين إلى السُنة الآن والذين خَصصوا هذا الموضوع بأشرطةَ وبمحاضرات.

هذا ليس من الإمساك فيما شجرَ بين الصحابة، لا يتكلمُ في ذلك إلا بقدرِ الحاجة، إذا كانت الحاجة ماسة، وإلا هذا هو الأصل، يمسكون عما شجرَ بين الصحابة، هذا أصلٌ مهم جدًا، ولذلك لم يخوضوا في هذا الباب لآثارهُ الواهية، وهذا ليس من ما جاء بهِ أهل السُنة والجماعة، أنا قُلت أولًا: هذا الأصل يتضَمن ثلاثة أمور:

أولًا: **الإمساك عما شجرَ بينهم**، وذكرت ما لم يُمسَك.

ثم **الاعتذار عن الآثار المروية في مساوييهم، أو توجيه الآثار المروية في مساوييهم**، توجيهها يكون من ثلاثة أمور والتي ذكرها شيخ الإسلام:

أولًا: يقولون أن هذه الآثار المروية في مساوييهم، منها ما هو كَذِب، هذا التوجيه الأول، كما تعرفون أن بعضَ وأكثر الروايات في هذا الباب مثل لوط بن يحيى، الذي يُكثر عنهُ الإمام ابن جريح في تاريخهِ، وكذلك رواة آخرون، هؤلاء الروافض؛ ولكن عُدوا للأئمة كابن جليل وغيرهِ أنهم معروفون عندهم، أبو مخنف هذا غريب علينا، عندهم معروف.

كل رواية يذكرها لابن جليل أن أبي مخنف كأنهُ قال لك: خُذ هذه الرواية وراويها هناك، أما الآن عندنا أحد الأخوة كَتَب رسالة مُستقلة في روايات المخنف، في تعريف ابن جليل، إذًا عُذرهم معهم؛ ولكن لا بد أن نعرف أن كثيرًا منهم كَذِب، واختُلقَ لتشويه سُمعة الصحابة، هذا أولًا، منهم وهو الكّذب.

وَمِنْهَا: مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ، وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ:

- إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ.

- وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

---

**الشرح:**

الأول: أن مِنْهَا: مَا هُوَ كَذِبٌ، وهذا كثير

ثانيًا: وَمِنْهَا: مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ، وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، هذا اثنين، وَالصَّحِيحُ من هنا ثلاثة، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ:

- إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ.

- وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

أولًا: مِنْهَا: مَا هُوَ كَذِبٌ.

ثانيًا: وَمِنْهَا: مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ، وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، ولهُ أسباب كثيرة، منها فَهمُ الراوي، الراوي فهمَ من الرواية هذا الذي ذَكرَه، ومنها الأغراض الأُخرى، الرواية صحيحة؛ ولكن زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ، أيضًا غُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، هذا كلهُ حصلَ فيما يتعلق بالصحابة، وَالصَّحِيحُ مِنْها: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ:

- إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ.

- وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

إذا أخرجنا ما هو كَذِب، وأخرجنا ما زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ، وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، لا يبقى إلا القدر الذي هم فيه مُجْتَهِدُونَ، وهم بين أمرين: مُجتهدٌ مُسيب مأجور. ومُجتهدٌ مُخطئ.

هذا هو التوجيه الصحيح فيما شجرَ بين الصحابة؛ ولكن هل يعني أنهم معصومون؟ يقول شيخ الإسلام:

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ، بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ، حَتَّى إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

---

**الشرح:**

إذًا الأمر الرابع: إن جعلناهُ رابعًا أو توجيهًا لما سَبَق، هم مع ذلك يعني أهل السُنة، مع كل هذه التوجيهات لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ، لَا يَعْتَقِدُونَ فيهم هذا؛ ولكن ليس معنى عدم عصمتهم، أنهم قد ولجوا في المعاصي بهذا الشكل الذي يُرى في التعريف أبدًا، فهذه التوجيهات التي ذكرها شيخ الإسلام فيما شجرَ بينهم، وهذه هي التي نعتقدها، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، هذان الأصلان:

الأصل الأول: الإمساك.

الأصل الثاني: توجيه ما رويَ فيهم من الروايات.

ثالثًا: قُلنا ما يقعُ منهم من ذلك، فلهم مُكفِرات عديدة.

الجزء الأخير: هو ما يقع ما ذكرَ منهم من الذنوب، فلها مُكفرات عديدة ذكرها شيخ الإسلام، ذكر هنا ثلاثًا:

أولًا: السوابق

ثانيًا: مُضاعفة الحسنات

ثالثًا: كثرة مُكفرات الذنوب.

كثرة مُكفرات الذنوب، هذا بالنسبة لعموم المسلمين، ولهم من ذلك أوفرُ نصيب، للصحابة من ذلكَ أوفرُ نصيب، إذًا ولهم من السوابق، هذا أولًا.

وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ، حَتَّى إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

---

**الشرح:**

أيضًا مَن بعدهم منهم في نصيبهم في الحسنات، فلذلك ما يُغفر لهم من السيئات، ليس كذلك من بعدهُ كذلك؛ لأنهم يُغفر لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، هذا أولًا، هذا وقد ثبتَ من هنا مُضاعفة الحسنات، أولًا قُلنا: السوابق، ثانيًا مُضاعفة الحسنات.

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ»، وَأَنَّ «الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ؛ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ».

---

**الشرح:**

إذا قال أحدنا ممَن بعدهم، لا ينالُ أجر مُدَ أحدهم حتى ولو أنفق مثل أُحدٍ ذهبًا، فانظُر في هذه المُضاعفة، أين حسناتهم؟ أو أين حسنات مَن بعدهم من حسناتهم؟ هذا تأكيد لما ذكرهُ: بأن لهم مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

أولًا: حسناتهم مع هذا أكثر.

ثانيًا: مُضاعفة حسناتهم.

ثالثًا: قُلنا كثرة مُكفرات الذنوب.

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِينَ هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ بِالْأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَأُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ.

---

**الشرح:**

إذًا ذكرَ بعض المُكفرات: التوبة، الحسنات، فضلُ السابقة، صفات النبي ﷺ وأنهم أولى النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أو الابتلاءات التي أُبتلُوا بها، يعني كلها في الدنيا تُكفَرُ بها الذنوب، إذًا ما وقعَ منهم من الذنوب لهُ مُكفِرات عديدة كما ذكرنا: السوابق، ومضاعفة الحسنات، كثرة مُكفرات الذنوب بالنسبة لهم، وهنا الآن يُلخِص شيخ الإسلام ما سبَق.

ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ، مِنْ: الْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

---

**الشرح:**

ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ، يعني انظُر فيه وفي ما يُقابلهُ من فضائلهم، لا مناصرة بينهم، قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ، ذكرَ هنا بعض المحاسن:

أولًا: الْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ، وأنهم سبقوا في ذلك الأخرين، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، هذه كلها محاسنهم، وأنهم فاقوا فيها كلُ مَن يأتي بعدهم، إذًا هذا الذي يُحكى عما صدرَ منهم من الذنوب، لا مُقارنة لهُ إذا قارنتهُ بحسناتهم، هذه خُلاصة موقف أهل السُنة والجماعة في الصحابة، لذلك في الفقرة الأخيرة أيضًا يؤكد هذا شيخ الإسلام ويقول:

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ هُمْ صَفْوَةُ الصَّفْوَةِ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ.

---

**الشرح:**

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وأنها تتعادل أيضًا؟

الطالب:...

**الشيخ**: كيف؟

الطالب: قبل الأخيرة قبل وبصيرة، بِعِلْمٍ وَعدْلٍ وَبَصِيرة.

**الشيخ**: كل هذا أُضيف، وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَعَدْل، وَمَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ هُمْ صَفْوَةُ الصَّفْوَةِ مِنْ قُرُونِ هذه الْأُمَّةِ، الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا على اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ:

التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللهُ على أَيْدِيهِمْ؛ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، فِي:

- أَنْوَاعِ الْعُلُومِ، وَالْمُكَاشَفَاتِ.

- وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ، وَالتَّأْثِيرَاتِ.

وَكَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ، فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هذه الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الْأُمَّةِ.

وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

---

**الشرح:**

هذا المبحث مبحث الكرامات عادةً يذكره أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة في باب النبوات؛ لأن... في باب النبوات؛ لأن الكرامة، الكرامة: هي صدور الأمر الخارق للعادة إذا كان من غير نبي، أما الأمر الخارق للعادة إذا صدر عن نبي هذا يُسمي المواجهة، وإذا كان غير نبي من الأولياء، من أقران الأنبياء هذا يُسمي كرامة الكرامة، الكرامة: سمية كرامة؛ لأن فيها إكرامًا لمن حصل منهم.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللهُ على أَيْدِيهِمْ؛ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ كرامات الأولياء طَبْعًا مذهب أهل السُّنَّة كما ذكر الشيخ إسلام هنا إثباتها والإيمان بها، والإيمان بكل ما ورد في هذا الباب، والإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ لما عقد بابًا مستقلًا في صحيحه؛ باب دلائل النبوة في الإسلام، وَهذا الباب طويل ذكر فيه أكثر أربعين حديث، وذكر فيها المعجزات، وذكر فيها الكرامات لماذا؟ لأن الكرامة تدل على نبوة البني أن الكرامات من أدلة صدق الأنبياء؛ لأن لإيمان هذا الولي بالنبي حصلت له هذه الكرامات.

لذلك ذكر فيها قصة أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع ضيوفه وزيادة الطعام، وذكر فيها كثيرًا من الكرامات، وذكر فيها المعجزات لماذا؟ لأن كما قلت الكرامات من أدلة صدق الأنبياء، وأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يُؤمنون بها ويُصدقون بكل ما ورد فيها أشار إلى بعضها هنا شيخ الإسلام الَّذِي ورد في سورة الكهف هؤلاء أولياء الله عَزَّ وَجَلَّ.

**والولي عند الله أهل السُّنَّة**: كل مؤمن تقي نقي من غير الأنبياء هو الولي؛ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، أما الولي عند..، فيختلف، تعرفه أعقد من ذلك.

إِذًا يؤمنون بكرامات الأولياء، من يخالفهم في هذا الأمر طائفتان، ومن يوافقهم أيضًا في هذا الأمر طائفة الأشاعرة، الأشاعرة يوافقون أهل السنة والجماعة في الكرامات إِلَّا أن إثباتهم للكرامات ليس كإثبات أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، الأشاعرة يرون أن الكرامة؛ الفرق بين الكرامة والمعجزة عند الأشاعرة: أن الكرامة تكون لغير مدعي النبوة، والمعجزة تكون لمدعي النبوة.

إِذًا الفرق بينهما: هو دعوى النبوة، وإلا الكرامة مثل المعجزة في كونها خارقة للعادة، إيش الفرق؟ دعوى النبوة، إذا صدرت خوارق العادات لمن يدعي النبوة، فهذه معجزة، وإذا صدرت عمن لا يدعي نبوة، فهٰذِه كرامة، وهذا خطر، وهذا الخطر يتبن من تفسير خارق للعادة، ما هي خوارق العادات؟ خوارق العادات هي الَّتِي لا تكون على السنن الكونية المعروفة.

**مثلًا**: ليس من المعروف أن...، إذا قام أحدنا وصار ولي هذا يُعرف أن هذا خارق للعادة، ولكن خوارق العادات على قسمين؛ يَعْنِي خارق لهذَا بالعلم هنا يتبين الفرق بين الخوارق الخاصة بالأنبياء المعجزات، وبين الخوارق الَّتِي تكون للعلوم، الخارق للعادة في المعجزات هي من الخوارق لعادة الثقلين؛ الجن والإنس والملائكة، لا يستطيع أحد من المخلوقين أن يأتي بمثله.

أما خوارق العادات بالنسبة للأولياء، فهي تكون خارقة لعادة بعض الناس دون البعض، أو تكون خارقةً لعادة الناس في زمان دون زمن، قد تكون من الخوارق الآن، وبعد مدة قد لا يكون كذلك.

إِذًا هي أدنى من خوارق العادات الخاصة بالمعجزة أدنى منها، ليست مثلها، وَهذا الفرق ركز عليها شيخ الإسلام في النبوات؛ لأن لأجل عدم الفرق بين خوارق العادات في المعجزة وبين خوارق العادات في الكرامة أنكرها المعتزلة، المعتزلة أنكروا الكرامات لماذا؟ قالوا: إذا أثبتنا الكرامات تمتلئ الشبهات في المجتمع، يستلزم أن يكون الغني... نبيًا عنده خوارق العادات، وعنده...

لذلك قالوا: لا نؤمن بكرامات الأنبياء،... لماذا هذه خوارق وتلك خوارق؟ والأشاعرة أثبتوه، وقالوا هذا هو الحق إذا كانوا من مدعي النبوة، فهذه معجزة، إذا من مدعي النبوة فَهٰذِه، طَبْعًا هذا ليس فرقًا، بل هناك فرق في قوة خوارق العادات، فما يكون للأنبياء لا يمكن لأحد أن يأتي بجنسه، لا يمكن.

فمثلًا: من المعجزات الَّتِي ثبتت للنبي ﷺ: نبع الماء من بين أصابعه، العلم مهما تطور هل يمكن أن يأتي بهذا؟ لأن هذا خلق جديد، الله عَزَّ وَجَلَّ خلق هنا الماء ينبع من بين أصابعه، وهذا لا يمكن لأحد يأتيه، لا يمكن.

إِذًا هناك فرق في خوارق العادات الخاصة بالأنبياء، وخوارق العادات الخاصة بالأولياء، والخلاصة: أنه لا تساوي بينهما، خوارق العادات في الكرامة لا تساوي خوارق العادات في المعجزة.

الطالب:...

**الشيخ**: الفرق بين خوارق السحرة والمشعوذين، وبين كرامات والمعجزة: أن خوارق السحرة أشياء تُتعلم هي خوارق للعادة عندي وعندك، أما عندم هذه الأمور تُتعلم ترى، السحر يُتعلم، هي أمور تُتعلم ولها ما يُعلمها، إِذًا هي ليست خوارق للعادة، الولي الَّذِي تحصل منه كرامة قل له: جبها مرة ثانية، ما يستطيع؛ لأنها ليست بيده حصلت منه بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولهذا قوم نوح لما قالوا له: ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [هود:٣٢، خلصنا قَالَ: ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [هود:٣٣] هذا ليس بيدي، إِذًا خوارق العادات والمعجزات ليست لا بيدي الأنبياء، ولا بيدي الأولياء.

أما السحر؛ الساحر لما يفعل شيء باستمرار، طالب منه هذا الشيء؛ لأنه تعلمه، إِذًا هذه الأمور تُتعلم، وهٰذِه الأمور يَعْنِي تُكتسب، وهناك فروق كثيرة منها: أن هذه الخوارق تكون لكل من كان أقرب إلى الزندقة إلى الكفر كانت عنده هذه الخوارق الشيطانية، أما الكرامات فلا تكون إلا للأولياء، من الفروض: أن الكرامات تزيده من الإيمان، أما خوارق السحرة تزيدهم كفرًا.

إِذًا قلنا مذهب المعتزل إنكار الكرامات لماذا؟ لما يلتبس بالمعجزات، مذهب الأشاعرة إثبات الكرامات، ولكن قلت إثباتهم ليس مثل أهل السُّنَّة، طَبْعًا مسألة النبوة عمومًا من المسائل التي يَعْنِي قلة

فيها كتابات أهل السُّنَّة من حيث العموم، لماذا؟ لأن المخالفين فيها يَعْنِي إِمَّا الفلاسفة والمتفلسفة ولكن المخالفون الذين هم كالأشاعرة والماتريدية خلافتهم دقيقة فيها.

يَعْنِي أنا سُبْحَانَ اللهِ يَعْنِي حتى عندك كتابات أهل السُّنَّة إذا استثنينا كتابات شيخ الإسلام، وابن القيم فيها قليلة فيها، يَعْنِي كتاب النبوات مثلًا لشيخ الإسلام ذَكَرَ فيه بعض الأمور المهمة جدًا الَّتِي فيها فوارق بين منهج أهل السُّنَّة وبين مذهب الأشاعرة، في كتابات ذكرها، ولكن ليست هناك كتابات يَعْنِي تُلخص أو توضح هذه الأمور.

بينما مثلًا باب الصفات كُتبت فيه كتابات ما شاء الله كثيرة ومتعددة وبأحجام مختلفة، وهذا الباب بحاجة إلى من يكتب فيه؛ لأن هذا الباب يَعْنِي باب الأشاعرة يثبتون النبوة ويفتحون الباب لكل من... نفسه من الأشاعرة...

والفرق بين المعجزة والكرامة عندهم شيء خطير جدًا، وتعريف المعجزة عندهم وربطه بالتحدي هذا أَيْضًا له طوابع كثيرة، المهم يَعْنِي شحذ هممكم للكتابة للقراءة في هذا الباب؛ لأن الكتابات فيها قليلة.

بقية الإشارة إلى فرقة هي على الطرف النقيض للمعتزلة وهم الصوفية أثبتوا كرامات الأولياء، ولكن فتحوها لجميع الدجالين، كل ما يكون من الدجالين فهو عندهم كرامة ولي؛ لذلك في البلاد التي يكون فيها غلبتهم كل من يدعوا إلى السنة هذا يتنفس...، هذا لا يُثبت الكرامة.

مذهب أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة كما قَالَ شيخ الإسلام: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا أنك ما لم تُصدق بكل خرافاتهم سيتهمونك بأنك ممن تتنكر في الأولياء، وممن لا يُثبت كرامة الأولياء، إِذَاْ مذهبان متقابلان الصوفية والمعتزلة، وأهل السُّنَّة يُثبتون والأشاعرة أَيْضًا يُثبتون، ولكن هناك فرق بين إثبات الفرقين.

يقول: وَمَا يُجْرِي اللهُ على أَيْدِيهِمْ؛ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ ذكر النوعين من خوارق العادات:

النوع الْأَوَّلُ: في أَنْوَاعِ الْعُلُومِ، وَالْمُكَاشَفَاتِ؛ أن ينكشف له ما ليس كذلك من غيره ككشفة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو يسكن في المدينة قَالَ: يا ساري الجبل يا ساري الجبل، وكان في بلاد الفرس

المجاهدين هناك، نبههم أن يلتجئوا إلى الجبل، يا سارية الجبل، فذهبوا والتجئوا إلى الجبل ونجاهم الله عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا كانوا فيه هذه كرامة.

**كرامة من الطرفين**: كرامة من عمر لعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكرامة أَيْضًا للسارية حيث سمع أهل السارية، هذا من باب خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات كمثال.

**النوع الثَّانِي**: وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ، وَالتَّأْثِيرَاتِ؛ وَهذا هو الغالب فمثلًا تحصل له من الأمور الَّتِي تتعلق بالقدرة ما لا يكون في العادة في ذلك كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر الأُمَّة من الصحابة والتابعين، وسائر قرون الأُمَّة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة.

ومن المسائل المتعلقة في هذه المسألة: أن الولي دائمًا تابع للنبي، فلا تحصل له الكرامة إِلَّا باتباعه للنبي، والأنبياء كله أفضل من الأولياء، بل نبي الله أفضل من جميع الأنبياء إذا اجتمعوا، ومن الخطأ والخطر ما ذهب إليه بعض الصوفية من نظرية خاتم الأولياء، وَهٰذِه النظرية اخترعها على ما أظن الحكيم الترمذي الَّذِي يلتبس كثيرًا مع الإمام الترمذي وكلهما من ترمذ.

الحكيم الترمذي صاحب بوادر الأصول للقرن الخَامِس، أما الإمام الترمذي تُوفي سنة ٢٧٩ يَعْنِي متقدم، الحكيم الترمذي صوفي، والإمام الترمذي إمام من أئمة السُّنَّة، هو إلا اخترع نظرية خاتم الأولياء، وهٰذِه النظرية من المؤمنين فيها... المعروف، بل مما ذكره أن طَبْعًا هذا فيه تنقص من النبي ﷺ من الأنبياء عمومًا ومن النَّبِيّ ﷺ خصوصًا.

النَّبِيّ ﷺ لما ذَكَرَ: «وَأَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةْ» لما ذَكَرَ ختمه للأنبياء «وَأَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةْ» ذَكَرَ هذا الزنديق أن الولي ينظر إلى نفسه من لبنتين: ظاهرة وباطنة، من حيث اللبنة الظاهرة هو تابع للشرائع، أما من حيث اللبنة الباطلة فهو يتلقى ممن ما يتلاقاه جبريل مباشرة، إِذًا يُفضل نفسه هنا.

وَعَلَىٰ أَيْضًا مذهب الروافض؛ الروافض يفضلون الأئمة على الأنبياء باستثناء قالوا: محمد ﷺ، أما غيره قالوا: جميع الأنبياء الأئمة أفضل منهم.

ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

اتِّبَاعُ: آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ: سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.

---

**الشرح:**

أَيْضًا ذَكَرَ شيخ الإسلام تلك المميزات من أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، بدأ أَيْضًا يسرد بعض الأمور الَّتِي تُميز منهج أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة في هذه الفقرة طَبْعًا سيذكر ما يُميزهم في أمور الدين في فصوله وفروعه وأوساطه الَّتِي يتميزون بها.

في هذه الفقرة خاصةً ذَكَرَ تميزهم في التعامل مع الأدلة، هذه فقرة طويلة خصصها لبيان تميزهم في التعامل مع الأدلة ومصدر التَّلَقِّي، يَعْنِي تميزهم في التعامل مع الأدلة وتميزهم في مصدر التَّلَقِّي، وكل ما ذكره هنا تتلخص في خمسة أمور كل ما ذكره في هذه الفقرة تتلخص في **خمسة أمور**:

الأمر اَلْأَوَّلُ: تحدد مصادر التَّلَقِّي.

الأمر الْثَّانِي: اعتبار فهم السلف الصالح، الجميع يقولون نحن نتبع الكتاب وَالسُّنَّة، ما يُميز أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة أنهم يتبعون سلف هذه الأُمَّة، ويتبعون منهجهم وفهمهم ويسلكون ما يفهمونه في أصول الدين وفروعه؛ إِذَاْ اعتبار فهم السلف الصالح.

الأمر الْثَّالِث: بعد ذكر اعتبار السلف الصالح خصص في الأمر الثالث تخصيص الخلفاء الراشدين بمزيد من الإثبات، لورود الوصية الخاصة بهم ولما لهم من مكانة، هذا الأمر الْثَّالِث.

الأمر الرَّابِع: تعظيم الكتاب وَالسُّنَّة، وهذا من تقديم الشيء لديهم.

الأمر الخَامِس: الَّذِي ختم به هذه الفقرة: وزن كل ما له ماس بالأصول الثلاثة الَّتِي ذكرنا.

وهذه الفقرة يَعْنِي كما رأينا فقرة جدًا جدًا، وهي فعلًا تُبين تميز منهج أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة في التعامل مع الأدلة؛ لأن كثيرًا من جرائم الناس، كثيرًا من خلافات الناس هي لسبب ضلالهم التعاون مع مصادر التَّلَقِّي في تحدد مصادر التَّلَقِّي، هذا يتلقى من الأخذ، وهذا يتلقى من الفلسفة، تحدد مصادر التَّلَقِّي، وأيضًا عدم الاقتداء بهم؛ لفهم السلف كلٌ يجد على طريقته، كل هذه الأمر سبب تميز منهج أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

الطالب:...

**الشيخ**: هو وزن كل ما عليه الناس بالأصول الثلاثة، الأصول الثلاثة الَّتِي يذكرها الكتاب وَالسُّنَّة وَالْجَمَاعَة أهل السُّنَّة يزنون بهٰذِه الأمور الثلاثة كل ما عليه الناس، هذا هو الميزان عندهم.

**ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: اتِّبَاعُ: آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا**، هٰذِه كَمَا ذَكَرْت مرارًا وتكرارًا أن عبارة شيخ الإسلام في هذه العقيدة يَعْنِي عبارات ملخصة موجزة ومركزة جدًا، هو يقول: **اتِّبَاعُ: آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا** الاتباع هذا اللفظ يدل المتابعة عن علم وبصيرة، الاتباع إِذًا هم يتبعون آثار رسول الله ﷺ عن علم وبصيرة، إِذًا المتبع يختلف عن المقلد، فطريقتهم الاتباع، وليس التقليد.

**اتِّبَاعُ: آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا** هذا يشير فيه إلى الإخلاص والمثابرة، إِذًا الأمر الأول الَّذِي ذكرناه تحدد مصادر التَّلَقِّي اتباع أثار رسول الله ﷺ ظاهرًا وباطنًا هذا فيه تحديد مصادر التَّلَقِّي.

وَاتِّبَاعُ: سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.

---

**الشرح:**

هذا فيه اعتبار فهم السلف الصالح، وهذا الأصل منه يَعْنِي يتميز به أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة ويتقيدون به، ويُرجعون إليه خلافهم، وهم يتقيدون بفهم السلف الصالح من النصوص هذا الأمر الْثَّانِي، الأمر الْثَّالِث:

وَاتِّبَاعُ: وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيْثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

---

**الشرح:**

إِذًا خصص الخلفاء الراشدين في ورود هذه الوصية الخاصة بهم ولما لهم من المنزلة والمكانة؛ عَلَيْكُمْ هذه الكلمة عَلَيكم هي تكفي، لم يكتفي بها ﷺ، بل قَالَ: «تَمَسَّكُوا بِهَا» هل في فيها من جديد؟ ليس فيها من جديد، تأكيد لكلمة عليكم، لم يكتفي بها: «عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ».

لذا قوله: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ»، «تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» ما معناه؟ أنه ما يُخالفها لا تسلكوه، مع ذلك خصص المخالف ما يخلفها حيث قَالَ: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» كل هذا التأكيد لبيان هذا الأصل الأصيل.

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ اللهِ.

---

**الشرح:**

هذا الأمر الرَّابع؛ وهو تعظيم كتابة الله وسنة رسوله ﷺ.

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيُؤْثِرُونَ كَلامَ اللهِ على غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ على هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ، وَبِهَذَا سُمُّوا: أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ. وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ.

---

**الشرح:**

الطالب:...

**الشيخ:** نعم وضدها أفضل، وإن كانت.

وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ، وَالْإِجْمَاعُ: هُوَ الْأَصْلُ الثَّالِثُ؛ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ.

---

**الشرح:**

إِذًا هم يُعظمون كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولا يُقدمون شيئًا على الكتاب وَالسُّنَّة، أما غير المذكر له مصادر كثيرة، ولهم ما يكتفون به من مصادر الإلهيات وغيرها... وكنظريات وفلسفيات، أما أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فَهذا هديهم وَهذا منهجهم عدم تقديم الشيء على الكتاب وَالسُّنَّة.

وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ.

---

**الشرح:**

الأصول الثلاثة هي الكتاب وَالسُّنَّة الإجماع.

وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ، مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

وَالْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الِاخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَتِ الْأُمَّةُ.

---

**الشرح:**

إِذًا هذه الأمور الخمسة هي من أهم الأمور الَّتِي تُميز منهج أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة في التعاون مع الأدلة وَأَيْضًا في مصادر التَّلَقِّي.

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ:

يَأْمُرُونَ: بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.

وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ: الْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالْجُمَعِ، وَالْأَعْيَادِ؛ مَعَ الْأُمَرَاءِ؛ أَبْرَارًا كَانُوا، أَوْ فُجَّارًا.

---

**الشرح:**

بين شيخ الإسلام هنا في هاتين الفقرتين تميز أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة في المسلك العملي وتميزهم أَيْضًا في التعامل مع ولاة الأمر، وتميزهم أَيْضًا في باب الأمر بالمعروف وَالنَّهْي عن المنكر، ثم سيُبين تميزهم في تعاملهم مع عموم المسلمين.

هنا: ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ: يَأْمُرُونَ: بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ هذا... يدخل فيها طَبْعًا الأمور كثيرة على ما توجبه الشريعة هذا يشمل تفصيل المعروف والمنكر؛ لأن أهل البدع المعروف عنده يَعْنِي يختلف عن المعروف في الدين، المعروف ما كان معروفًا في الدين، والمنكر ما كان منكرًا في الدين.

إِذًا لسنا من نُحدد المعروف والمنكر، بل هذا سنأخذه من الدين، وَهذا يختلف عن طَبْعًا الَّذِينَ يُنادون بهذا أصلًا مستقلًا هم المعتزلة كما قولنا أصولهم خمسة منها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يختلفون مع أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة في تحديد المعروف وفي تحدد المنكر، وفي طريقة الأمر بالمعرف وَالنَّهْي عن المنكر.

هذا الأصل أصلًا هم اخترعوه للخروج على الولاة الفجار، وَهذا يختلف في خالص منهج أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة لا يُجيزون الخروج على الحكام الظالمين الجاهلين، أما عندهم فَهذا الأصل هو للخروج على الحكام، كما أنهم كما قولنا يَعْنِي لهم تحديدهم الخاص بالمعروف، ولهم تحديدهم الخاص للمنكر.

أما أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فيتميزون في هذا الباب في تحدد المعروف والمنكر يتبعون في ذلك السُّنَّة والأدلة في تحدد المعروف وفي تحدد المنكر، ثُمَّ يلتزمون أَيْضًا طريق الشرع وسديد الشرع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في... وفي النظريات أَيْضًا، فعندهم يعني لَا بُدَّ من ثلاثة الأمور، الأمر بالمعروف.

لَا بُدَّ فيه من ثلاثة أمور: العلم. والرفق. والصبر.

لَا بُدَّ أن تكون عالمًا بما تؤمن به أن هذا معروف، وَلَا بُدَّ أن تكون عالمًا بما تنكره أن هذا موجود، هذا أولًا، ثانيًا: لَا بُدَّ من الرفق في الأمر بالمعروف وَالنَّهْي عن المنكر، وَلَا بُدَّ من الصبر، هذه الأصول يَعْنِي كلها لها موضع، العلم قبل الأمر بالمعروف وَالنَّهْي عن المنكر، والرفق عند الأمر بالمعروف وَالنَّهْي عن المنكر، والصبر بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنك بعدما تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر قد...، وَهذا يتميز به أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ تتضمن تفاصيل كثيرة منها طريقة: الأمر بالمعروف باليد إذا أمكن، ثُمَّ باللسان ثُمَّ بالقلب تبعًا للمصالح والمصلحة في هذه الأمور، وهم في هذا الباب كما في الأبواب الأخرى يتميزون هم وسطٌ بين المفرطين والمفرطين.

المعتزلة الَّذِينَ أفرطوا في هذا الأمر، والصوفية الَّذِينَ فرطوا في هذا الأمر، الصوفية ليس عندهم أمر بالمعروف وَالنَّهْي عن المنكر؛ لأن كل شيء يجري بقدر، وليس لك أن تعترض على القدر، وأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة هم بين التفريط والإفراط في هذا الباب؛ بين إفراط الملتزمة وبين تفريط الصوفية.

وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ: الْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالْجُمَعِ، وَالْأَعْيَادِ؛ مَعَ الْأُمَرَاءِ؛ أَبْرَارًا كَانُوا، أَوْ فُجَّارًا لماذا؟ لأن... والابتعاد عن الفرقة، والاجتماع دائمًا يكون حدثًا من حدث أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة؛ لأنهم عُرفوا بهذا الأمر، فكل ما يُؤدي إلى الاجتماع فهم ينادون به، ويسلكونه، وكل ما يُؤدي إلى الافتراق فهم أبعد الناس عنه.

فـ إِقَامَةَ: الْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالْجُمَعِ، وَالْأَعْيَادِ؛ مَعَ الْأُمَرَاءِ؛ أَبْرَارًا كَانُوا، أَوْ فُجَّارًا هذا من أصول، وَهذا في بيان التعامل مع ولاة الأُمَّة، ثُمَّ ذَكَرَ التعامل مع عموم الأُمَّة يقول: يدنون بنصية الأمة يدنون أي يتقربون لله عز وجل وبنصية الأمة كل من كان مؤمن هذا تفاوت في الإيمان فله نصيب من نصحتك إذا كنت مسلمً مؤمنًا نعم.

وَيُحَافِظُونَ عَلَى: الْجَمَاعَاتِ.

وَيَدِينُونَ: بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ.

وَيَعْتَقِدُونَ: مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ.

---

**الشرح:**

وَيَدِينُونَ: بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ يدينون أي يتقربون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بالنصيحة إلى الأُمَّة، كل من كان مؤمنًا على تفاوتٍ في إيمانه، فله نصيب من نصيحتك إذا كنت مسلمًا مؤمنًا.

الطالب:...

**الشيخ:** ويُنددون بالنصيحة، لا هذا خطأ، خطأ يَعْنِي معنى، يَعْنِي هم يدينون لا ينددون يدينون من الدينونة، والدينونة عبودية، هم يتعبدون ويتقربون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بالنصيحة للأُمَّةِ، ويعتقدون معنى قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ، هذا تعاملهم مع عموم الأُمَّة.

وقوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ؛ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ» إِذَاً كل مسلم له عليك حق النصيحة، ولا يُستثنى من هذا إِلَّا في مسائل الهجر الَّتِي هي تابعة للمصلحة، وَإِلَّا فكل مسلم له عليك حكم النصيحة.

وَيَأْمُرُونَ:

- بِالصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ.
- وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ.
- وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ.

---

**الشرح:**

هذا كما ذَكَرَ بعض العلماء هذه خلاصة الدين: الامتثال بالمأمور، والانتهاء عن المحظور والصبر على المقدور، هذه الخلاصة: تمتثل بالمأمورات الامتثال بالمأمور، والانتهاء عن المحظور، والصبر على المقدور.

إِذًا وَيَأْمُرُونَ: بِالصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ لأن القضاء قد يكون بعضه فيه نفع لك، وبعضه فيه ضرر لك، وَلَا بُدَّ من أن تؤمن بالمقدور وترضى به، وَهذا من الكلام عن الإيمان بالقضاء والقدر.

وَيَدْعُونَ إِلَى:

- مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

---

**الشرح:**

هذا الذي ختم به شيخ الإسلام يَعْنِي هذا خاص منهج أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة في باب الأخلاق، وَهذا بابٌ عظيم جدًا يجب الاعتناء به في الدعوة خاصةً فيمَا يَعْنِي يكون داعيًا لله عَزَّ وَجَلَّ، ومن يكون مشرفة الله عَزَّ وَجَلَّ لهذه المهمة العظيمة؛ الدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، لا يكون لها إِلَّا من يكون أهلًا لها، وَهذا يَعْنِي سبيل الأنبياء.

فمن يستشرف لهذه المهمة لا يجعل نفسه صغيرًا، يمتثل منهج الأنبياء في الدعوة، ما يستفزه شيء صغير، ولا يخرج عن السبيل لأمر طارئ لا، يلتزم منهج الأنبياء؛ لأنه وارث الأنبياء في هذا السبيل، إذا كان باب الأخلاق مهمًا لعموم المسلمين، فَهذا أوجب الواجبات على الدعاة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن الصعب الامتثال به؛ لأنه أحيانًا يسير كما لا يكون في مكنتك أن تصبر عليه، إِلَّا أن الصبر عليه هو طريق الأنبياء والرسول.

وَهذا بابٌ عظيم كما قلت يجب الاهتمام به خاصةً للدعاة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يكون منفرًا بأخلاقه، كل من ينظر إليه كأنه في هم، لا، تكون يَعْنِي رحمةً في تعاملك، في سلوكك في أقوالك في أعمالك حتى يسهل التأسي بك والقرب منك والأخذ منك.

ختم شيخ الإسلام بهذه الفقرة المهمة لبيان أن أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة هذا منهجهم يتميزون أيضًا بالجانب الخلقي كما أنهم يتميزون بالجانب العملي، كما ذَكَرَ كما أنهم يتميزون كذلك بالجانب العقدي، فهم يتميزون في أمور الدين والدنيا.

والخُلُق بضم اللام الصورة الباطنة، والخَلْق بفتح الخاء وسكون اللام هذا معناه الصورة الظاهرة، أما الخُلق فمعناه الصور الباطنة.

وَيَدْعُونَ إِلَى:

- مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

- وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ.

وَيَعْتَقِدُونَ: مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا».

وَيَنْدُبُونَ إِلَى:

- أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَك.

---

**الشرح:**

بعد أن عمم، وقال: وَيَدْعُونَ إِلَى: مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ: مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» فلا يتم الإيمان ولا يكمل إلا بالتخلق بالأخلاق الحسنة بعد أن عمم بدأ يكتب بعض الأمثلة للخلق الحسنة.

وَيَنْدُبُونَ إِلَى:

- أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَك.

- وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَك.

- وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَك.

وَيَأْمُرُونَ:

- بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ.

- وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ.

- وَحُسْنِ الْجِوَارِ.

- وَالْإِحْسَانِ إِلَى: الْيَتَامَى، وَالْمَسَاكِينِ، وَابْنِ السَّبِيلِ.

- وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ.

وَيَنْهَوْنَ عَنْ:

- الْفَخْرِ، وَالْخُيَلَاءِ.

- وَالْبَغْيِ، وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ.

---

**الشرح:**

هذا كلها نماذج من الأخلاق الحسنة.

وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ، إِذًا الاستطالة على الخلق إذا كان بحق، فَهذا هو الفخر، أما إذا لم يكن بحق، فَهذا هو البغير، وكلاهما لا يجوز، إذا كان بحق فَهذا فخر، وإذا كان بغير حق فهو البغي وكلاهما لا يجوز.

وَيَأْمُرُونَ: بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ: سِفْسَافِهَا.

---

**الشرح:**

سفسافها، عندك سفساف.

الطالب:...

**الشيخ**: لأن السفاسف كيف عندك؟

الطالب:...

**الشيخ**: والبقية.

الطالب:...

**الشيخ**: كلهم اتفقوا على هٰذَا، إِذًا يكون هذا جمع، وَهذا أنسب في الجمع السفاسف، سفاسف الأمور؛ وهي الأمور الحقيرة، يَعْنِي ينهون عن الحقيرة.

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ أَوْ يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا أَوْ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

---

**الشرح:**

هٰذِه الفقرة بعدما بيَّن مكارم الأخلاق، هذه الفقرة الَّتِي يذكرها هنا فيها تأكيد مرة أخرى أنهم يُؤمنون بالدين كله، فلا يأخذون منه جانبًا دون جانب ولا يغلون في جانب دون جانب، ولا يُهمشون جانبًا على حساب جانب، وَهذا هو منهجم أنهم يأخذون الدين كله.

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ أَوْ يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا أَوْ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَطَرِيقَتُهُمْ: هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ؛ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ ﷺ: «أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً؛ وَهِيَ السُّنَّةَ الْجَمَاعَةُ».

**الشيخ:** عندي وهي الجماعة، وَهذا هو الوارد في الحديث وهي الجماعة يَعْنِي السُّنَّة لم ترد في الحديث.

«وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»، صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنْ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

**الشيخ:** في تقديم وتأخير في.

الطالب:...

**الشيخ:** نعم أحسنت.

وَفِيهِمْ: الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ.

---

**الشرح:**

طَبْعًا هذه الفقرة وَالَّتِي ختم بها شيخ الإسلام فقرة أظن لا تناسب الظروف الَّتِي هو كان عليها، ولكنه ختم بها لبيان أن السنية والسلفية ولو كان لوحده، فلا ينبغي له أن يشعر بالغربة، لماذا؟ لأنه ولو كان لوحده فمعه هذه السلسلة يَعْنِي وَمِنْهُمْ: أَعْلَامُ الْهُدَى، وَفِيهِمْ: الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ هذا لبيان ألا يستشعر السني من طريقته إذا كان لوحده، لا يستشعر الغربة؛ لأنه في هذا الطريق معه من سبق من الصدقين والشهداء والصالحين.

وفيها تسلية لمن يدرأ إلى السُّنَّة وفيه تثبت له بأنه على طريق الأنبياء والصديقين والشهداء، وعليه أن يمضي في طريق ولا يستشعر الغربة، وَهذا خاتم مناسب جدًا، وَهذا ذكر هذه العقيدة.

وَفِيهِمْ: الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ: أَعْلَامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُوا الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ: الْأَبْدَال، وَمِنْهُمْ أَئِمَّةُ الدِّينْ.

---

**الشرح:**

الأبدال المراد بهم الأولياء، سموا بذلك؛ لأنهم كل ما مات منهم جاء بدلهم الآخرين، وليس المراد به الأبدال الأقطاب الَّذِينَ يُؤمن به الصوفية، نعم الأبدال المراد به هنا الأولياء.

وَمِنْهُمْ: أَئِمَّةُ الدِّينْ؛ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ.

---

**الشرح:**

الأئمة المعرفون، الأئمة الأربعة وغيرهم، الإمام أبو حنيفة والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد، وكل من كان في طبقاتهم؛ طبقة الإمام أحمد في طبقة الإمام أبي حنيفة والإمام أبي سفيان الثوري، الشعبة ابن حجاج، همام بن زيد، همام بن سلمة، هؤلاء كلهم أئمة الدين، في طبقة مشايخهم: الإمام الزهري وغيرهم.

في طبقة تلاميذهم: يحي بن سعيد القطان، وعبد الرحمن المهدي، أبو الفضل ابن عيينة، وغيرهم في طبقة تلاميذهم الإمام الشافعي وأبو الوليد التوالسي وغيرهم، في طبقة تلاميذهم، الإمام أحمد، يحيى بن معين، وعلي بن المدين وغيره، في طبقة تلاميذهم: الإمام البخاري وأصحاب الكتب الستة وغيرهم.

في طبقة تلاميذهم: ابن خزيمة، ابن جليل، والإمام الطحاوي وغيرهم، في طبقة تلاميذهم، طَبْعًا كل ما تأخر الزمن نفقد يَعْنِي سنفقد من الأئمة الذين هم على السُّنَّة المحضة يَعْنِي بقدر تأخر الزمن، أما هؤلاء الأئمة الَّذِينَ ذكرتهم، وكل من في طبقتهم فكله على هذه الناحية.

أما هذه البدع الَّتِي حدثت في الأُمَّة، فهذه حدثت يَعْنِي بعد القرون المفضلة، وحدثت ومن أحدثها هم معروفون بأسمائهم ومعروفون بمنهجهم المنحرف، أما الأئمة شيخ الإسلام يقول: الأئمة كله على هذه العقيدة.

وَمِنْهُمْ: أَئِمَّةُ الدِّينْ؛ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِم، وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ، الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ : «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ؛ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلا مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

---

**الشرح:**

الطائفة المنصورة باعتبار كونهم منصورة في الدنيا تُسمى منصورة، وباعتبار نجاتهم في الآخرة تُسمى ناجية، أَيْضًا تُسمي ناجية؛ لأنها ناجية في الدنيا من البدع والخرافات، وناجية في الأخرة بإذن الله من النَّار، وَهٰذِه هي الطائفة المنصورة الناجية الَّتِي ذكرنا بها شيخ الإسلام في بداية العقيدة، وَهذا الاعتقاد عن الفرقة الناجية المنصورة، أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ لَا يَزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَيَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً؛ إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَوَاتُهُ وَسَلَامُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَعَلَى سَائِرِ الْمُرْسَلِينَ وَالنَّبِيِّينَ، وَآلِ كُلٍّ وَسَائِرِ الصَّالِحِينَ.

---

**الشرح:**

ونحن أَيْضًا ندعو الله عَزَّ وَجَلَّ ونسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يُثبتنا على هذه العقيدة السمحة، ونحن نُشهد الله وملائكته بأننا على هذه العقيدة، ونسأل الله أن يُميتنا على هذه العقيدة، ويُلحقنا بالصديقين والشهداء والصالحين، ومن كان على هذه العقيدة فليهنأ، وَهٰذِه عقيدة الكتاب وَالسُّنَّة.

ومع كل هذا الثناء والتقدير الَّذِي نذكره به شيخ الإسلام إِلَّا أننا لا نتأخذ فيه...، إِلَّا أن كل ما ذكره كما رأينا، يذكر المسألة ويُضيفها بذكر الدليل، فنسأل الله له أن يرفع درجاته، وأن يجمعنا به وبأمثاله من الصديقين والشهداء والصالحين، وأن يميتنا على هذه العقيدة.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ على نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

## الأسئلة

الطالب: في قول الإمام مالك: **الإيمان به واجب**، هل المراد بالباء الاستواء أم الكيفية.

**الشيخ:** الاستواء؟ لأن الحديث عن الاستواء، **الاستواء غير معلوم**، يعني معروف لغة هو العلو والارتفاع، والكيف غير معلوم، **الاستواء غير مجهول، والكيف غير معلوم، والإيمان به واجب**، الاستواء.